



أدب الجاحظ

تأليف
مِنَ الشَّذَوْبِيِّ

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

أَدْلِيجُونْ

مَا لِفْ

صِّنْ السِّنْوَبِي

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

مكتبة لسان العرب

www.lisanarab.com



أبو عثمان عبد الجبار

ولد بالبصرة سنة ١٥٠ ... وتوفي ببغداد سنة ٢٥٥

ـ ٨٦٨ » - ٧٦٧ »

أَدْبَرُ الْجَانِبِ

بحثٌ تحليلي في ميادة الجامعات وسيرتها،
و درس مستفيضٍ في أدبه وعلومه وفلسفته
وياده فصائصه ومبراته ، ووصف
مصنفاته ، وعرضٌ نواره وفطحاته

تأليف

هَنْدُ السَّنْدُوْبِي

مؤلف كتاب «أعيان البيان» و «الشعراء الثلاثة» و «ديوان امرى القيس»
و شارح كتاب «البيان والتبيين» و «المفضليات» و «المقابسات»

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

القاهرة ١٣٥٠ - ١٩٣١ م

يُطَلَّبُ مِنَ الْمَكَّةِ الْبَخَارِيَّةِ الْكَبِيرَيِّ بِأَوَّلِ شَارِعِ مُحَمَّدٍ عَلَى بُنْصُرٍ
لِهَا مَهْبَهًا : مُصطفى محمد

المطبعة الحانئية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كتب الله لك السعادة وأمدك منه بالحسنى وزياده ، وجنبك أسباب الشقاء ، وكفاك مكايد الأعداء ، وأرشدك إلى ما فيه الخير ، ومهد لك سبل الاحسان والبر ، وملأ قلبك باليقين ، وحال بينك وبين الضالين والمعاندين ؟ وجعل الحق شعارك ، والصدق دثارك ، وباعد بينك وبين الخطل ، وأفالك من مهاوى الزلل ، حتى لاتنطق إلا بالصواب ، ولا تصدر إلا بالحكمة وفصل الخطاب . كان لنا منذ عهد الطلب ولع شديد بكتاب « البيان والتبيين » ، وكنا لا نعرف من أمر الجاحظ إلا أنه من العلماء الذين يُنْدَبُ الترضي عنهم والترجم عليهم . فلما أتيح لنا الإطلاع على ما ترجم له من سيرة افتتح لنا خصائص من النور كان على ضئولته مغرياً لنا بالاستزادة منه . فطلبناه في مظانه من كتب السير وأسفار الأخبار ودواوين التاريخ ، فكنا كلما أمعناف التتبع استنار لنا الطريق ، واتسعت الرغبة ، وما كنا نعثر من ذلك إلا على النبذة تتلوها النبذة ، لاتبرد غلة ، ولا تشفي علة ، ولا تنفع بلة . غير أنني كنت أجمع من ذلك ما تفرق ، وأولف بين حزادق ما تمزق ، وأضم إلى ألفه ، والشبيه إلى شبيهه ، إلى أن صار لدى من أحوال أبي عثمان الجاحظ وأخباره الشيء الكثير . فلما كانت سنة ١٩٢٦ وقام في نفسى أن أضع على كتاب « البيان »

والتبين» تعليلات وحواشي تبين بعض غواضه ، وأخذت في تصحيحه وضبطه لنشره بالطبع ، رأيت أن أصدره بخلاصة في ترجمة الماحظ ، ولكن المقام لم يكن إذ ذاك مقام بسط وإيضاح ، فاختارت على غير ما يجب من حق الماحظ ، أو ما يشبع همة الأديب الفائق ، ويملا نفس الأريب الحاذق ، وإن كانت فوق كفاية المتأدب الشادى . ألمت فيها إلاماً ، ولم استقص فيها استقصاء .

ولا انتهيت من كتاب البيان والتبين ، وظهر بالطبع في ذلك الحين يتسع أماني المجال ، وعثرت على مواد جديدة لم تكن في متناول يدي من قبل : فرأيت حقاً على — وللباحث عندي حقوق — أن أفرد له كتاباً خاصاً أبسط القول فيه ، وأنتناول كل ناحية من نواحيه ، وأبين ما له وما عليه وأوضح مسائله ، وأحل مشاكله ، وأدفع عنه غواائل خصومه ، وأحق من قولهم فيه الحق وأبطل الباطل ، وأفضل منهجه في الأدب ، كما أعرف مذهبـه في الاعتزال ، ومسـلـكـه فيـ الـلـمـ وـالـفـلـسـفـةـ ، وأطلق القلم في وصف خصائصـهـ وـمـيـزـاتـهـ ، ولا أزال أتبع حـيـاتهـ حتـىـ النـهاـيـةـ .

على أنه لم يقف في الأمر من ذلك عند هذا الحد ، بل رأيت اختيار طائفة ممتازة من رسائله ومقالاته ، وآرائه ومرؤياته ، المنشورة في مؤلفاته المنشورة بالطبع ، أو في مصنفات غيره مما هو من شأنه وما يدور حوله ، فأثبتتها فصلاً فائماً برأسه في نهاية هذا الكتاب حتى لا أترك لباحث أمنية ، ولا لأديب بغية ، ولا لأريب مطلباً ، ولا لنقيب مأرباً ، إلا جئت من ذلك بالقدر الذي سمح به الوقت وواتت به الحال .

وكان من حسن معونة الله وجليل رعايته ، أن وقني إلى العثور على طائفة صالحة من آثاره التي لم يسبق لها عهد بالنشر والذي وقع بالطبع ، فأعملت فيها العقل القلم ، مصححاً فاسدها ، مقوماً معوجها ، محرراً ما شاع فيها من تصحيف النسخ ، وتحريف المساخ .

ولم أرأ الاستئثار بهذه الآثار ، أو الضرب بها على أهل الأدب في الأمصار ، بل آثرت خدمة العلم والأدب ، أن أذيل هذا الكتاب بما رأيته صالحاً منها . وفوق هذا فلم أترك علماً من الأعلام التي ورد لها ذكر في هذا الكتاب إلا عرفت به ، مترجمًا إياه على مقتضى المقام ، متحررًا ما استطعت تاریخ ميلاده ، مثبتًا وقت وفاته . وناهيك بذلك كله من عمل شاق ، وجهد مض . وقد أسميتها « أدب الحاظ » ليجمع بين المعينين : معنى الأسلوب الذي تشفى به ، ومعنى الثقة التي احتضن بها واستقل بأبعائها والله أسأل دوام التوفيق إلى كل عمل صالح وصنيع مفید ، وهو حسي ونعم الوكيل .

مَهْرَبُ الْكِتَابِ

القاهرة في { ٤ صفر ١٣٥٠ م ٢٠ يونيو ١٩٣١ م }



مُهَرَّب

فِي

مناهج الكتاب في تراجم الرجال

لِكتَابِ الإِفْرَنجِ فِي تَدوِينِ تَراجمِ رِجَالِهِمْ ، وَتَحْرِيرِ حَيَاةِ نَوَافِعِهِمْ ، وَتَحْلِيلِ سُبُّ أَفْرَادِهِمْ ، وَتَخْلِيدِ ذَكْرِي أَطْلَاطِهِمْ ؛ أَسْلُوبٌ خَاصٌ قَرَدُوا بِهِ ، وَالْتَّزَمُوا بِالْبَرِ على مَنْهاجِهِ ، وَالضَّربُ فِي أَنْخَانِهِ وَبِفَاجِهِ ، قَلْ أَنْ يُعْنِي بِهِ كَاتِبٌ مِنْ كَتَابِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَشَدَّ أَنْ يُلْمِ بِمَا فِيهِ مِنْ دَقَائِقَ ، وَنَدَّ أَنْ يَحُومَ حَوْلَ مَا تَضَمِّنَهُ مِنْ غَوَامِضَ . وَذَلِكَ أَنَّا نَرَى الْكَاتِبَ الْأَوْرَبِيَّ يَحَاوِلُ فِيمَا يَتَنَاهُ مِنْ شَؤُونَ نَابِغَهُ الَّذِي يَعْرِضُ لِلْكَلَامِ عَلَيْهِ — سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ النَّابِغُ فِي لِسُونَفَا ، أَمْ كَانَ عَالِمًا ، أَمْ كَاتِبًا ، أَمْ شَاعِرًا ، أَمْ كَانَ بَطَلاً مِنْ أَبْطَالِ الْحَرْبِ ، أَمْ رِجَلًا مُتَازِّاً بِضَرْبِ مِنْ ضَرُوبِ الْحَيَاةِ — أَنْ يَنْتَزِعَ مَاصَارِ إِلَيْهِشَانَ مُتَرَجِّمَهُ فِي شِيخُوخَتِهِ وَفِي عَبْدِ اكْتَمَالِ أَيَّامِهِ ، صُورَةً مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي طَالَةِ أَمْرِهِ ، وَمُسْتَهْلِ نَسَائِهِ ، وَمِبْدَأ طَفُولَتِهِ . فَيَحْمَلُ نَفْسَهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ مِنْ صَنُوفِ الْعَنْتِ فِي اتَّحَلِ ، وَأَلْوَانِ الإِحْتِيَالِ فِي الْاخْتِلَاقِ ، مَا كَانَ فِي غَنِّيٍّ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِهِ . إِذْ تَرَاهُ لِأَقْلَ مُلَابِسَةٍ وَلِأَدْنِي خَاطِرَةٍ ، يُنْشِئُ فِي وَهْمِهِ خَيْالًا يُلْبِسُهُ الْوَانًا مِنْ دَلَائِلِ طَفُولَتِهِ ، وَيَعْرِضُهُ فِي أَطْوَارٍ لَا عَهْدَ لَهُ بِهَا ، مُتَنَقْلًا بِهِ مِنَ الطَّفُولَةِ إِلَى الْيُقْوَةِ ، وَمِنَ الْمُرَاهِقَةِ إِلَى الْفُتُوَّةِ ، وَمِنَ الشُّبُوَّةِ إِلَى الشِّيَخُوخَةِ . مُسْتَرِسًا فِيمَا كَانَ تَدَلُّ عَلَيْهِ حَرْكَتَهُ فِي هَاتِهِ الْأَطْوَارِ ، وَمَا كَانَتْ تَشِيرُ إِلَيْهِ تَقْلِيَاتَهُ وَتُنْتَجُهُ سَكَنَاتَهُ فِي أَثْنَائِهَا ، مِنْ حَدَّةِ الْذَّكَاءِ ، أَوْ حَمْودِ

فـالـقـرـيـحةـ، أـو تـوـسـطـ فـيـالـفـطـنـةـ، أـو بـلـوغـ الـغـاـيـةـ فـيـ طـبـقـاتـ الـأـلـمـعـةـ . ثـمـ يـرـسـلـ
عـلـىـ هـذـهـ التـجـولـاتـ التـىـ تـحـيلـهـاـ أـشـعـةـ مـنـ أـوـهـامـ فـرـاستـهـ ، مـلـحـاـ فـيـ أـنـ
يـسـطـ عـلـىـكـ إـرـادـتـهـ لـيـقـعـكـ مـاـ اـسـتـطـاعـ ، بـأـنـ بـدـاءـةـ أـمـرـ مـتـرـجـمـهـ كـانـتـ تـدـلـ
بـكـلـعـانـىـ الدـلـالـةـ عـلـىـ مـاـ اـنـتـهـىـ إـلـيـهـ شـأـنـهـ مـنـ بـعـدـ الصـيـتـ وـذـيـعـ الذـكـرـ ،
وـمـاـ اـحـتـازـهـ مـنـ النـبـوـغـ وـالـتـفـوقـ فـيـ اـنـتـهـاـهـ مـنـ أـعـمـالـ الـحـيـاةـ

هـؤـلـاـ، الـكـتـابـ وـأـمـاثـلـهـ وـمـنـ يـحـذـونـ حـذـوـهـ ، وـيـضـرـ بـوـنـ عـلـىـ أـوـتـارـهـ .
لـاـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـوـمـنـ بـكـثـيرـ مـاـ يـعـرـضـونـهـ عـلـىـ قـرـائـهـ ، مـنـ التـفـلـلـ فـيـ خـفـاـيـاـ
هـذـاـ الشـانـ ، وـأـحـبـهـ مـنـ مـوـارـدـ خـيـالـهـ وـمـنـتـجـاتـ أـوـهـامـهـ ، إـذـاـ أـرـادـواـ
بـهـ أـنـ يـصـورـوـهـ فـيـ صـورـةـ الـحـقـائقـ الـثـابـتـةـ . أـمـاـ قـصـدـواـ بـهـ التـسـلـيـةـ وـالتـاهـيـةـ ،
أـوـ الـعـبـرـةـ وـالـعـظـةـ ، فـلـاـ ضـيرـ فـيـ ذـلـكـ وـلـاـ تـرـيـبـ . وـقـدـ أـلـمـسـ لـهـ شـيـئـاـ مـنـ
الـعـذـرـ فـيـ هـذـاـ النـحـيـ لـافـقـارـهـ إـلـىـ مـاـ غـيـرـ بـهـ كـتـابـ الـعـرـيـةـ مـنـ الـرـوـاـيـةـ.
وـالـسـنـدـ : وـعـلـىـ الـمـخـصـوصـ قـبـلـ أـنـ تـوـضـعـ لـلـتـرـيـةـ أـصـوـلـ وـقـوـاعـدـ ، وـقـبـلـ أـنـ
تـصـيرـ مـرـاقـبـ الـطـفـلـ مـنـذـ عـهـدـهـ بـالـلـيـلـاـدـ فـنـاـ مـنـظـمـاـنـ الـفـنـوـنـ ذاتـ الشـانـ وـالـخـطـرـ
أـمـاـ كـتـابـ الـعـرـيـةـ ، فـهـمـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ اـسـتـفـانـهـ بـالـرـوـاـيـةـ الـمـسـنـدـ .

وـاحـتـفـالـ مـوـادـهـ بـالـحـدـيـثـ الـمـسـلـلـ ، قـلـماـ حـفـلـواـ مـنـ أـمـرـ رـجـالـهـ الـذـينـ يـعـنـونـ.
بـتـرـجـمـهـ إـلـاـ بـمـاـ قـدـ يـكـونـ عـرـفـ عـنـهـمـ مـنـ تـقـدـمـ أوـ تـخـلـفـ ، وـمـنـ تـفـوقـ أوـ
تـوـسـطـ ، فـيـاـ اـنـتـهـاـهـ كـلـ مـنـهـمـ مـنـ مـنـاحـيـ الـحـيـاةـ وـمـرـاشـدـهـ ، سـوـاءـ أـكـانتـ.
عـلـيـةـ أـمـ فـنـيـةـ أـمـ صـنـاعـيـةـ وـلـاـ يـكـونـ ذـلـكـ إـلـاـ بـعـدـ الـاسـتـحـكـامـ وـعـضـ النـاجـذـ .
وـإـلـاـ بـعـدـ أـنـ تـنـكـوـنـ الـمـلـكـةـ ، وـتـقـوـيـ الـمـنـةـ ، وـتـظـهـرـ الـمـوـهـبـةـ فـهـمـ فـيـ غالـبـ.
شـأـنـهـمـ ، لـاـ يـعـرـضـونـ لـشـيـءـ مـنـ مـاضـ نـوـاـفـهـمـ الـذـينـ يـنـتـوـونـ التـعـرـيـفـ بـهـمـ.
إـلـاـ بـسـنـ مـتـصـلـ ، أـوـ رـوـاـيـةـ مـأـثـورـةـ ، أـوـ حـدـيـثـ مـدـوـنـ . فـهـذـاـ مـاـ مـفـىـ عـلـيـهـ.
أـوـهـمـ وـتـابـعـهـمـ عـلـيـهـ آخـرـهـ

أما المنهج الذي وضعته نصب عيني في دراسة الجاحظ ، وفيما أتبته هنامن شأنه ، فهو الاعتماد على المصادر المذكورة في آخر هذا الكتاب ، وعلى غيرها من المطالعات في شتى الأسفار . مما شذ عن الذاكرة إحصاؤه ، ونبأ عنها استقصاؤه . وعلى ما استنتجه من مؤلفات الجاحظ ، وانتزعته من دلائل أغراضها ومعانها . وبهذا أود أن أكون في مقام وسط بين عدّة كتاب العربية ، وبين تزييد كتاب الفرغة . فلا أدعى أنني أعرض مالم يكن ، في معرض ما يكون ، ولا أحاول النفوذ إلى علم الغيب أستخرج منه المستور وأكشف المكنون ، ولكنني سأكون في هذا الكتاب مؤرخاً نظاراً ، وباحتا نقابةً . أبهرج الزائف وأظهره على حقيقته ، وأؤيد الصحيح وأقره في منزلته ، مادام ذلك كله لا يخرج عن حد العقل ونطاق الإمكان .



أفضل الأول

في

أصل الماحظ ونسبه وجنسه ولقبه

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة ، الليثي الكناني ، وقد
ـزعـم بعض الرواـة أنه كان مولـي لأبـي القـلمـسـ عمـروـ بنـ قـلـعـ الفـقـيـعـيـ
ـالـنـسـاءـ . وكان إلى هذه الأسرة نـسـ الشـهـورـ فيـ المـاجـاهـلـيـةـ^(١) وكان القـلمـسـ

(١) كان أول من نـسـ الشـهـورـ علىـ العـرـبـ فيـ المـاجـاهـلـيـةـ ، فأـحـلـ لهمـ منهاـ
ـماـ أـحـلـ ، وـحـرـمـ عـلـيـهـمـ مـنـهاـ ماـ حـرـمـ «ـالـقـلسـ»ـ وـهـوـ حـذـيفـةـ بنـ عـدـ بنـ فـقـيمـ
ـالـكـنـانـيـ . ثـمـ قـامـ مـنـ بـعـدـهـ عـلـىـ ذـلـكـ وـلـدـهـ «ـعـبـادـ»ـ بنـ حـذـيفـةـ . ثـمـ قـامـ عـلـىـ
ـأـثـرـهـ وـلـدـهـ «ـقـلـعـ»ـ بنـ عـبـادـ ، ثـمـ «ـأـمـيـةـ»ـ بنـ قـلـعـ ، وـلـعـلـهـ هوـ المـسـمـيـ فـيـ الـأـصـلـ
ـعـمـرـوـ بنـ قـلـعـ وـكـانـ يـكـنـيـ بـأـيـ القـلسـ . ثـمـ «ـعـوـفـ»ـ بنـ أـمـيـةـ . ثـمـ «ـأـبـوـ ثـمـامـةـ
ـجـنـادـةـ»ـ بنـ عـوـفـ . وـهـوـ آخرـهـ فـيـ هـذـاـ النـائـنـ ، وـعـلـيـهـ قـامـ الـاسـلـامـ . وـبـرـوـيـ
ـأـنـ أـبـاـ ثـمـامـةـ جـنـادـةـ بنـ عـوـفـ أـسـلـمـ وـحـضـرـ الـحـجـجـ فـيـ زـمـنـ عمرـ فـرـأـيـ النـاسـ
ـيـزـدـحـمـونـ عـلـىـ الـحـجـرـ الـأـسـوـدـ فـنـادـيـ : أـيـهـاـ النـاسـ إـنـيـ قـدـ أـجـرـتـهـ مـنـكـ !ـ نـفـفـقـهـ
ـعـرـ بـالـدـرـةـ وـقـالـ لـهـ :ـ وـيـحـكـ ، إـنـ اللهـ قـدـ أـبـطـلـ أـمـرـ الـمـاجـاهـلـيـةـ ؟ـ .ـ وـكـانـ الـوـاحـدـ
ـمـنـ هـؤـلـاءـ النـسـاءـ يـقـفـ فـيـ الـمـوـسـمـ قـبـلـ الـاسـلـامـ عـنـ جـرـةـ الـعـقـبـةـ وـحـولـهـ قـبـائلـ
ـالـعـرـبـ وـيـقـولـ :ـ اللـهـمـ إـنـيـ نـاسـيـهـ الشـهـورـ وـوـاضـعـهـاـ ،ـ لـأـعـابـ وـلـأـ
ـأـحـابـ ،ـ اللـهـمـ إـنـيـ قـدـ أـحـلـتـ أـحـدـ الصـفـرـينـ وـحـرـمـتـ صـفـرـ الـمـؤـخرـ (ـيـعـنـيـ حـرـمـ
ـوـصـفـرـ)ـ وـكـذـلـكـ فـيـ الرـجـينـ (ـيـعـنـيـ رـجـبـ وـشـعـبـانـ)ـ لـأـنـفـرـواـ عـلـىـ اـسـمـ اـنـهـ .ـ
ـوـقـدـ أـشـيـرـ إـلـيـ هـذـاـ الـحـدـثـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ «ـإـنـمـاـ النـسـيـهـ زـيـادـةـ فـيـ الـكـفـرـ
ـيـضـلـ بـهـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ يـحـلـوـنـهـ عـامـاـ وـيـحـرـمـونـهـ عـامـاـ ،ـ وـالـنـسـيـهـ ،ـ فـيـ الـلـغـةـ التـاـخـيرـ

ـ من حكام العرب وذوى الرأى فيهم والرجحان عندهم . وكان يحمل من الشهور ما يشاء فتحل ، ويحرم منها ما يريده فتحرم . كذلك كان بنوه من بعده . وما كان في العرب من يقف لأحد منهم في هذا الشأن ، أو يخالفه فيه .

ـ ففي هذه الأسرة الماجدة نشأ أصل الماحظ وتوسجت أعراته ، وإليها كان انتهاء وانتهاء آبائه وأجداده . ولعل أول من عرف منهم فزارة الذي قيل إنه كان جمالاً لأحد رؤسها . قال **يموت بن المزرع**^(١) ـ وكان الماحظ خال أمه ، لا كأليل من أنه كان خاله ـ : كان فزارة جد الماحظ أسود ، وكان جمالاً لعمرو بن قلم الكناني .

ـ ومن هنا قد يتطرق الشك إلى الأذهان في عربية الماحظ وأسرته وخصوصاً لما زعمه بعض الرواة من ولائه لأبي القاسم الكناني ـ ويفتح باب التظني في جنسيته ، فيلجه عليه الشعوبى ومقولده من لا يرون للعرب فضيلة يمتازون بها على غيرهم من الأمم . وقد يعرض هذا السؤال : هل كانت أسرة الماحظ عربية سامية ، أم كانت من العناصر الأفريقية التي تداخلت في العنصر العربي بعامل الجوار وما يستتبعه ؟ وهل وقع على أحد من أسلافها الرق أو الإسار ، أم تناست على الحرية السليمة من الشوائب والأسكار ؟

ـ أما جوابي على هذا فهو : إن السواد لا يصح أن يؤخذ دليلاً على نفيعرو به فقد كان هذاللون شائعاً في العرب . بل ربما عد مما كانت تفخر به ،

(١) هو أبو بكر محمد بن موسى بن سيار العقسي البصري . غلب عليه اسم « يموت بن الزرع » وبهذا الاسم اشتهر . كان الماحظ خال أمه . وكان من مشايخ العلم والأدب ، قياماً بالأخبار ، حسن الشعر . أخذ عن الماحظ وأبا عثمان المازني وغيرهما . دخل بغداد ثم قدم مصر سنة ٣٠٣ هـ ثم ذهب إلى دمشق وبها كانت وفاته سنة ٤٣٠ هـ

وَكِثِيرًا مَا كَانَتْ تُعْجِبُ بِهِ وَتُؤْثِرُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْوَانِ الْأُخْرَ ، وَتَصْفُهُ
بِالْخَضْرَةِ ، وَتَنْعَتُ الْخَضْرَةُ بِهِ . وَمِنْ مَذْكُورِي السُّودِ فِيهِمُ ، الْأَغْرِبَةُ ، وَهُمْ :
عَنْتَرَةُ ^(١) وَخَفَافُ بْنُ نُدْبَةَ ^(٢) وَأَبُو عُمَيْرِ بْنِ الْحَبَابِ ^(٣) وَالسَّلِيلُكُ
بْنُ السَّلَكَةَ ^(٤) وَهَشَامُ بْنُ عَقْبَةَ ^(٥) وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمَ ^(٦) وَعُمَيْرُ
بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ ، وَهَمَّامُ بْنُ مُطَرَّفٍ ^(٧) وَمُنْتَشِرُ بْنُ وَهْبٍ ^(٨)

(١) هُوَ عَنْتَرَةُ بْنُ شَادَالْعَبْسِيُّ الْفَارِسُ الشَّاعِرُ الْمُشْهُورُ ، كَانَ أَمَّهُ أَمَّةُ
جَبَشِيَّةٍ تَدْعُ زَيْبَةَ مَاتَ سَنَةُ ٦١٥ م

(٢) هُوَ أَبُو خَرَاشَةِ خَفَافُ بْنُ عُمَيْرِ السَّلِيلِ . كَانَ أَمَّهُ نَدْبَةُ عَرِيَّةٍ إِلَّا
إِنَّهَا كَانَتْ سَيِّةً ، وَإِلَيْهَا كَانَ يَنْتَسِبُ . وَكَانَ فَارِسًا شَاعِرًا بَعِيدُ الذِّكْرِ . أَسْلَمَ
وَشَهَدَ حَنِينًا وَالْفَتْحَ وَكَانَ إِلَيْهِ لَوَاءُ بَنِي سَلِيمٍ . وَهُوَ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ . مَاتَ
فِي خِلَافَةِ عُمَرَ

(٣) هُوَ أَبُو عُمَيْرِ بْنِ الْحَبَابِ . كَانَ فَارِسًا مَغْوَرًا وَشَاعِرًا فَلَّا . وَكَانَ
مِنْ رِجَالِ مَصْعَبِ بْنِ الرَّبِيعِ . أَغَارَ عَلَى قَبَائِلَ كَلْبٍ وَأَنْكَى فِيهَا ثُمَّ قُتِلَ تَغلِبَ
وَثَأْرَ لَهُ زَفْرُ بْنُ الْحَارِثِ

(٤) هُوَ السَّلِيلُكُ بْنُ السَّلَكَةِ . كَانَ مِنْ مَعَاوِيَرِ الشَّجَعَانِ وَمِنْ خُولِ الْعَدَائِينِ
الَّذِينَ يَسْقُونَ الْحَيْلَ عَدُوا . قُتِلَ أَنْسُ بْنُ مَدْرَكَ الْحَشْعَمِيِّ

(٥) هُوَ هَشَامُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعِيطٍ . وَلَاهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى
أَعْمَالِ قَسْرِيْنِ

(٦) هُوَ أَبُو صَالِحِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمِ السَّلِيلِ . كَانَ مِنَ الْأَبْطَالِ
الشَّجَعَانِ ، فَتَحَّفَّتُ الْجَلَلِيَّةُ وَوَلِيَ الْأَعْمَالُ الْعَظِيمَةَ لِبَنِي أَمِيَّةَ . وَلَاهُ خَرَاسَانَ
عَشْرَسَنِينَ وَفَحَّ الطَّبَسِينَ ثُمَّ ثَارَ بِهِ جَنْدُ خَرَاسَانَ مِنَ الْعَرَبِ بِقِيَادَةِ وَكِيعِ بْنِ
الْدُورِقِيَّةِ ثُغْرِ صَرِيعَا فِي الْمَعرَكَةِ سَنَةُ ٦٧٥ هـ ٥٦ م

(٧) هُوَ هَمَّامُ بْنُ مَطْرَفِ الْعَقِيلِ . كَانَ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي عَامِرِ أَيَّامَ كَانَ
مَرْوَانُ بْنُ الْحَكْمَ وَالْيَا عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قَبْلِ مَعاوِيَةِ

(٨) هُوَ مُنْتَشِرُ بْنُ وَهْبٍ أَخْوَأُعْشَى بِاهْلَهِ . كَانَ فَارِسًا شَجَاعًا صَاحِبَ غَارَاتِ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ . قُتِلَ هَنْدُ بْنُ أَسْمَاءِ الْفَزَارِيِّ . وَلَلَّا عَشَى فِيهِ مَرِيَّةٌ مِنْ أَبْلَغِ الْمَرَأَىِ

ومَطْرُونْ أُوفِيَ (١) وَتَأْبَطَ شَرَاً (٢) وَالشَّنْفَرَى (٣) وَحَاجِزُ (٤) — وإنما
لُقِبُوا بِالْأَغْرِبَةِ لِأَنَّ أَمْهَا تَهُمْ كُنْ إِمَاءَ — فَسُوادُ فِزَارَةِ جَدِ الْجَاحِظِ لَا يَعْدُ
دِلِيلًا عَلَى نَفْيِ الْعَرْوَةِ عَنْهُ . وَأَمَّا الرُّقْلُمُ يَرْدُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الرُّوَاةِ وَالنَّاسِيْنِ
وَأَحْصَابِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ وَقَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَجْدَادِهِ . وَكَذَلِكَ الْإِسَارَ، فَإِنَّهُمْ يُصْبِّتُونَ
أَحَدًا مِنْهُمْ . وَلَا عَبْرَةَ بِوَصْفِهِمْ بِالْوَلَاءِ لَآلِ قَيْمِ ، فَلِيُسَ الْوَصْفُ بِالْوَلَاءِ مَا
يَنْفِيُ الْحَرِيَّةَ ، فَالْوَلَى عِنْدِ الْعَرَبِ : الْمُحَبُّ ، وَالصَّدِيقُ ، وَالنَّصِيرُ ، وَالْمَوْلَى ،
وَالْعَبْدُ ، وَالْمَعْتَقُ ، وَالْمَعْتَقُ ، وَالصَّاحِبُ ، وَالْقَرِيبُ — كَالْمَعْ ، وَابْنُ الْعَمِ ،
وَالْإِبْنِ ، وَابْنُ الْأَخْتِ — وَالْحَلِيفُ ، وَالْتَّزِيلُ ، وَالشَّرِيكُ ، وَالْوَلِيُّ ،
وَالْأَبُ ، وَالنَّاصِرُ ، وَالْمَنْعِمُ ، وَالْمَنْعِمُ عَلَيْهِ ، وَالْتَّابِعُ ، وَالصَّهْرُ . وَقَدْ تَكُونُ
قَبْيَةُ عَرَبِيَّةٍ صَرِيْحَةُ النَّسْبِ مَوْلَاهُ لِقَبْيَةٍ أُخْرَى عَرَبِيَّةٍ

وَأَمَّا قِيَامُ فِزَارَةَ عَلَى إِبْلِ عَمْرُوبِنِ قَلْمَعِ، فَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَلِيُسَ
يَدُلُّ إِلَّا عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَحْسَنُ الْقِيَامَ عَلَيْهَا ، وَهَذَا اسْتَكْفَاهُ مَوْلَاهُ عَظِيمًا مِنْ
أَمْرِهِ . نَعَمْ إِنَّ الْجَاحِظَ قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ « الْحَيَوَانُ ١٣٤ ج ٣ » أَنَّ أَحْصَابَ
الْإِبْلِ يَرْغَبُونَ فِي اتِّخَادِ النَّوْبَةِ وَالْبَرْ بَرِّ الْإِبْلِ ، يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يَصْلُحُونَ
عَلَى مَعَايِشِهِمْ وَتَصْلُحُ عَلَى قِيَامِهِمْ عَلَيْهَا . وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَامَّاً فِي سَائِرِ

(١) هو مطر بن أوفى . كان شجاعاً أيداً إذا بأس وقوه

(٢) هو ثابت بن جابر . تأبطن شراً . كان من أشجع العدائين صاحب
غارات ونكبات في أحياه العرب . وكان أبو كير المذلي زوج أمه وله في شعر

(٣) هو الشنفرى الأزدى . كان شجاعاً بطلاً ذا غارات . وكان من أشهر

العدائين ، وهو شاعر مشهور له لامية العرب

(٤) هو حاجز بن عوف الأزدى . شاعر جاهلي مقل . وهو أحد
العدائين المغاوير

العرب ، وما هي إلا رغبة إن حصل عليها بعضهم ، فليس في الإمكان أن يبلغها كلام . وقد كان في مقدور الملاحظ أن يشير في هذا المقام إلى عنصر جده ، إن كان به دم يمت بشمته نسب إلى أحد هاتيك العناصر الثلاثة . والمحظوظ أحكم من أن يبراً من أصله ، وأعقل من أن يغمى جنسه . وأخرى . فلو كان في دم الملاحظ شيء ، قليل أو كثير ، من دم الأجناس غير العربية لرأيناها في رأس الشعوبية الذين لا يرون للعرب شيئاً ولا يعترفون لهم بفضل ، وهما أستاذ أبو عبيدة معمر بن المثنى^(١) كان رأساً في الشعوبية . ولكننا نرى الملاحظ في كتبه وفي كل ما روى عنه ، شديد العصبية للعرب ، لا يرى فضيلة في أمة إلا ويروي أكبر منها لهم . لا بل هو لا يرى أمة من أمم الأرض تفضل الأمة العربية بأي خصلة من خصال الخير والنبل ، وما من مزايا الإنسانية ، إلا والعرب أسبق الأمم إليها وأحصهم بها . ومع هذا كله فقد قطع المحققون بأن الملاحظ كان كنانيا صليبة ، يعني أنه كان خالص النسب ، عريق الأصل في العرب . ومن قرر ذلك أبو القاسم البلخي^(٢) وابن حزم^(٣) إذا فهو عربي ، من سلالة عربية ، نشأ في بيت

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان مولى لتم قريش . وكان عظيم الدراء واسع الرواية إخبارياً نسابة لها بأحوال العرب . وكان شعوباً ووضع كتاباً في مثالب العرب . وكان يرى رأى الخوارج . عاش حوالي مائة عام فيما قبل . ومات سنة ٢١١ هـ

(٢) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعنبي البلخي . كان من أكبر المتكلمين ومن رؤوس المعتزلة . افرد بمقالات خاصة تابعه عليها قوم . فلقبوا بالكعبية ، وله كتاب في تاريخ المعتزلة . توفي سنة ٣١٧ هـ

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . فارسي الأصل أندلسي . الميلادو الشأنة . صاحب التصانيف الكثيرة في الحديث والفقه والجدل . ومن أشهر مصنفاته كتاب الفصل في الملل والأهواء والتحل ، ولد بقرطبة في رمضان سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ

من أجل بيوتات العرب ومن أعرقها في الجد والشرف .
 أما لقبه «الماحظ» فقد جاءه من قبل أنه كان مشوهًا للخلق، جاحظ العينين ..
 أي بارزها . وربما لقب « بالحدق » أيضًا ، لأنَّه كان ناقِيَ الحدقتين .
 وليس هذا مما يعييه مع علمه وفضله وبارع أدبه . فكثير من العظام كان مثله .
 أو أكثر منه دمامه وتشوبيها . فهذا سocrates^(١) شيخ الفلسفه الأقدمين ،
 قد كان مشوهًا للخلق ، جاحظ العينين ، أفطس الأنف ، ضخم الشفتين .
 وبالماحظ بعض هذه العيوب . ومع هذا فقد عدل به عن اسمه الأصلي
 « عمرو » وعن كنيته « أبي عثمان » واشهر بهذا اللقب المنتزع من أفحى شيء
 في خلقه .

والظاهر أنَّ الماحظ كان لا يعجبه أن يدعى بهذا اللقب ، وكان يتبرم .
 من يدعوه به . ولهذا كان يجهد نفسه في أن يقرر في أذهان الناس أن اسمه .
 « عمرو » وأنَّه يحب أن يدعى بهذا الاسم ، وأنَّ اسم « عمرو » أرشق الأسماء .
 وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجا . وكان يسميه « الاسم المظلوم » لأنَّهم أزقوا به
 الواو التي ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا إشارة إليها . وكان يقول :
 إنَّ هذا الاسم لم يقع في الجاهلية والاسلام إلا على فارس مذكور ، أو ملك .

(١) هو سocrates فيلسوف اليونان القدماء كان أبوه نحاتا وأمه قابلة .
 وكان ذا موهب فاضلة سمت به إلى ذروة الجد النفسي . لم يؤلف كتابا ولم
 يضع مصنفا ، بل سرت تعاليمه من تفوس تلاميذه مسرى الكهرباء ، ن gland فيهم
 مجده ، وعنهm انتشرت فلسفته . ولد بأثينا سنة ٤٦٩ قبل الميلاد ، وكانت
 وفاته بالسم بحكم القضاة ، الخاطئ سنة ٣٩٧ قبل الميلاد

مشهور ، أو سيد مطاع ، أو ^{رئيسيين} متبع . أمثال : عمرو بن هاشم ^(١) وعمرو بن سعيد الأكبر ^(٢) وعمرو بن سعيد الأشدق ^(٣) وعمرو بن العاص ^(٤) وعمرو بن حمزة ^(٥) وعمرو بن يحيى بن قعنة ، وعمرو بن معدى كرب ^(٦) وعمرو بن عبدود ^(٧) وعمرو بن الشريذ ^(٨) وعمرو

(١) هو عمرو بن عبد مناف ، وهو هاشم جد النبي عليه الصلاة والسلام . وقد مات بغزة من أرض فلسطين حين ورد إليها في تجارتة ، وبه سميت غزوة هاشم

(٢) هو عمرو بن سعيد بن العاص : كان من أكابر رجالات بني أمية ، وكان من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين بالشام في خلافة أبي بكر سنة ١٣ هـ

(٣) هو عمرو بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص . وقد لقبه معاوية بالأشدق حين رأه على صغره فصيحاً بينا . كان من خول بني أمية وعظمائهم ، وكان ينافع عبد الملك بن مروان الخليفة فاغتاله عبد الملك وتخلص منه

سنة ٧٠ هـ

(٤) هو الأمير عمرو بن العاص الفاتح العظيم والسياسي الحنكي والداهية الدهياء . فتح مصر وقهر جيوش الروم . وعاون معاوية على على في حربه . وتوفي بمصر

سنة ٥١ هـ ودفن بجبل المقطم في ناحية الفخن وكانت طريق الناس إلى الحجاز

(٥) هو عمرو بن حمزة الدوسى . كان في أول أمره شجاعاً بأسلا ، ثم صار سيد قومه . وهو أحد من كانت تحاكم إليه العرب . وفي رواية ابن عباس أنه قضى بين العرب ثلاثة سنّة . وهو أول من حكم في الختنى باتباع المثال . وفي بعض الروايات أنه وفدى على النبي صلى الله عليه وسلم . ولما

مات رثته الشعراء بتراث جيدة

(٦) هو عمرو بن معدى كرب : البطل المقدام ذو الغارات وال المعارك في الجاهلية والإسلام توفي بعد فتح نهاوند سنة ٢٠ هـ

(٧) هو عمرو بن عبدود : رئيس الأحزاب وقائدها . قتل على بن أبي طالب يوم الخندق

(٨) هو عمرو بن الشريذ : والد الخنساء وكان من سادات العرب وشجاعتهم الأبطال

ابن الحَقِّ^(١) وعمرُو بن عَبْدِ^(٢) وعمرُو بن قَاتِدَ^(٣).

ولعل الجاحظ كان يريد أن يقول في إثر ذلك : فلم لا يدعونى الناس
«عمرُو بن بَحْر» بدل هذا اللقب البغيض ...؟ وله الحق في ذلك . فما من
إنسان كائناً من كان إلا وهو يبغض من يدعوه بلقب ، ولا سيما إذا كان
هذا اللقب يشير إلى عيب في صاحبه إن خَلَقاً وإن خُلُقاً

ولو علم الجاحظ أن لقبه هذا سيكون فيما بعد عصره نعتاً من أجل النعوت ،
وأنه سيكون صفة من أشرف الصفات التي عمل الكثيرون من عظماء الرجال
وأكابر الرؤساء ، وخصوصاً أهل الفضل ، على أن يكون لهم شرف الاتساب
إليه ، ومجده الاتصال به - لسره من لقبه أكثر مما أُعجب به من إسمه . فقد
أصبح هذا اللقب شعار مدرسة جامعة ، ودليل على التبحر في العلوم والتلوّس في
الآداب والتفوق في فنون البلاغة وصنوف البيان . فهذا أبو زيد أَحمد بن
سَهْلُ الْبَلْغِي^(٤) ، وناهيك به من فيلسوف حَكِيم ، كان ينعت « بجاحظ »

(١) هو عمرُو بن الحَقِّ : من خزاعة ، أسلم بعد الحديبية وله صحبة . وكان
من شيعة علي، ذا بأس وشدة . أقام بالشام ثم بالكوفة ثم قدم مصر . جاوز
الثمانين من عمره ، ثم قُتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ وحمل رأسه إلى معاوية وهو
أول رأس حل في الإسلام من بلد إلى بلد

(٢) هو عمرُو بن عَبْدِ^(٢) بن بَابُ الزَّاهِدِ العَابِدِ النَّاسِكِ شِيخُ المُعَزَّلَةِ
وأمامُهُم . وقد كتبنا له ترجمة ملخصة ونشرناها في جريدة السياسة الأسبوعية
وسترى له ترجمة مستفيضة في كتابنا « شيرخ المعتزلة ومذاهبهم » الذي
سننشره بالطبع قريباً . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٤ هـ

(٣) هو أبو علي عمرُو بن قَاتِدَ الأَسْوَارِي . أخذ عن أبي الهذيل العلاف
ثم عن أبي اسحق النطام . وكان رئيس فرقه من المعتزلة . وله آراء ومقالات خاصة

(٤) هو أبو زيد الْبَلْغِي . راجع ما كتبناه عنه في كتاب المقابلات ص ١٤٨

خراسان » وهذا أبو الفضل ابن العميد^(١) ، وشَرَعْكَ من وزير علم كان يرتاح إلى من يصفه « بالجاحظ الثاني » وهذا أبو حيان التوحيدى^(٢) . وهُمَّكَ من كاتب بلين ، كان ينماز ع ابن العميد صفة « الجاحظ الثاني » وهذا محمود بن عزيز^(٣) ، وحسبك من عالم جليل ، كان ينعت « بالجاحظ الثاني ». وهذا أبو محمد الحسن بن خلاد القاضى الرام هرمزى^(٤) . قال عنه ابن النديم : انه كان حسن التأليف ، مليح التصنيف يسلك طريقة الجاحظ . وذكر له عدة مؤلفات . وهذا أبو القاسم الحسن بن بشر الأدمى^(٥) . قال عنه ابن النديم : إنه مليح التصنيف ، جيد التأليف . يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعلم من الكتب . وذكر له عدة مصنفات . وهناك غير هؤلاء من لم تسع الذاكرة أسماءهم كاهم كان يود بحدوث الأنف الاتساب في المعرفة . والأدب والبلاغة والبيان إلى الجاحظية الأدبية . فاسم الجاحظ عنوان على مدرسة جامعية في فنون العلوم وصنوف الآداب وألوان البلاغات

(١) هو ابو الفضل بن العميد: راجع ما كتبناه عنه في كتاب المقابلات ص ٦١

(٢) هو ابو حيان التوحيدى : راجع ما كتبناه عنه في أول كتاب المقابلات.

(٣) هو ابو القاسم شمس المشرق محمود بن عزيز العارضى الخوارزمى . كان من أفضل الناس في عصره جمع بين الأدب واللغة والمنطق والفلسفة والفقه والنظر والخلاف والحديث . وكان كتاباً بليناً ذا افتتان . وكان في خدمة خوارزم شاه مكرماً مبجلاً . ثم فارقه إلى مرو . وكان الزمخشري من المعجبين بفضله وسعة معارفه وكان يدعوه « الجاحظ الثاني » لكثره حفظه وفصاحة لفظه . احتقر الدنيا ومل الحياة فذبح نفسه بيده سنة ٥٢١هـ ووجد بخطه رقعة فيها « هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا »

(٤) هو القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد . وكان مع قيامه بشئون القضاء يضرب بهم نافذ في الأدب وله شعر حسن وشـ

جيد . مات في حدود سنة ٣٦٠هـ

(٥) هو أبو القاسم الحسن بن بشر الأدمى صاحب كتاب الموازنـة بين الطائين كان جيد الفهم حسن الدرأية بارع الأدب . مات سنة ٣٧١هـ

أفضل الثنائي

في

تحقيق مولده ونشأته ، وهل كان محدثا ؟

للرواة والمؤرخين خلاف في مولاـ الجاحظ ، فنهم من زعم أنه ولد في سنة ١٥٩ هـ ، ومنهم من يرى غير ذلك ، لكن الذى لا يصح أن يشك فى صدقه أويرتاب فى صوابه ، ما قرره هو عن نفسه ، ونقله إلينا ياقوت^(١) فى معجمه

(١) هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومى . أسر صغيراً من بلاده وأبىاعه رجل من تجـار بغداد فعملـه ونـفـه وربـاه ودرـبه عـلى التـجـارـة فـكان كـثـير الـاسـفار ، طـوـافـا فـالـأـمـصـار ، مـعـتـيـا بـطـلـبـالـتجـارـة وـالـكـسـبـ وـبـعـد أـنـ مـاتـ سـيـدـهـ اـسـتـقـلـ بـالـعـلـمـ وـحـدـهـ وـأـضـافـ إـلـىـ أـعـمـالـهـ الـاتـجـارـ بالـكـتـبـ وـكـانـ كـثـيرـ المـطـالـعـةـ مشـغـوفـاـ بـهـاـ . وـمـنـ أـشـهـرـ مـؤـلـفـاتـهـ كـتـابـ «ـاـرـشـادـ الـأـرـيبـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ الـأـدـيـبـ»ـ المعـرـوفـ بـمـعـجمـ الـأـدـيـبـ»ـ وـقـدـ كـانـ مـطـمـورـاـ فـيـ زـوـياـياـ الـمـكـاتـبـ فـعـثـرـ عـلـىـ بـعـضـهـ الـعـالـمـ الـمـسـتـشـرـقـ الـأـنـجـلـيـزـىـ الـجـلـيلـ الـمـسـتـرـ جـليـوثـ وـنـشـرـ مـنـهـ أـجـزـاءـ بـالـطـبعـ جـزـاءـ اللـهـ خـيـراـ . وـلـهـ كـتـابـ «ـمـعـجمـ الـبـلـدـانـ»ـ طـبعـ فـأـورـبـاـ مـنـذـ زـمـنـ وـأـعـيدـ طـبعـهـ فـمـصـرـ سـنـةـ ١٩٠٦ـ وـأـلـخـفـهـ طـابـعـهـ أـمـيـنـ أـنـدـنـىـ الـخـانـجـيـ بـمـسـتـدـرـكـ أـسـمـاءـ وـمـنـجـمـ الـعـمـرـانـ»ـ . وـلـهـ غـيرـ هـذـينـ كـتـبـ كـثـيرـةـ غـيـرـ مـعـرـفـ إـلـىـ الـأـنـ عـنـهاـ شـيـءـ . وـكـانـ مـوـلـدـهـ بـيـلـادـ الرـوـمـ سـنـةـ ٤٥٥ـ هـ وـتـوـفـيـ

فقد روى أنه قال : أنا أنسن من أبي نواس^(١) بستة ، ولدت في أول سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) وولد في آخرها . . . وليس بعد هذا نص يعتمد به في هذا الشأن ومن الغريب أن ابن خلkan^(٢) يروى في كتابه عن أبي بكر الخطيب البغدادي^(٣) أنه ذكر أبو نواس في تاريخه الذي وضعه لبغداد وقال : إن ميلاده (يعني أبو نواس) كان في سنة ١٤٦ . وهذا لا يصح الأخذ به أو الاعتماد عليه بعد نص الماحظ عن نفسه وعنده

وقد كان ميلاد الماحظ بالبصرة في ذلك التاريخ ، وقد مضى على تأسيسها ١٣٦ سنة ، فقد أنسها الأمير عتبة بن غزوان^(٤) بأمر الخليفة عمر

(١) هو الحسن بن هانئ الحكيم الشاعر الأشهر المعروف بأبي نواس ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ١٩٨ وهو أشهر من أن يعرف هنـا

(٢) هو القاضي أبو العباس شمس الدين أحمد بن ابراهيم المعروف بابن خلkan صاحب كتاب « وفيات الاعيان وأبناء أبناء الزمان » وهو كتاب شهدت شهادة عدل أن مؤلفه كان من أكابر الأدباء وأفاضل الكتاب وغول البلغاء ولـي التدريس والقضاء بمصر والشام زمانـا . وكان على جلالـة قدره ميلاـلا إلى اللهـو والمحـون وكان مولـده بمـدينة إربـل سنـة ٦٠٨ هـ وتـوفي بـدمـشق وـدفن بـسـفح قـاسـيون سنـة ٦٨١

(٣) هو أبو بكر أحد بن علي البغدادي الخطيب الحافظ المؤرخ الشهير كان من الحفاظـة المـفتـقـنـينـ والـعـلـمـاءـ الـمـتـجـرـينـ ، وـكانـ وـاسـعـ الـاطـلـاعـ إـلـىـ الـغاـيـةـ الـتـيـ لـاـ تـرـامـ . وـلهـ كـتـابـ تـارـيخـ بـغـدـادـ وـقـدـ شـرـعـ فـ طـبـعـ بـمـصـرـ الـآنـ ولـدـ فـ بـغـدـادـ سنـةـ ٣٩٢ـ هـ وـتـوفـيـ سنـةـ ٤٦٣ـ هـ

(٤) هو عتبة بن غزوـانـ بـنـ الـحـارـثـ الـماـزنـيـ . صحـابـيـ مـنـ الـمـهـاجـرـيـنـ الـأـولـيـنـ هـاجـرـ إـلـىـ الـمـدـنـةـ وـهـوـ فـيـ سـنـ الـأـرـبـعـينـ . وـكـانـ رـجـلـ طـوـالـ شـجـاعـاـ جـيدـ

ابن الخطاب^(١) في سنة ١٤ هـ . وبعد أن مضى على تأسيس الكوفة ١٣٣ سنة ، فقد أنسها الأمير سعد بن أبي وقاص^(٢) بأمر الخليفة عمر ابن الخطاب في سنة ١٧ هـ . وبعد أن مضى على إنشاء بغداد أربع سنين ، فقد وضع أبو جعفر المنصور^(٣) ثانية الخلفاء العباسيين قواعدها في سنة ١٤٦ هـ

الرمائية . شهد بدرًا ، وفتح الابلة ، واختط البصرة وبني مسجدها في عهد عمر ابن الخطاب . توفي في طريق مكة سنة ١٧ هـ

(١) هو الإمام العظيم عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الإسلام، ووقفه إلى الفتوحات الجسام ، وشد أركان ملكه بالعدل والانصاف ، وباعد بينه وبين الجور والاعتساف . واسنا نحاول هنا ترجمته فهذا شيء فوق المرام ، كانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال . طعمه الفاتح فيروز أبو لؤلؤه غلام المغيرة بن شعبة سنة ٢٣ هـ فات عن خمس وخمسين سنة

(٢) هو القائد الباسل العظيم سعد بن مالك بن أبي هبيب بن أبي وقاص من أركان دولة الـ"كاسرة" وصاحب الفتوحات العظيمة مات في قصره بالعيق على عشرة أميال من المدينة وذلك في سنة ٥٥ هـ وقد ناهز السبعين من عمره

(٣) هو الخليفة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أبو جعفر المنصور كان مولده بالشراة سنة ٩٥ هـ وبويع له بالخلافة بالـ"نبار" يوم مات أخيه أبو العباس سنة ١٤٦ هـ وهو الذي مهد الخلافة العباسية بمحزمه وعزمه ويقظته . قال محمد بن علي العبدى الحراسانى الاخبارى فى وصفه : كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي طالب ، وقد كان قبل ذلك أمرهم واحداً ، وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم . وكان معه نوبحت المجنوسى المنجم وأسلم على يديه — وهو أبو هؤلاء النوبحتين — وأبراهيم الفزارى المنجم صاحب القصيدة فى النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهىءة الفلك ، وعلى بن عيسى الأسطرلابى المنجم . وهو أول خليفة

إذاً ولد الجاحظ والمصران — البصرة والكوفة — يعُيشان بعمرانهما ، ويزَّخران بوسائل الحياة فيها ، ويتنافسان في صنوف العلوم وضرور العرفان ، ويتباهيان في ميادين الفنون وحلبات الآداب ، ويدلان على سائر الأُمصار الإسلامية بما خرجت حلقاتها من رجال كانوا عدة اللغة العربية ، وأسناد آدابها ، وينابيع علومها ، ومتاخر فنونها ، وشموس معارفها . أما بغداد فقد كانت إذا ذاك لاتزال في مهد الطفولة ، ولم يكن عمرانها قد استجر ولم يكن عرفاً منها متسع النطاق ممتد الرواق ، إلا أنها كانت بمنياة مؤسساً وأخلفه العظام ، سريعة الخطى في ميدان التعلم ، ناهضة في معارج الشرف حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من التفوق في الحضارة وال عمران يُلهم يختارها فيه أية مدينة أخرى في العالم القديم

وكانت نشأة الجاحظ بالبصرة ، وظل بها عاماً كفأً على التعلم والدرس والإطلاع . كما كان مقصود الجانب للاستفادة من مناظراته ، والتلقف بمحاضراته

ترجمت له الكتب من اللغات الأُجنبية إلى العربية ، منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السند هند ، وترجمت له كتب أرسطو طاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المحسطي بطليموس وكتاب الارْتِمَاطِيقِي وكتاب أقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفلولية والفارسية والسريانية وخرجت إلى الناس فنظروا فيها وتعلقوا بها . وفي أيامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازي والسير وأخبار المبتدأ ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة ، وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقد هم على العرب فاتخذ ذلك الخلفاء من بعده من ولده فسقطت وبادت العرب وزال بأسها وذهبت مراتها ، وأفضت الخلاقة إليه وقد نظر في العلوم وقرأ المذاهب وارتاض في الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم . توفي سنة ١٥٣

وكان كثيراً ما يترك البصرة قاصداً غيرها من المدن الإسلامية المعروفة في ذلك المهد للبحث والاستقراء ولقاء العلماء ثم يعود إليها مفعم الوطاب بصنوف العلوم وضرور الآداب . ولماجاوز الخمسين من عمره عَنِتْ له الرحلة إلى بغداد وتحاذها دار إقامة له، وذلك في عهد المؤمن^(١) الذي طار بها إلى أوج الرق والعلاء . وكان دخوله إلى بغداد في سنة ٢٠٤ ، وفي الوقت الذي قدم إليها المؤمن فيه . وما هو أن استقر به المقام فيها حتى تصدر للتعليم والمناظرة والتأديب والمحاضرة ، فقصد إليه العلماء ، وأمه الأدباء ، وأقبل عليه الطلاب من كل صنف ومن كل جنس ، وعلى اختلاف الملل وتبان النحل . وكان

(١) هو عبد الله المؤمن بن هرون الرشيد . كان من العلم والفضل في المقام الأسمى ، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ قال العبدى: ثم أفضى الأمر إلى المؤمن فكان في بيته أمره – لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره – يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها، وينقاد إلى موجباتها، وينذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأزدشير بن بابل ، واجتهد في قراءة الكتب القديمة وأمعن في درسها وواظب على قرأتها، فاقتنى في فهمها وبلغ درايتها ، فلما كان من الفضل بن سهل ذي الرياستين ما اشتهر ، وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد (يعنى مذهب الاعتزالا) وجالس المتكلمين وقرب إليه كثيراً من الجدلين والنظارين كأبي الهذيل وأبي اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهما من وافقهما وخالفهما وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء ، وأقدمهم من الأمساك وأجرى عليهم الأرزاق فرغب الناس في صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتاباً ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله . وكان أكثر الناس غفوا وأشدتهم احتتملا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بمال الرغيب وأبذلمهم للعطايا وأبعدهم من التسفه ، واتبعه وزراؤه

يقول : كان الفراء^(١) يجيئني ويشتهي أن يتعلم شيئاً من علم الكلام فلم يكن له فيه طبع . أى أن الفراء لم يكن لديه استعداد لفهم علم الكلام وكان الظن أن الماحظ لم يعن بعلم الحديث ، ولم يشغل نفسه بروايته وسنته ، ولكن الواقع أن الحديث كان من العلوم التي اضطاع بشأنها ، وتصدر لاقرائهما ، والظاهر أن ذلك قد كان وهو بالبصرة وقبل مغادرتها إلى بغداد . فقد ذكر الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » أن من أسنده الحديث أبا بكر بن أبي داود^(٢) . قال ابن أبي داود : كنت بالبصرة فأتتني منزل الماحظ فاستأذنت عليه فاطلع على من خوخة فقال : من هذا ؟ فقلت : رجل من أصحاب الحديث ! فقال : وممّى عهديني أقول بالخشوية ؟ فقلت : إنى ابن أبي داود . فقال : مرجحاً لك وبأيمك . ونزل يفتح لي وقال : أدخل ، إيش تريد ؟ فقلت : حدثني بمحدث ؟ فقال : أكتب ... عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى على طنفَةٍ . وروى الخطيب عن عبد الله بن سليمان بن الأشعث^(٢) قال : دخلت على الماحظ قلت له :

وأصحابه في فعله وسلكوا سيله وذهبوا مذهبـه . وكان مع هذا كثير الغزو والفتور . توفي سنة ٢١٨ هـ

(١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الديلى النحوى الكوفى الشهير بالفراء . وهو أحد أئمة العربية الذين يحتاج برواياتهم . وكان دينا ورعا يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال . توفي بطريق مكة سنة ٢٠٧ هـ عن ٦٧ سنة

(٢) هو الإمام الماحظ الكبير أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانى كان عالماً محدثاً من أكابر العلماء وأهل الحديث سمع ببغداد وخراسان وأصبهان وسجستان وشيراز ، وله عدة مؤلفات في الفقه والشريعة ونظم القرآن وغير ذلك في العلوم والآداب . توفي سنة ٣١٦ هـ

حدثني ؟ فقال : أَكَتَبْ . . . عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا أَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةٌ إِلَّا مُكْتَوَبَةٌ

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الْجَاحِظَ لَمْ يَطْعُنْ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ وَيَصْفُهُمْ بِالْخَشْوِيَّةِ إِلَّا عَنْ خَبْرَةِ صَحِيحَةٍ وَمَعْرِفَةٍ تَامَّةٍ بِحَقِيقَةِ شَائِئِهِمْ — إِلَّا مِنْ عَصْمِ اللَّهِ مِنْهُمْ — وَقَدْ كَانَ فِي غَمَارِ رَجَاهُمْ . وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ كَانَ يَصْفُ كُلَّ مُحَدِّثٍ بِالْخَشْوِيَّةِ وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَعْنِي بِذَلِكَ مَنْ كَانَ لَا يَفْرَقُ مِنْهُمْ بَيْنَ الْفَثْ وَالسَّمِينِ مِنْ صَاحِبِ الْأَحَادِيثِ وَمَعْنَلَاهَا ، وَإِلَّا فَهَذِهِ كِتَابَهُ حَافِلَةٌ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْأَحَادِيثِ .

المسندة إلى الرسول صلوات الله عليه



أفضل الثالث

في

اساليب التعليم في ذلك العهد، وكيف تعلم الجاحظ

و قبل أن نعرض عليك كيف تعلم الجاحظ ، نأخذ بيده وقف بك على نظم التعليم في تلك العصور وإبان ظهور الجاحظ . فقدرأينا بعد التحرى والتفقد والبحث والاستفراة أن التعليم العام كان متشابه الأعراف ، مماثل الأطراف . فقد كان الرجل يبعث بولده إلى كتاب الحى فيتعلم فيه مبادىء القراءة والكتابة ، ويشدو شيئاً من قواعد النحو والصرف ، ويتناول طرفاً من أصول الحساب ، ثم يستظهر كتاب الله الكريم استظهاراً تماماً مُجَوَّداً مرتبلاً؛ وهو في خلال ذلك يتربد مع أتاربه على القاص فيسمع منه أحداث الفتوح ، وأنباء المعارك ، وأخبار الأبطال ، ومقاتل الفرسان ، ومفاخر الشجعان ، وسير الغزاة والفاتحين ، ممزوجاً ذلك بالمواعظ والعبر وإبراد حوال الصالحين وأطوار الزهاد والنساك والمتقين . وبعد أن يأخذ من كل طرف من هذه المعلومات نصبيه الكافى بولى وجهه شطر حلقات الدرس بالمساجد العامة ، والمعاهد الجامعية ، والمدارس الخاصة . فيقوم من حلقة الفقيه إلى حلقة المحدث ، ومن مجلس اللغوى إلى سارية النسبة ، ومن حضرة الإخبارى إلى دارة المتكلم ، ومن معهد المنطقى إلى مجمع الفلسفى ، ومن محفى الأديب إلى قاعة المهندس ، يومن بين يدى المفسر إلى حظيرة الأصولى ، ومن غرفة الرواية إلى بيت

الشاعر ، ومن ديوان الكاتب إلى صاحب النجوم ، ومن الإسطرلابي إلى الجغرافي ، ومن مشهد الموسيقار إلى مقعد المغني ، ومن عند الزمار إلى دكانة الوتار . الصبيان والبنات في ذلك سواه ، وإن كانت الفاللية في الصبيان دون أخواتهم . حتى السجون ، فقد كان لأهلها حظ من التعليم وكان لهم معلمون يدخلون إليهم في أوقات معينة

وما دام الطالب في طريق الطلب فقلما يُعْنِي له بتوجيه أو يعبأ به باعتراض مما كان خطره في أي درس من هذه الدروس ، أو تقييد له ملاحظة أي علا شأنها في أحد هاتيك المجالس . إلا من طريق التندر والتفكه ، وإن سلم من التقرير فقلما يسلم من التهكم والتتجربة . وهو كما استحكم له علم أو استوى له فن نال إجازته من شيخه ، ومتى حصل على إجازة حق له التصدر لـ إقراء علمها على من هم دونه من الطلاب . وكان كثير منهم لا يكتفي بما نال من الإجازات . وما حصل من الشهادات ، بل كانت تتوجه به همته نحو الرحلة إلى الآفاق وبقاء الشيوخ والتعرف إلى العلماء وعقد مجالس المناظرة والجادلة معهم ، وتبادل الإجازات فيما بينهم يشهد كل من المتناظرين فيها لقرنه بما أحکم من أبواب المعارف وفنون الآداب التي وقع النقاش فيها

على هذا النظام ، أو ما يشبهه ، تلقى الجاحظ علومه ومعارفه عن شيوخ المصرَّين وعن أكابر علمائهم وصفوة أهل الفضل من رجالاتهما . ومن أخذ عنهم علومه وتلقى معارفه : أبو عبد الله معمر بن المثنى ، والأصمى^(١)

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قریب الأصمی الإمام اللغوي الثقة الأديب المتقن البليغ . قال الشافعی : ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمی . قال أبو العیناء : توف الأصمی بالبصرة وأنها حاضری سنة ٥٢١٣ بـ قد بلغ ثمان وثمانين سنة

وأبُو زِيْدِ الْاَنْصَارِيُّ^(١) ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْاَخْفَشِ^(٢) ، وَكَانَ صَدِيقَهُ .
وَتَخْرُجَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَمِذَاهِبِ الْاعْزَالِ عَلَى أَبِي إِسْحَاقِ النَّظَامِ^(٣) .
وَلَمْ يَكُنْ يَقْتَصِرَ عَلَى مَا يَتَلَقَّى عَنْ شَيْوَخِهِ بَلْ كَانَ يَنْدَهُ إِلَى مِرْبَدِ الْبَصْرَةِ
فَيَلْتَقِي بِالْأَعْرَابِ الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ وَيَتَلَفَّ الْفَصَاحَةُ مِنْهُمْ شَفَاهَا .

وَالْمِرْبَدُ هَذَا مَكَانُ كَانَ بِظَاهِرِ الْبَصْرَةِ تَفْدَ إِلَيْهِ الْأَعْرَابَ مِنْ بَوَادِيهِمْ
بِالْقَفْرِ لِلْأَجْمَارِ بِالْأَبْلِ وَالْمَاشِيَةِ وَتِبَادِلِ السَّلْعِ وَالْمَرْوَضِ ، كَمَا يَلْتَقِي فِيهِ الْخُطَبَاءُ
وَالشَّعْرَاءُ وَالرَّوَاةُ وَالنَّسَابُونُ وَالرِّجَازُ وَأَرْبَابُ الْبَلَاغَةِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْقَبَائِلِ وَمُتَبَاعِدِ
الْأَحْيَاءِ ، فَيَعْرُضُونَ مَنْتَجَاتَ قِرَائِحِهِمْ ، وَمُنْرَاتَ فَهُوَمِهِمْ ، مِنْ صَنْفِ الْبَيَانِ
وَالْأَوْلَانِ التَّفْكِيرِ ، عَلَى أَسْمَاعِ النَّقَادِ ، وَجَهَابِذَةِ الْكَلَامِ ، وَصِيَارَفَةِ الْأَلْفَاظِ .
فَكَانَ هَذَا الْمَرْبَدُ فِي الْإِسْلَامِ أَشَبَّ بِسُوقِ عَكَاظٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَسْوَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ
وَهُدُّثَ الْجَاهِلَيَّةُ عَنْ فَرِيقٍ كَبِيرٍ مِنَ الثَّقَاتِ وَعَمَدِ السَّنَدِ ، نَخْصُ بِالذِّكْرِ
مِنْهُمُ الْقَاضِي أَبَا يُوسُفُ^(٤) صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَيَزِيدُ بْنَ هَارُونَ^(٥) ،

(١) هُوَ أَبُو زِيدِ سَعِيدِ بْنِ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ الْإِمَامُ الْحَجَّةُ الْفَقِهُ فِيهَا
يُرَوَى مِنَ الْلُّغَةِ وَالْأَدْبِ وَالْأَخْبَارِ . وَالْأَشْعَارُ تَوَفَّى سَنَةً ٢١٥ هـ .
(٢) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدِ بْنِ مُسْعِدَ الْأَخْفَشِ الْمَاجَشِيِّ بِالْوَلَاءِ . مِنْ
أَكَابِرِ نَحَّاءِ الْبَصْرَةِ وَعُلَمَّاهُ وَكَانَ مَعْتَزِلِيَا . قَالَ الْبَلَغِيُّ : أَصْلُهُ مِنْ خَوَارِزمِ
مَاتَ سَنَةً ٢٢١ هـ .

(٣) هُوَ أَبُو سَعْقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَارِبْنِ هَانِيِّ النَّظَامِ . أَحَدُ شِيوْخِ الْمُعَزَّلَةِ
وَأَوْحَدُهُمْ فِي الْفَطْنَةِ وَالْذِكَاءِ . وَكَانَ مُتَكَلِّماً شَاعِراً أَدِيَّا بِلِغَةِ الْلِّسَانِ حَادِّ
الْذِهْنِ . وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٨٥ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٢١ هـ .

(٤) هُوَ قَاضِيُّ الْقَضَايَا أَبُو يُوسُفِ يَعْقُوبُ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْأَنْصَارِيِّ كَانَ
فِي أَوْلَى أَمْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ثُمَّ صَحَبَ أَبَا حَنِيفَةَ وَهُوَ الَّذِي أَشْهَرَ مِذَهِبَهُ
وَقَيْدَهُ وَحَرَرَهُ . تَوَلَّ الْقَضَايَا بِعِدَادِ زَمَانٍ وَمَاتَ سَنَةَ ١٨٦ هـ فِي خَلَافَةِ الرَّشِيدِ .
(٥) هُوَ أَبُو خَالِدِ يَزِيدِ بْنِ هَرُونَ مَوْلَى بْنِ سَعِيدٍ . كَانَ فَقِيَاً مَحْدُثًا تَوَفَّى
بِوَاسِطَةِ سَنَةِ ٣٠٦ هـ .

والسرّي بن عبدويه ، والحجاج بن محمد بن حماد بن سلمة وغيرهم
وعن الماجحظ أخذ خلق كثير نذكر منهم المبرد^(١) ويموت بن
المزرع ، وأبا بكر بن أبي داود السجستاني المحدث ، ومحمد بن عبد الله بن أبي
السطاب ، وغيرهم من يكاد يخفيهم الحصر

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثالثي الازدي البصري
المعروف بالمبرد . كان من أئمة اللغة والأدب فصيحاً بلينا ثقة صاحب أخبار
ونوادر وطرائف صنف كتاباً في الأدب كثيرة ولعل أفضليها كتابه «الكامل»
وهو من أمهات كتب الأدب التي عليها المعمول . وقد شرح هذا الكتاب الفيس
معاصرنا الفاضل المرحوم الشيخ سيد بن علي المرصفي أحد علماء الازهر شرعاً
جيداً ، وقد أبدى فيه كثيراً من النقد والملحوظات والفوائد دلت على ذوق
حسن واطلاع ، واسع وطبعه في عدة أجزاء ودعاه «رغبة الآمل من كتاب
الــكامل» وكان مولد المبرد سنة ٢١٠ هـ ووفاته سنة ٢٨٥ هـ

الفصل الرابع

في

موارد رزقه وبسطة جاهه

يظهر من حال أبي عثمان أنه كان في أول أمره في ضيق من الرزق، وخاصة من العيش . فقد رُوى أنه وهو في دور الطلب كان يعاني الاتجار في الخبز والسمك بسيحان^(١) . وسواء صحت هذه الخبر أم لم يصح، فهو دليل على أنه نشأ معنِياً بأمر نفسه . وليس في هذا شيءٌ من الفضاعة عليه . فلما عرف فضله ، وانتشرت مصنفاته ، وذاع ذكره في الآفاق أقبلت عليه الدنيا . واتسعت موارد رزقه ، وعلا حظه ، ونبَل جده ، وطاب عيشه ، ودرت عليه أخلف النعم ، ودرج في بحبوحة من اليسر والرخاء . ومن هذا الذي نورده عليك تعرف طرقاً من موارد رزقه . فقد كان الفتح بن خاقان^(٢)

(١) سihan هذا نهر بالبصرة أصلحه البرامكة وأطلقوا عليه هذا الاسم

(٢) هو الفتح بن خاقان ، ترك الأصل من أبناء الملك . مولى المتوك . وزيره وموضع نجواه ، بل اتخذه المتوك أخاه وقدمه على أهله ، وكان خاصاً به حظياً عند الملك . وكانت منزلته من الخليفة فوق كل منزلة . كان كتاباً بليغاً وشاعراً فصيحاً وخطياً مفوهاً . وكان له غرام بالكتب . ولد المتوك على الشام وأمره أن يستنيب عنه وكان موصوفاً بالشجاعة والرئاسة والكرم والسؤدد ، وله في الجود والوفاء والظرف أخبار حسان . وكان حادذاً كلام قوي الفطنه حاضر البديهيه . قيل : دخل الخليفة المعتصم يوماً على خاقان . يعوده فرأى الفتح ابنه صغيراً لم يشعر فازحه وقال : أيما أحسن دار الخليفة

وزير الخليفة المتوكّل على الله العباسى^(١) وصاحب تدبره ، يعرّف للباحث حقه ومبراته ويقدر مكانته وينزله في الكرامة بالقائم الالائق به .

كتب هذا الوزير من دار الخلافة ببغداد إلى الماجاهظ يقول :

« إن أمير المؤمنين يحمدُ بك . وييُهش عند ذكرك . ولو لاعظمتك . »

أم داركم ؟ فقال الفتح : دارنا أحسن إذا كان أمير المؤمنين فيها . فقال المعتصم : والله لا أُبرح حتى أثُرُ عليه مائة ألف درهم . وكان له خزانة كتب جمعها له على بن يحيى النجم لم ير أعظم منها كثرة وحسنا . وكان يحضر داره فصحاء العرب وعلماء البصرة والكوفة وزعم بعضهم أنه مع ما كان له من هذه المكانة والمزاولة لم يكن يرجي فضله ولا يخاف شره . ومن شعره قوله :

لست مني ولست منك فدعني وأمض عن مصاًحاً بسلام
وإذا ما شكوت ما في قالت قد رأينا خلاف ذات المنام
لم تجد علة تجني بها الذنب فشارت تعتل بالآحلام
وقوله :

وإني وإياها لكافر والفتى متى يستطيع منها الزيادة يزدد
إذا ازددت منها ازدت و جداً بقربها فكيف احتراسي من هو يتجدد .
وقوله :

أيها العاشق المذهب صبراً نخطايا أخرى الهوى مغفورة
زفرة في الهوى أحاط لذنب من غزاة وجحة مبرورة
وله من المصنفات كتاب « البستان » وكتاب « الصيد والجوارح » .

قل مع المتوكّل سنة ٢٤٧ هـ

(١) هو الخليفة جعفر بن المعتصم بن هرون الرشيد . المتوكّل على الله العباسى .
بويع له بالخلافة يوم توفى الواثق سنة ٢٣٢ وأمه أمّة يقال لها شجاع . وكان
صاحب هوى وشراب وهو أول من جروا الأذراك على قلبه بتحرىض ولده .
المتّصر ، وكان ذلك أول ما أدخل الوهن على الخلافة العباسية . قلبه باغر
التركي سنة ٢٤٧ هـ

فـ تـقـهـ لـعـلـكـ وـمـعـرـفـتـكـ ، لـحـالـ يـبـنـكـ وـيـنـ بـعـدـكـ عـنـ جـلـسـهـ ، وـلـغـصـبـكـ رـأـيـكـ وـتـدـبـيرـكـ فـيـاـ أـنـتـ مـشـغـولـ بـهـ ، وـمـتـوفـرـ عـلـيـهـ . وـلـقـدـ كـانـ أـلـقـىـ إـلـىـ مـنـ هـذـاـ عـنـوـانـهـ ، فـزـدـتـكـ فـيـ تـقـهـ زـيـادـةـ كـفـ بـهـ عـنـ تـجـشـيـمـكـ . فـاعـرـفـ لـيـ هـذـهـ الـحـالـ ، وـاعـتـقـدـ هـذـهـ الـمـيـنةـ عـلـىـ كـتـابـ «ـ الرـدـ عـلـىـ النـصـارـىـ »ـ وـافـرـغـ مـنـهـ ، وـعـجـلـ بـهـ إـلـىـ ، وـكـنـ مـنـ جـدـاـ بـهـ عـلـىـ تـقـهـ ، وـتـنـالـ مـشـاهـرـتـكـ . قـدـ اـسـطـلـقـتـهـ لـمـاضـيـ وـاسـتـسـلـفـتـ الـكـلـسـنـةـ كـامـلـةـ مـسـتـقـبـلـةـ ، وـهـذـاـ مـاـلـ تـحـمـلـ بـهـ نـفـسـكـ . وـقـدـ قـرـأـتـ رـسـالـتـكـ فـيـ «ـ بـصـيـرـةـ غـنـامـ »ـ وـلـوـلـاـ أـنـيـ أـزـيدـ فـيـ مـخـيـلـتـكـ لـعـرـفـتـكـ مـاـيـعـتـرـيـنـيـ عـنـ قـرـاءـتـهـاـ وـالـسـلـامـ »ـ

فـأـنـتـ تـرـىـ مـنـ خـوـىـ هـذـاـ الـخـطـابـ أـنـ الـجـاحـظـ كـانـ لـهـ وـظـائـفـ مـالـيـةـ يـتـقـاضـاـهـاـ مـنـ دـارـ الـخـلـافـةـ شـهـرـيـاـ ، وـذـلـكـ فـضـلـاـ عـنـ الـمـيـنـ وـالـعـطـاـيـاـ وـالـإـدـرـارـاتـ الـتـيـ كـانـتـ تـنـهـالـ عـلـيـهـ مـنـهـاـ الـمـنـاسـبـاتـ . وـمـاـ كـانـ يـتـقـرـبـ بـهـ إـلـيـهـ وـزـرـاءـ الـدـوـلـةـ وـأـحـبـابـ السـلـطـانـ فـيـهـاـ كـالـبـراـمـكـةـ^(١)ـ وـالـطـاهـرـيـةـ^(٢)ـ وـالـفـتـحـ اـبـنـ خـاقـانـ وـابـرـاهـيمـ اـبـنـ العـبـاسـ الصـوـلـيـ^(٣)ـ وـمـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـمـالـكـ

(١) البرامكة هـمـ أـبـيـاءـ خـالـدـ بـنـ بـرـمـكـ . وـهـمـ سـلاـلـةـ بـعـضـ عـظـاـمـ «ـ الفـرسـ »ـ . وـكـانـ يـضـرـبـ بـهـمـ الـمـثـلـ فـيـ الـفـضـلـ وـالـجـوـدـ وـالـسـخـاـنـ وـالـكـرـمـ وـالـشـهـامـةـ وـمـحـاسـنـ الشـيـمـ وـقـدـ أـبـادـهـمـ الرـشـيدـ فـيـ خـبـرـ طـوـيـلـ . وـأـمـرـهـمـ مـعـرـوفـ

(٢) الطـاهـرـيـةـ فـيـ أـبـيـاءـ طـاهـرـ بـنـ الـحـسـينـ الـقـائـدـ الشـهـيرـ الذـىـ وـطـدـدـ عـامـ دـوـلـةـ الـمـأـمـونـ وـأـزـالـ دـوـلـةـ الـأـمـيـنـ . هـمـ قـادـةـ سـرـةـ نـبـلـاءـ أـجـوـادـ تـولـىـ مـنـهـمـ مـصـرـ عـبـدـ اللهـ بـنـ طـاهـرـ . وـخـبـرـهـمـ مشـهـورـ

(٣) هـوـ أـبـوـ اـسـحـاقـ اـبـرـاهـيمـ بـنـ العـبـاسـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ صـوـلـ تـكـيـنـ الصـوـلـيـ أـصـلـ جـدـهـ صـوـلـ تـرـكـ تـمـجـسـ وـأـنـخـذـ شـعـارـ الفـرسـ وـكـانـ مـلـكـاـ عـلـىـ جـرـجـانـ وـأـسـلـمـ عـلـىـ يـدـ زـيـدـ بـنـ الـمـهـلـبـ وـقـاتـلـ بـيـنـ يـدـيهـ حـتـىـ قـتـلـ مـعـهـ يـوـمـ الـعـقـرـ . وـكـانـ اـبـرـاهـيمـ كـاتـبـاـ بـلـغاـ وـشـاعـراـ بـجـيدـاـ . قـالـ الـمـسـعـودـيـ لـاـ يـعـلـمـ فـيـمـ تـقـدـمـ وـتـأـخـرـ مـنـ

الزيات^(١) وأحمد بن أبي دؤاد^(٢) وأمثالهم من ذوى الكلمة المسموعة والإرادة المطاعة . سأله ميمون بن هرون^(٣) الجاحظ – ورأى ما هو فيه من النعمة السابقة والجاه العريض – : ألمك ضيعة بالبصرة؟ فتبسم الجاحظ وقال: إنما أنا ، وجاري يهلي ، وجاري تخدمها ، وخادم وحمار ؟ أهدى كتاب « الحيوان » إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهدى كتاب « البيان والتبيين » إلى أحمد بن أبي دؤاد فأعطاني خمسة

الكتاب أشعر منه . وقال دقبل بن علي الخزاعي الشاعر: لو تكتب ابراهيم ابن العباس بالشعر لتركنا في غير شئ . تقلب في أعمال السلطان وتنقل في الدواوين . وتوفي وهو يلقي ديوان الضياع والنفقات سنة ٢٤٣ هـ بسر من رأى (١) هو محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الكاتب البليغ . تولى الوزارة للعتصم والواشق ، فلما ولى الخلافة المتوكلا كان واجدا عليه قتله ، على ما قبل ، في توره الشهير . وكان الجاحظ يميل إليه ويؤثره بوده وإخلاصه . توفى سنة ٢٣٣ هـ

(٢) هو القاضي السرى العظيم أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الأيدى صاحب السلطة والجاه والنفوذ في دولة العتصم والواشق . كان بعيد الهمة واسع المرءة مهيب الجانب مقيل العثرات . وكان الخليفة العتصم لا يرد له طلبا كائنا ما كان . ولم يكن يطلب شيئاً قط لنفسه وإنما كانت همه مصروفة إلى قضاء مصالح الناس والسعى في خيرهم والعمل على إنقاذهم من ورطات الحياة والترفة عنهم وحفظ ماء وجههم وحقن دمائهم ، وله في أعمال البر وإسداء المعروف أيداد لم يلحق شاؤه فيها غيره . وله في ذلك حوادث وأخبار هي متتهي عجب العاجب . وكان العتصم يقول فيه: هذا والله الذى يتزين بمثله ، ويتباهي بقربه ، ويعبد به ألف من جنسه . توفي بالفالج سنة ٢٤٠ هـ

(٣) هو ميمون بن هرون : الكاتب الأخبارى الرواية

آلاف دينار ، وأهديت كتاب « الزرع والنخل » إلى إبراهيم بن العباس .
الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار . فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيحة
لأحتاج إلى تجديد ولا تسديد !

وإذا كانت هذه هي حال المحافظ وهذا مبلغ حظه من أبناء زمنه ، فلا
عجب إذا تمكن من أن يملاً طباق الأرض علمًا ، وأن يعلو على أمثاله .
فضلاً وفها ، وأن يقدم لغة العربية هذه المصنفات التي وضعها في كل ضرب .
من ضروب العلوم وفن من فنون الآداب ، على كثرتها وجليل شأنها ،
فإن العطايا واللهى تفتح اللهى ! على شريطة الاستعداد الفطري والكفاية .
الظاهرة

دخل عليه بعض إخوانه فقال له : كيف حالك يا أبا عثمان ؟ قال .
المحافظ : سألك عن الجملة فاسمعها مني واحداً واحداً : حالى أن الوزير
يتكلم برأى وينفذ أمرى ، ويواتر الخليفة الصّلات إلى ، وأكل من لم
الطير أسمها ، وأليس من الثياب أليها ، وأجلس على ألين الطبرى ،
وأنكى على هذا الريش ، ثم أسير على هذا حتى يأتي الله بالفرج ؟ قال .
الرجل : الفرج ماأنت فيه ! فقال : بل أحب أن تكون الخلاقى ، ويعمل .
محمد بن عبد الملك بأمرى ويختلف إلى ، فهو الفرج !

بهذه العبارة قد وصف المحافظ حاله وبسطة جاهه . وما ذكره الخلاقة .
إلا أمنية من أمنى النفس التي لاحد لها في مطامعها . ولعله وهو يقول هذا
قد أبدى لسؤاله إشارة أخرج بها الكلمة مخرج المزاح ، وإلا فثل هذه .
العبارة متى خرحت مخرج الجد كانت غير مأمونة العاقبة . والمحافظ أعقل .
من أن يعرض نفسه للمعاطب ، وهو يعلم أن الملك عقيم

الغصل انحصار

فـ

رأسته لديوان الرسائل

كان ديوان الرسائل في المالك الإسلامية من أهم ما يدور عليه محور السياسة العامة للدولة. وكان لا يمهد فيه إلا لذوى الشرف والنباهة من الثقات الكفأة ، وكان لا يليه إلا الحذاق الضاربون بالسهام الواقفة في مختلف العلوم . والأداب ، وإلا أصحاب السياسة والتدبير ، والكياسة والتقدير ، على أن يكون القائم باعبئته متفوقاً في صنوف البلاغات وضروب الإبانات . وقد كان ابراهيم بن العباس الصولى من ينوبون فيه حتى أوائل عهد المؤمنون ، وكان الجاحظ يختلف فيه إذا تغيب في شأن من الشؤون الخاصة أو العامة . ثم أصدر المؤمنون أمره بسانده إلى الجاحظ . فتصدّع بالأمر على كره منه . ويظهر أن توقيه هذا الديوان واقتعاده هذا المنصب الخطير ، أثار عليه حفائظ الكتاب ، فأخذوا في دس الدسائس ضده وبث الوشاية به . وهذا بادر الجاحظ بعد ثلاثة أيام من توقيه إلى الاستغفاء متذرراً لل الخليفة بما فتح الله عليه من الأعذار ، فأغفاه . وكان سهل ابن هرون^(١) يقول : إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب ...

(١) هو أبو عمرو سهل بن هارون بن راهبون . أصله من دستميسان من بلاد فارس . انتقل إلى البصرة ولقى علماءها وأفاد منهم علماً وأدباً ، ثم أتقلل بالمؤمنون فحفظ عنده وتولى له « خزانة الحكمة » وهي دار الكتب . وكان كتاباً بليغاً جمع بين الحكمة والأدب . وله شعر جيد . وكان شعوبياً المذهب شديد العصبية على العرب ، وكان نهاية في البخل ، وله فيه حكايات ونوادر

فهل كان الماحظ من أحرار الكتاب الذين وقفوا أقلامهم على وحي

قال دعبدل بن علي الخزاعي : كنا عنده يوما فأطلانا القعود حتى كاد يموت
جوعا ثم قال لفلامه : ويحك غدنا ! فأنى بقصعة فيها ديك مطبوخ فتأملها
ثم قال : أين الرأس ؟ قال : رميت به . فقال : والله إنني لأمقت من يرمي برجليه
فكيف برأسه ؟ ولو لم أكره ما صنعت إلا للطيرة والفال لكرهته ، أما
علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصدق الديك ولو لا صوته ما أريد
وفيه الفرق الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال :
شراب كعین الديك ، ودماغه عجيب لوجم الكلية . ولم نر عظاماً أهش تحت
الأسنان منه ؟ وهل ظنت أن لا آكله ؟ إن العيال يأكلونه ! وإن كان قد
بلغ من بذلك أنك لا تأكله فتدمنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من
طرف الجناح ومن رأس العنق ؟ أنظر أين هو ؟ فقال : والله يا سيدى
ما أدرى أين هو ولا أين رميت به ؟ فقال : أنا أدرى أين رميت به ! رميت
به في بطنك قاتلك الله . وكتب رسالة في البخل وبالغ في مدحه وبعث بها إلى
الحسن بن سهل وزير المؤمن واستباحه عليها فوق الحسن على ظهرها بقوله :
وصلت رسالتك ، ووقفنا على نصيحتك . وقد مدحت ما ذم الله وحسنت
ما قبح ، وما يقوم فساد معناك بصلاح لفظك ، وقد جعلنا ثوابك عليها قبول
قولك والتصديق لك ، فما نعطيك علينا شيئاً والسلام . ومن شعره قوله :

تقاسمني همان قد كسفا بالى
هنا أذريا دمعي ولم تذر عربى
ولا فهوة لم يبق منها على المدى
ولكتنى أبىكى بعين سخينة
فراق خليل مثله يبعث الآسى
فوا أسفًا حتى متى القلب موجع
فما العيش إلى أن تجود بنائل
وله كتب كثيرة وفوائد جمة تدل على فضل كثير وحكمة بالغة . مات
في عهد المؤمنون

إرادتهم ، فلا يرون الواقع تحت نير الأعمال السلطانية ، ولا يحبون أن يجعلوا أقلامهم وفق إرادات ذوى السلطان من الخلفاء والملوك والوزراء وأرباب الدولة ؟ أم كان من الذين يرون في هذه الوظائف وسائل الرفعة الواسعة والجاه العريض ؟ الظاهر أن ميله إلى التحرر من ربة النظم الديوانية كان أغلب عليه من الواقع تحت طوائفها . وفي الحقيقة أن الماحظ كان طلق عنان العقل حاد شبا القلم . وكان أشبه الناس بكتاب الصحف لهذا العهد ، ومن أعلى طبقة في هذا النوع . وقد بلغ به الأمر في تحريف الوظائف والموظفين أن دخل يوماً ديوان المكاتب فرأى قوماً قد صقلوا ثيابهم ، وصفعوا عماماتهم ، وَوَسُوْا طُرُزَهُم ، فقال : هؤلاء كما قال الله تعالى : « فأما الزَّيْدُ فِي ذَهَبٍ جَاءَ » ظواهر نظيفة ، وبواطن سخيفة « فَوَيْلٌ لَهُمْ مَا كَتَبْتَ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مَا يَكْسِبُونَ »

على أن الماحظ لم يترك قوله سهل بن هرون تم بلا جزاء ، ولم يتسامح معه فيها . ولعل لسهل يداً في استثارة حميته وخروجها من الديوان . فقد جعل الماحظ من سهل بن هرون المثل المضروب في البخل والبخلا ، لأن سهلاً وضع رسالة بليفة في مدح البخل وذم الكرم جعلت اسمه شنعة في سائر الأجيال . وما مدح البخل إلا لثيم ، ولا ذم الكرم إلا زنيم . ومن أطرف ما حصل من الماحظ وهو يتولى ديوان الرسائل نيابة عن الصولى أن أبو العيناء^(١)

(١) هو أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر العيسي مولى المنصور عرف بأبي العيناء لكبر حدقته مع حول وضعف بصره . كان شاعراً مجيداً وكانت ابليغاً . حاضر الجواب قوى البديبة ، فصيح اللسان ، مخنثي الجانب لفضل لسانه . ولما بلغ الأربعين لف بصره . وروى عنه أنه قال : أنا والماحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ يغداد فقبلوه إلا ابن شيبة

جاءه في أمر فلما أراد الانصراف أسر الماحظ إلى حاجبه أنه إذا وصل إلى
الدهليز لا يدعه يخرج ولا يمكنه من الرجوع إليه . فلما خرج أبو العيناء من
بين يديه وصار في الدهليز حجزه الحاجب وضيق عليه . فنادى بأعلى صوته :
يا أبا عثمان ، قدار يتنا قدرتك ، فأرنا عفوك ؟

ولم يكن ذلك من الماحظ إلا دعابة ، مع صديقه أبي العيناء صاحب
النوادر والملح والنكلاء

العلوي فإنه قال : لا يشبه آخر هذا الحديث أوله . ولهم نوادر وأخبار وطرائف
غاية في الإبداع والطيب . ولد باللاهوار سنة ١٩١ هـ وتوفي سنة ٢٨٢ هـ



لِفْصِيلِ السَّيَادِسْ

فِي

مَعَارِفِهِ وَاحِاطَتِهِ

أَتَقْنَ الْجَاحِظُ عِلْمًا كَثِيرًا ، وَتَعْرَفُ أَلْوَانًا مِنَ الْمَعَارِفِ شَتِّي ، وَقَرَأَ كُتُبَ الْأُوَالِيَّةِ مِنْ فَلَاسْفَةِ الْيُونَانَ ، وَحُكَمَاءِ الْهَنْدَ ، وَعُلَمَاءِ الْفَرْسَ ، وَأَدْبَارِ الرُّومَانَ ، وَنَظَرَ فِي ثَمَرَاتِ قَرَائِبِهِمْ وَمَنْتَجَاتِ أَذْهَانِهِمْ ، حَتَّى لَمْ يَنْقُلْ كِتَابًا إِلَى الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنِّي عَلِمْتُ وَفِي أَيِّ فِنِّ إِلَى قَرَأَهُ وَاسْتَظَهَرَهُ وَتَمَثَّلَهُ . قَالَ أَبُوهَفَانَ^(١) : لَمْ أَرْ قَطْ وَلَا سَمِعْتُ مِنْ أَحَبِّ الْكِتَابَ وَالْعِلُومَ أَكْثَرَ مِنْ الْجَاحِظَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِيَدِهِ كِتَابًا قَطْ إِلَّا اسْتَوْفَى قِرَاءَتَهُ كَائِنًا مَا كَانَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَكْتُرُ دِكَّاكِينَ الْوَرَاقِينَ (بَاعَةِ الْكِتَابِ) يَبْيَسْ فِيهَا لِلنَّظَرِ . . . وَكَانَ كَثِيرًا مِنَ الْحَفْظِ وَاسِعَ الْرَّوَايَةِ قَوِيًّا الْحَجَةِ نَاصِعَ الْبَرْهَانَ . وَأَقْرَبَ مَا يُوصَفُ بِهِ أَنَّهُ كَانَ دَائِرَةَ مَعَارِفِ أَحَاطَتْ بِعِلْمَوْمَاتِ أَهْلِ دَهْرِهِ .

وَيُؤَخَذُ مِنْ بَعْدِ حَالِهِ أَنَّهُ كَانَ يَجْمِدُ الْلُّغَةَ الْفَارَسِيَّةَ . فَإِنَّ مَتْصِفَهُ رِسَالَتَهُ «الْتَّرْبِيعُ وَالتَّدْوِيرُ» وَكِتَابَ «الْحَيْوَانُ» وَ«الْبَيَانُ وَالتَّبَيِّنُ» وَغَيْرُهَا مِنْ مَصْنَفَاتِهِ لَا يَسْعُهُ إِلَّا الْخَرُوجُ مِنْهَا مَتَّلِئًا النَّفْسَ بِإِحْسَانِ الْجَاحِظِ هَذِهِ الْلُّغَةِ . أَجْلَ لِيَسْ هَنَاكَ نَصٌّ صَرِيحٌ يَلْأِيْدَ الْبَاحِثِ فِي هَذَا الشَّأنِ .

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَرْبٍ أَبُو هَفَانَ الْمَزْمِيُّ الْبَصْرِيُّ . كَانَ نَحْوِيَا أَدِيَا رَاوِيَةً صَاحِبَ أَخْبَارٍ . وَكَانَ ضَيْقُ الْحَالِ مَقْتَرًا عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ كَثِيرٌ التَّبْرِيمُ بِالْعِيشِ

ولكن هناك من العبارات والألفاظ ما يدفع إلى استنباط هذا الرأى .
ومن أقرب الشواهد على ذلك قول الماجحظ :

« واللقتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منها الضيم
على صاحبها إلا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار الأسواري ، وكان من
أعاجيب الدنيا . كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان
يجلس في مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ
الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس
فيفسرها لهم بالفارسية . فلا يدرى بأى لسان هو أبین »

هذا شاهد غير أنه على ما أرى ليس بكاف ، لأن قوله « إلا ما ذكروا » .
جعله رواية منقولة عن قائلين ، وأنه لم يشهد مجالس الأسواري ، ولكنه حدث
بها فتحدث عنها . وليس معنى تعلمه للغة الفرس هو الذي جعله أدبياً مستكمل
الآلية كما يريد أن يذهب إليه بعض معاصرينا من يبغضون اللغة العربية
لجهلهم بها . فاللغة العربية وحدها كافية لتخريج أديب تام الآلة مستكمل
الأدوات كالملاحظ وأضرابه

على أنني مها تعزز النص على معرفة الملاحظ للغة الفرس ، ما أزال
أحس وأشعر بأنه كان يعرفها . إذًا : فسألة عرفان الملاحظ باللغة الفارسية
تُستنبط بالقوة من خلال السطور في كتبه ، ولا تؤخذ بالنص
وما يدل على سعة معارفه وإحاطته ما قاله أبو بكر أحد بن على ^(١) فيما
روى عنه أنه قال :

(١) هو أبو بكر أحد بن على بن أبي حور بن الأخشيد . كان والده أحد كبار
القواعد من الفراغنة ولـى الثغور للمعتمد والمكتفى . قال ابن حزم : وكان
أبو بكر هذا أحد رؤساء المعزلة الثلاثة الذين انتهت إليهم الرئاسة —

كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام . وكان واسع العالم بالكلام ،
كثير التبحر فيه ، شديد الصبطة لحدوده ، ومن أعلم الناس به وبغيره من
علوم الدين والدنيا،وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الدين ، وفي
حكایة المخالفين ، و [في] الآداب والأخلاق ، وفي ضروب من الجن والهزل .
وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها . وإذا تدبر العاقل المميز أمر
كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول ، وشحذ الأذهان ، ومعرفة أصول
الكلام وجواهره ، وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزاز إلى القلوب .
كتب تشبيها . والجاحظ عظيم التدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء
الذين يعرفون الرجال وييزون الأمور

أظن أنه ليس بعد هذا في هذا الباب كلام

وافتقت المعتزلة على مذاهبهم ، والثاني أبو هاشم الجباني ، والثالث عبد الله
ابن محمد بن محمود البختي المعروف بالكعبي وقال ابن النديم : ابن الاشتاد
من أفضل المعتزلة وصلحائهم وزهادهم، وكانت له ضيعة منها مادته وكان ينفق
أثر ما يحمل إليه منها إلى العلم وأهله . وكان فصيحاً بينا طلق اللسان قيماً
بالعربية والفقه وسائر العلوم . وله عدة كتب ، توفي سنة ٣٢٦ هـ

لِفَصْلِ الْبَيَانِ

فِي

وضعه الكتب على ألسنة المقدمين

ووضع غيره الكتب باسمه

لم يكن الملاحظ في طالعة أمره ومستهل نشأته سعيد الجد ، ولا نبيل الحظ ، بل قد أصابه من الخول ، وعدم التقدير ما يصيب أكثر المشغلين بصناعة القلم في كل عصر ، وفي كل مصر ؛ حتى يومنا هذا . ويظهر أن تقدير آثار الماضين ، واعتبار أعمال الغابرين ، فكرة عريقة في القدم لها في النفوس سلطان ، وفي الصدور تمكين وإمكان ، وهو في المخيلة منزلة قد لا تزاحما عليها منزلة أخرى . فقد روى المسعودي^(١) في كتابه « التنبية والإشراف » أن الملاحظ على جلالة قدره كان يقول :

كنت أولف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، وأنسبه إلى نفسى فلا أرى الأسماع تصغر إلية ، ولا الإرادات تتيم نحوه ، ثم أولف

(١) هو أبو الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ المشهور ينتهي نسبه إلى عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل . وكان من أفضل المؤرخين علامة إخبارياً ذا نوادر وملح وغرائب وتحف ، وكتابه مروج الذهب من أجل كتب التاريخ وأتمها . وله غيره كتب كثيرة ، ومنها كتاب التنبية والإشراف . وهو بغدادي الأصل رحل إلى الأفاق ثم أقام بمصر مدة

ما هو أقصى منه رتبه ، وأقل فائدة ، وأنخله عبد الله بن المقفع^(١) ، أو سهل ابن هرون ، أو غيرها من المتقدمين من صارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها ، ويشارعون إلى نسخها ، لا شيء ، إلا لكتابتها للمتقدمين ، وما يدخل أهل هذا الصرم من حسد من هو في عصرهم ومنافته على المناقب التي عنى بتشييدها

وهذا قول صريح في أن الماجھظ ألف كتاباً ونسبها إلى طائفه من الكتاب والمصنفين ومن بينهم ابن المقفع وسهل بن هرون . ومن الغريب أن يمر على هذا الإعتراف الصريح أحد عشر قرناً ولم يتم من كتاب العربية باحث واحد ينظر في كتب ابن المقفع ويضع مقارنة بين أسلوبها وأسلوب الماجھظ وبين بها ما قد يكون لغيره منها . ولعل المانع من ذلك قلة مافي اليد من آثار ابن

(١) هو عبد الله بن المقفع . قال الماجھظ : « ومن المعلمين ثم من البلغاوات والمتأدبين عبد الله بن المقفع ، ويكنى أبو عمرو ، وكان يتولى لالاً لهم وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعانى وابتداع السير وكان جواداً فارساً جيلاً ، وكان إذا شاء أن يقول الشعر قاله ، وكان يتعاطى الكلام ولم يكن يحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً ، وكان ضابطاً لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غر المغتر ، ووثق الواقع ، وإذا أردت أن تعتذر بذلك فإن كنت من خلص المتكلمين ومن النظاريين ، فاعتبر ذلك بأن تنظر في آخر رسالته الماشيه ، فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم ، ردى المدخل في مواضع الطعن عليهم . وقد يكون الرجل يحسن الصنف والمصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك أنه لا يحمل عقله على شيء إلا بعد به فيه ». وقال ابن الديم : اسمه بالفارسية روزبه . وكان يكتن قبل إسلامه أبو عمرو فلما أسلم اكتن بأبي محمد . وكان يكتب أولاً لداود بن عمر بن هيرة ثم كتب العيسى بن علي . ولد سنة ١٠٦ هـ وقتل سنة ١٤٢

المقفع التي قد يكون ذهب بجمهوّرها عادى الدهر كذهب بأكثـر كتب
الجاحظ وبجملة كتب سهل بن هرون
وكـا حمل الجاحظ على غيره من الأدباء كـتبـا ليست لهم ، كذلك حمل
عليه الأدباء والمصنفون من بعده الشـيـء ، الكـثيرـ منها ، ولا يزال يـنـسـبـ إـلـيـهـ
ما ليس له منها إلى الآـنـ . فقد نـسـبـ إـلـيـهـ منهاـ قـدـيـعـاـ : كـتـابـ «ـالـأـبـلـ»ـ وـكـتـابـ «ـتـبـيـهـ
ـالـمـلـوـكـ وـالـمـكـاـيدـ»ـ ذـكـرـ ذـلـكـ يـاقـوتـ فـيـ مـعـجمـهـ . كـاـ نـسـبـ إـلـيـهـ كـتـابـ «ـتـبـيـهـ
ـالـمـلـوـكـ وـالـمـكـاـيدـ»ـ أـشـارـ إـلـىـ ذـلـكـ أـحـمـدـ زـكـيـ باـشاـ .

ونـسـبـواـ إـلـيـهـ كـتـابـ «ـالـخـاـصـنـ وـالـاـخـنـدـادـ»ـ وـنـسـبـ إـلـيـهـ أـحـمـدـ زـكـيـ باـشاـ
ـكـتـابـ «ـالتـاجـ»ـ كـاـ نـسـبـ إـلـيـهـ الفـاضـلـ رـاغـبـ الطـبـاخـ كـتـابـاـ إـسـمـهـ «ـالـدـلـائـلـ»ـ
ـوـالـاعـتـبـارـ عـلـىـ الـخـلـقـ وـالـنـدـيـرـ»ـ وـطـبـعـ هـذـاـ الـكـتـابـ أـخـيـراـ فـيـ حـلـبـ .
ـوـلـيـسـ فـيـ أـسـلـوبـهـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ لـجـاحـظـ أـوـ مـنـ بـاـبـتـهـ



لِفَصْلِ الشَّامِنْ

فِي

مَقَامِهِ فِي رَأْيِ خُصُومِهِ

لِاجْحَاظِ ، كَمَا لِغَيْرِهِ مِنْ نُوادرِ الرِّجَالِ ، خُصُومُ يَنْقِبُونَ عَنْ مَثَابِهِ وَيَذِيْعُونَهَا
فِي النَّاسِ ، كَمَا لِأَنْصَارِ يَعْرُفُونَ مَنَاقِبَهُ وَيَبْشِرُونَ بِهَا وَيَنْشِرُونَهَا بَيْنَ الْمَلَأِ ،
وَكُلُّا اخْصُومُ وَالْأَنْصَارُ لَا يَفْتَرُونَ عَنِ الْمَجْوُمِ وَالْمَدْفَاعِ وَعَنِ الْمَجَادِلَةِ فِيهِ
وَالْمَجَالِدَةِ لَهُ . شَأْنَ كُلِّ عَظِيمٍ لَهُ فِي الْحَيَاةِ الْعَامَةِ أَثْرٌ ظَاهِرٌ وَعَمَلٌ باهِرٌ ، وَقَدْ
رَأَيْنَا أَنْ تَلِمُ فِي هَذَا الفَصْلِ بِمَا ثَلَبَهُ بِهِ خُصُومُهُ ، وَبِمَا رَمَاهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ ، أَوْ وَصَفَهُ
بِهِ أَنْدَادُهُ وَقَرْنَاؤُهُ ، لِنَعْرُفَ وَزْنَ مَا دَمَوهُ بِهِ مِنَ الْمَآخِذِ وَالْمَالِبَ ، حَتَّى يَمْكُنَ
ذِنْتَهَا بِمَا عَرَفَ لَهُ مِنْ مَنَاقِبِهِ . وَأَوْلَى مَا نَبْدَأُ بِهِ مَطَاعِنُ ابْنِ قَتِيَّةِ^(١) فِيهِ
عَلَى مَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ « تَأْوِيلِ مُخْتَلِفِ الْحَدِيثِ » قَالَ :

ثُمَّ نَصِيرُ إِلَى الْجَاحِظِ ، وَهُوَ آخِرُ الْمُتَكَلِّمِينِ ، وَالْمَعَايِرُ عَلَى الْمُتَقْدِمِينِ ،
وَأَحْسَنُهُمْ لِلْحَجَةِ اسْتِثْنَاءً ، وَأَشَدُهُمْ تَلْطِيفًا لِعَظِيمِ الصَّفَيْرِ حَتَّى يَعْظُمُ ، وَتَصْفِيرُ الْعَظِيمِ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . كاتب اديب
كثير التصانيف ذات معرفة باللغة والأخبار وأيام الناس . ولـ قضاء الدينور
قال عنه البيهقي إنه كان كراميا . وقال الدارقطني إنه كان يميل إلى التشيه .
قلت هذا صحيح ترى هذا مائلا في كتابه تأويل مختلف الحديث . وقال الحاكم
أجمعـتـ الـأـمـةـ عـلـىـ أـنـهـ كـذـابـ . وحسنـ الـظـنـ فـيـ بـعـضـهـ فـنـ عـنـ ذـكـرـ . وـهـ
كتـبـ جـيـدةـ فـيـ بـابـهاـ نـافـعـةـ فـيـ فـوـنـهاـ وـلـدـ سـنـةـ ٢١٣ـ هـ وـتـوـفـيـ بـأـكـلـهـ هـرـيـةـ

حق يصغر، وبلغ به الاقتدار إلى أن يعلم الشيء ويفيده، ويحتاج لفضل السودان على البيسان، وتجده يختحم مرة للعثمانية على الرافضة، ومرة للزیدية على العثمانية وأهل السنة، ومرة يفضل علياً رضي الله عنه، ومرة يؤخره. ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتبعه قال الجاز^(١) ، وقال اسماعيل بن غزوان :

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو الجاز وهو ابن اخت سلم بن عمرو الشاعر المعروف بالخاسر . ولما كانت ترجمة الجاز غير معروفة فقد جهدت في جمعها وتأليفها من شئ الكتب ، ولم أحصل منها على هذا القدر إلا بعد عناء كبير ، ولهذا آثرت إثباتها هنا . زعموا أن أمّه كانت ناجحة ، وكان هو شاعرًا بجهة خيال اللسان داهياً منكراً ، وله نوادر وطرائف وملح . وله حوادث وآهات مع عبد الصمد بن المعدل وأبي العتاهية والجاحظ وغيرهم من معاصريه . قال عبد الصمد بن المعدل : مجانى الجاز بيتن سخيفين فسارة في أفواه الناس حتى لم يق خاص ولا عام إلا رووها وما قوله :

ابن المعدل من هو ومن أبوه المعدل
سألت وهبنا عنه فقال يض محول

وكان وهبنا هذا رجل يبيع الخام جفوناً من أصحابه وجيرانه وجعل ينشي المجالس ويختلف الناس أنه ما قال إن عبد الصمد يض محول ، ويسألهم أن يعتذروا إليه . وكان هذا منه قد صار بالبصرة طرفة ونادرة . قال أبو شراعة : فخان عبد الصمد يستغاث منه ويقول أنت ذنبي من الجاز فقتلته له : أمثلك يفرق من الجاز ؟ فقال : نعم لا نه لا يبالي بالهجاء ولا يفرق منه ولا عرض له ، وشعره ينفق على من لا يدرى وآقى منه عظيمة ، وأنه لدوران وهبنا على الناس يخالف لهم أنه ما قال أني يض محول أشد على من هجائه ؟ فأصلحت بينه وبين الجاز ثم أرسلت إلى وهبنا فأحضرته وقتلته له : يا هذا قد علمنا أن الجاز قد كذب عليك وذرناك فتحب أن لا تتكلف العذر إلى الناس في أمرنا فانا قد ذرناك . فانصرف وقد لقي عبد الصمد منه بلاه . قال عبد الصمد : وقلت أنا في الجاز شعراً تركته يتحاججي فيه كل أحد .

كذا وكذا من الفواحش . ويجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن .

غير أن الناس لم ترووه لضعة الجماز ، وهو قوله :

نسب الجماز مقصو ر اليه متنه
يترا آى نسب النا س فايختف سواه
يتحاجى من أبو الجما ز من هو ذاته
ليس يدرى من أبو الجما ز إلا من رأه

قلت : وهذه الآيات يرويها يموم بن المزرع للجاحظ في الجماز ، وهي بعد الصمدأشبه وهو بها أحق . وكتب الجماز إلى صديق له يستميجه ، فاعتذر إليه ، فاجابه : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت ملوماً بفعلك الله معذوراً » وكان أبو العتاهية ينشد قثم بن جعفر بن سليمان شعراً الجماز حاضر فأنشأ الجماز يقول :

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيد صادقاً أضحي وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفذ أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

فالفت أبو العتاهية وقال : من هذا ؟ قالوا : الجماز ، وهو ابن أخت سلم الخاسر ، اقتصر حاله منه . فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي . إن لم أذهب حيث ظنت ولا لظن خالك ولا أردت أن أهتف به ، وإنما خاطبته كما يخاطب الصديق صديقه ، فالله يغفر لكما . وقد أراد أبو العتاهية بقوله أنه لم يرد أن يهتف بحاله أن قوله في سلم الخاسر :

تعالى الله ياسلم ابن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال
لم يكن من طريق التشيع عليه أو المواخذة له . وقال الجماز : شمت من دار فلان رائحة قدر أطيب من رائحة العروس الحسنة في أنيف العاشق الشيق .
وقال : ثلاثة من الطيبات : الوطء في الخام ، والبول في الطشت ، وصفع الاصبع . وكان يعيش جارية لـ جعفر يقال لها طبيان ، وكان لها خصي .
يحفظها أنس سارت ، وكان الخصي أشد عشقها من الجماز ، فمال بينه وبين كلامها

يذكر في كتاب ذكر فيه ، فكيف في ورقة أو بعدس طررين؟ ويعمل كتاباً يذكّر فيه حجّ النصارى على المسلمين ، فإذا صار إلى الرد عليهم تجواز في الحجة ، كأنه إنما أراد تنبئهم على مالاً يعرفون ، وتشكيك الضعف من المسلمين . وتجده يقصد في كتبه المضاجعات والاعتراض ، يريد بذلك استهلاك الأحداث وشراب النبيذ . ويستهزء ، من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم ، كذلك « كبد الحوت » و« قرن الشيطان » وذكراً « الحجر الأسود » وأنه كان أيضًا فسودة المشركون ، وكان يجب أن يبيّنه المسلمون حين أسلموا ويزدّكر « الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع » تحت سرير عائشة^(١) فأكلتها الشاة .

وأشياء من أحاديث أهل الكتاب في « تنادم الديك والغراب » و« دفن المدهون في رأسه » و« تسبيح الضفدع » و« طوق الحامة » . وأشياء هذا ، وهو مع هذا من أكذب الأمة ، وأوضاعهم لحديث ، وأنصارهم لباطل .

و قبل أن نعرض للبحث فيما زهب إليه ابن قتيبة من ثلب الجاحظ ورميه بما رماه به بسط هنا المسائل التي جعلها أساساً للطعن فيه :

والدنو منها ، فقال الجاحظ فيه أبياتاً منها قوله :

ما للقيت سنان وللطباء الملاح

ليس خصي بزان غاز بغیر سلاح؟

ولغير هذا شعر كثير لأنزى إثباته هنا . ولم أقف على تاريخ وفاة الجاحظ ولعله كان في الثلث الأخير من القرن الثالث

(١) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقد بسطت ترجمتها بكتاب الأصابة فلا حاجة لتعريف المعرف .

فاما إشارته إلى «كبد الحوت» فقد يروى في بعض الآثار أن أول طعام يقدم لأهل الجنة هو كبد الحوت الذي يزعمون أنه حامل الثور الحامل للأرض على قولهم

وأما إشارته إلى «قرن الشيطان» فهو زعمهم أن الشمس تعلم من بين قرن شيطان ، ويررونون حدثاً ينهى عن الصلاة عند طلوعها تأييداً لهذا الزعم

وأما إشارته إلى «الحجر الأسود» فقد رووا عن ابن عباس^(١) أنه قال : «الحجر الأسود من الجنة ، وأنه كان أشد بياناً من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك !؟.. مع أن ابن الحنفية^(٢) كان يقول : إن الحجر الأسود من بعض هذه الأودية . وكان الجاحظ يتندر على ما تقولوه على ابن عباس ويقول : إن كان المشركون قد سودوه فقد كان يجب على المسلمين حين أسلموا أن يبيضوه !؟..

واما إشارته إلى «صحيفة الرضاع» فقد أسنداً كلاماً إلى عائشة تقول فيه : لقد نزلت آية الرجم ورطاع الكبير عشراف كانت في صحيفة تحت سريرى عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفى وشغلنا به دخلت داجن للحى فأكلت تلك الصحيفة !؟.. ومن طرائف ما يروى أن

(١) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، حبر الأمة وإمام علمائها وسيد رواتها ومحدثها . ولد في الشعب أيام حاصلت قريش النبي وبني هاشم فيه . وتوفي بالطائف سنة ٦٨

(٢) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب . كان يعرف «باب الحنفية» وهي أمّه . وكان شجاعاً بأسلا ، شهد مع أبيه مشاهده . وتوفي بالطائف سنة ٨١

الأحناف يؤيدون الماجحظ في استنكار هذا الحديث ويتندون بالشافعية الذين يعتدون به . ففي كتاب «الجواهر المضية» يرى أبو حنيفة أن التحرير بالرضا يتعلّق بالقليل والكثير ، ويرى الشافعى تعلّق التحرير بخمس رضاعات . ودليل أبي حنيفة قول النبي صلى الله عليه وسلم : الرضاعة من الجاعة . يعني ماسد الجموعة . ودليل الشافعية ما هو ؟ يقول الأحناف : كان للشافعية دليل فأكلته الشاة . . . !

ومن الغريب أن الماجحظ ، بل والمعزلة جيماً ، يدفعون هذا السخف . ويبطلون هذا المهراء ويقيمون على زيف ذلك المجة التي لا تدفع ، والبرهان . الذي لا يرد ، ويرون هذا الخبر مغالطاً قوله تعالى «وَإِنَّهُ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» فكيف يكون عزيزاً . وقد أكلته شاة وأبطلت فرضه وأسقطت حجته ؟ وأى أحد يعجز عن إبطاله . والشاة تبطله ؟ وكيف قال «أَلَيْوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» وقد أرسل عليه ما يأكله ؟ وكيف عرض الوحي لأكل شاة ولم يأمر بإحرازه وصونه ؟ ولم أنزله وهو لا يريد العمل به ؟ !! لكن ابن قتيبة يدفعه حقده على المعزلة . إلى أن يذهب في تصحيح هذا الخبر الكاذب كل مذهب . وهذا من .

أغرب ما يروى في باب التعصب للرأى والحقد على الخصم . وأما إشارته إلى «تナدم الديك والغراب» فقد كان الأعراب في الجاهلية يزعمون أن الغراب في ماضى الدهر كان يتالف الديك ، وكان ينادمه ، فاختندع الغراب الديك وتلعب به ورهنه عند الحمار وتركه حتى . أغلق عنده ، وتخلاص من الغرم الذى لحق الديك وفاز هو بالغنم . فضرب به . المثل حتى قال أمية بن أبي الصلت^(١) :

(١) هو أمية بن أبي الصلت ، أحد شعراء ثقيف وفصحاء العرب ، وكان .

بِاَيَّهِ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَئْ وَخَانَ اُمَانَةَ الدِّيْكَ الْعَرَابِ
وَأَمَا إِشَارَتُهُ إِلَى «دُفْنُ الْمُدْهَدِ أَمَهُ فِي رَأْسِهِ» فَقَدْ زَعَمَ أَحْصَابُ الْأَسَاطِيرِ
أَنَّ الْمُدْهَدَ نَنَ الرِّيحِ ، وَأَنَّ هَذَا النَّنَ إِنَّمَا عَرَاهُ لَا دُفْنَ أَمَهُ فِي رَأْسِهِ حِينَ
مَاتَتْ ، وَأَنَّ الْقُنْزُعَةَ الَّتِي فِي رَأْسِهِ إِنَّمَا هِيَ ثُوَابَهُ عَلَى بَرَهِ بَأْمَهِ . وَلَأْمِيَةَ بْنَ
أَبِي الصَّلَتِ فِي هَذَا الْخَبَرِ شِعْرٌ مَعْرُوفٌ .

وَأَمَا إِشَارَتُهُ إِلَى «تَسْبِيعُ الْضَّفْدَعِ» فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ تَقْيِيقَهَا هَذَا الَّذِي
نَسْمَعُهُ حِينَما تَكُونُ فِي الْمَاءِ إِنَّمَا هُوَ تَسْبِيعٌ . وَقَدْ أُورَدُوا عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْآَثَارِ
وَأَمَا إِشَارَتُهُ إِلَى «طُوقُ الْحَامَةِ» فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ نُوحًا لَا بَعْثَ الْحَامَةِ
لَا سَكَافَ الْأَرْضِ وَلَا تَنْظُرَ هَلْ تَرَى مَوْضِعًا مِنْهَا يَصْلَحُ مَرْفًا لِلسَّفِينَةِ ، فَعَادَتْ
إِلَيْهِ وَفِيهَا غَصْنُ مِنَ الْزَيْتُونِ ، فَرَشَاهَا نُوحٌ بِهَذَا الطُوقِ الَّذِي لَا يَزِالُ فِي
عَنْقِهِ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَمِيَةُ بْنُ أَبِي الصَّلَتِ :

وَأَزْسِلَتِ الْحَامَةُ بَعْدَ سَبْعَ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
بَجَاءَتْ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِغُصْنٍ عَلَيْهَا الشَّاةُ وَالظَّئِينُ السَّكَبَابُ
فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْقًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ
هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا أَبْنَ قَتِيبةَ وَاتَّخَذَهَا وَسِيلَةً لِلْطَّعْنِ فِي
الْجَاحِظِ ، وَالنِّيلِ مِنْ عَقِيدَتِهِ ، وَالْحَطَّ مِنْ شَانِهِ . وَلَيْسَ لِلْجَاحِظِ مِنْ ذَنْبٍ
عِنْدَهُ إِلَّا أَنَّهُ أُورَدَهَا فِي بَعْضِ كِتَابِهِ سَاخِرًا مِنْهَا ، مَنْدَدًا بْنَ رَوَاهَا ،
مُسْتَخْفِفًا بِسَنَدِهَا . وَابْنَ قَتِيبةَ مِنَ الْحَشُوَيْةِ الَّذِينَ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلدِّفاعِ عَنِ
كُلِّ مَا يَرَوِي عَنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَالنِّيَادِ عَنْ كُلِّ مَا يَسْنَدُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْخَرَافَاتِ

يَتَأَلَّهُ فِي شِعْرِهِ . قَرَأَ الْكِتَابَ الْقَدِيمَةَ وَعُرِفَ أَنَّ نَبِيًّا سَيَعِثُ فِي الْعَرَبِ ، فَكَانَ
يُرَى نَفْسَهُ حَقِيقًا بِأَنَّ يَكُونَهُ . فَلَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ حَسْدَهُ وَأَعْانَ عَلَيْهِ خَصُومَهُ مِنْ
قُرَيْشٍ . وَلَهُ مَراثٌ فِي قُلُّاهُ . مَاتَ عَلَى غَيْرِ إِيمَانِ سَنَةٍ ٢ هـ

والأساطير التي لا يقرها عقل رجيع ، ولا يسندها نقل صحيح ، وما هي إلا من أسماء الرواية وأحاديث القصاص

ومن أعجب العجب أنني رأيت بعض الأئمة قد خدعوا ابن قتيبة وأنزلوه من المحدثين في منزلة الماحظ من المتكلمين؟ وشنان بين من يستعمل ما وبه الله من عقل ، وبين من يغسل هذه المنة الكبرى مستسلماً لعواصف الآراء ، ونوازع الأهواء . ولعل الإمام ابن تيمية^(١) لم يصل إلى علمه هذا السخف الذي جاء به ابن قتيبة ، ونظر إليه من جهة رأه فيها صالحاً فوصفه بما وصفه به .

أما ما تنقص به ابن قتيبة أبا عثمان الماحظ من أنه كان يعمل الشيء وتقىضه ، فلا أدرى كيف غاب عنه أن هذا من قوة البيان ، وفضل الافتتان ؟ وكيف فاته أن ذلك من معجزات البلاغة التي اختص الله الماحظ بها ، وألقى إليه بأزمتها ؟ وهل في الوجود شيء خالص من الشوائب ، أو بريء من المعایب ؟ أم هل هناك خير محض أو شر بحت ؟ الحق أنه لا يوجد في هذا العالم مالييس فيه وجه لل مدح وآخر للقدح . وقد أعطى الماحظ أكبر قسط من فضل اللسان حتى إنه ما كان يروم وصف شيء كائناً ما كان إلا جلاه عليك في صورة يعجز غيره من خول البلاغة وأعيان البيان عن عرضه في مثلها

ومن المعروف عند أهل الكلام أن المحدث كلاماً كان أعمق كان عند

(١) هو الإمام أحمد بن عبد الحليم الحراني المشهور بابن تيمية . كان إمام عصره في سائر العلوم ، وهو وإن كان حنبلي المذهب إلا أنه كان يرى لنفسه ويعتمد على اجتهاده . وله مصنفات عدّة ظاهر فيها التمكّن والاجتہاد .

العامة وأشباه العامة أتفق ، وإذا كان كثير اللعن والتصحيف كانوا به أوثق ، وإذا ساء خلقه وكثير غضبه واشتد حدة وعسرة تهافتوا عليه . وقد كان في ابن قتيبة شئ من هذا ولا سيما أنه كان به تسرع وتهافت وفهم وجشع ، وكفاك منه أن الرواة أجمعوا على أنه قدمت إليه هريرة ، فلم يصر عليها حتى تهدأ سخونتها وتتفاصل حرارتها ، بل تناولها وابتلعها فكانت القاضية عليه وذهبت فيها نفسه ، وليس بعد هذا دليل على السخف والرعونة .

وقلوا عن أبي العباس « ثعلب »^(١) أنه قال في بعض مجالسه : أمسكوا عن ذكر المباحث فإنه غير ثقة . ولعل من هنا أخذ أبو منصور الأزهري^(٢) قوله : كان المباحث روى عن الثقات ماليس من كلامهم ، وكان قد أوى بسطة في لسانه ، وبياناً في خطابه ، وب مجالاً واسعاً في فنونه ، غير أن أهل العلم والمعرفة ذموه ، وعن الصدق دفعوه .

وهذا كلام لا يضر المباحث أن يقال فيه مثله ، لأنه لا دليل فيه ولا برهان عليه . وكيف يصح من أبي منصور أن يرسل الكلام هكذا على عواهنه دون أن يشد أركانه بمحجة قائمة أو سلطان مبين ؟ !

وهذا البديع الهمذاني^(٣) يصف المباحث في إحدى مقاماته بقوله : إن

(١) هو أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب ، أحد أئمة النحو من الكوفيين وكان عارفاً بالشعر والمعانى والغريب . ولد سنة ٢٠٠ هـ وتوفي سنة ٢٩١ هـ

(٢) هو أبو منصور محمد بن أحد الأزهري : كان لغويًا أدبياً ، أسرته القراءة فبقي فيهم دهرًا ، وهو صاحب كتاب « التهذيب في اللغة » وكان ثقة فيما يروى من اللغة حجة فيما ينقل في تهذيبه . ولد سنة ٢٨٢ هـ وتوفي سنة ٣٧٠ هـ

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني الكاتب الشاعر المشهور . له كتاب المقامات وعلق عليه شرحًا موجزًا الشيخ محمد عده

المجاهظ في أحد شقى البلاغة يقطف ، وفي الآخر يقف ، والبلين من لم يقصر
نظمه عن ثراه ، ولم يزر كلامه بشعره ، فهل ترون للمجاهظ شعرًا رائقاً؟
قلنا : لا . قال : فهلوا إلى كلامه ، فهو بعيد الاشارات ، قريب العبارات ،
قليل الاستعارات ، منقاد لعيان الكلام يستعمله ، نفور من معتاصمه مله ؟
فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة ؟ أو لفظة غير مصنوعة ؟

وأنا أحتسب قول البديع هنذا في جانب المجاهظ ولا أحسبه عليه ،
لأن هذا الوصف قل أن يضطلع به أديب ، أو ينهض به بلين أربيب .
ولست أظن في البديع الجد في النيل من المجاهظ أو الإفتیات على مقامه
في العلم والأدب ومنزلته في صنوف البلاغات ، وما أرى ذلك من البديع
إلا من باب رياضة اللسان على قوة البيان . وإن كان لم يعد الحق
في وصفه لشعره

ويقول القاضي الباقياني^(١) : قد يزعم زاعمون أن كلام المجاهظ من
السمت الذي لا يؤخذ فيه ، والباب الذي لا يذهب عنه ، وأنت تجد قوماً
يرون كلامه قريباً ، ومنهاجه معيناً ، ونطق قوله ضيقاً حتى يستعين بكلام

وكتاب الرسائل وعلق عليه شرحاً الشيخ إبراهيم الأحدب . وديوان شعر
صغير . مات سنة ٣٩٨ هـ

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقياني البصري . شيخ من شيوخ العلم
والدين نشر بقوه بيانه وفصاحة لسانه وماضي حجته مذهب الأشعرية، وناظر
بعض المعنزة بحضوره عضد الدولة بن بويه الديلي بشيراز ، ثم أرسله عضد
الدولة إلى ملك الروم فهم من شؤون الدولة ققام بسفارته خير قيام ، وكان
له هناك شأن لفت إليه الأنظار وكان موضع الحفاوة والاكرار، ولهم مؤلفات
عدة أشهرها وأبقاها كتابه « إعجاز القرآن » توفي في ذى القعدة سنة ٤٠٣ هـ

غيره ، ويفزع إلى ما يوشح به كلامه من بيت سائر ، وفصل نادر ، وحكمة
محده منقولة ، وقصة عجيبة مأثورة ، وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة ،
والفاظ يسيرة ، فإذا أحوج إلى تطويل الكلام خالياً عن شيء يستعين به —
فيخلط بيوله من قول غيره — كان كلاماً كلام غيره . فإن أردت أن
تحقق هذا فانظر في كتبه في «نظم القرآن» وفي «الرد على النصارى»
وفي «خبر الواحد» وغير ذلك مما يجري هذا الجرى ، هل تجد في ذلك
كله ورقة تشتمل على نظم بديع أو كلام مليح ؟ على أن متاخر الكتاب
قد نازعوه في طريقته ، وجاذبوا على منهجه ، ففهم من سماه حين ساماها ،
ومنهم من أَبْرَأَ عليه إذ باراه . هذا أبو الفضل بن العميد قد سلك مسلكه ،
وأخذ طريقه فلم يقصر عنه ، ولعله قد بان تقدمه عليه لأنه يأخذ في الرسالة
الطوبلة فيستوفيها على حدود مذهبه ، ويكللها على شروط صفتة ، ولا
يقتصر على أن يأتي بالأسطر من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعله في كتابه
متى ذكر من كلامه سطراً أتبعه من كلام الناس أوراقاً ، وإذا ذكر منه
صفحة بني عليه من قول غيره كتاباً ؟

وعبرة الباقياني كما ترى لا تدل على أنه لا يرى الجاحظ شيئاً وإنما
هو بسبيل المقارنة بين كلام الله عز وجل وكلام المخلوقين ، وأى كلام يرتفع
على كلام الله سبحانه وتعالى ؟ على أن الباقياني قد روى عن الجاحظ قول
غيره فيه دون أن ينبذه من لدنها بشيء إلا ما قاله عن بعض كتبه الخاصة
بما هو معنى به من الكلام على نظم القرآن وإعجازه . وإن فليس مثل
القاضي الباقياني من تخفي عليه مزايا الجاحظ وخصائصه التي بذل فيها من
تقدمه وأتعب من جرى على أثره من تأخر عنه . على أن في تفضيل الباقياني لابن

العميد في بعض ما هو من شأنه على الماحظ ، مفخرة للجاحظ نفسه، واعتراضًا بفضله، وتقديرًا لبلاغته، لأن ابن العميد يعد من تلاميذ الماحظ الذين تخرجوا بكتبه وترسموا خطاؤه في بيانه وقوته عارضته وبلغ أسلوبه . ولو كان كتاب الماحظ في نظم القرآن بين أيدينا لعرفنا إلى أي مدى كانت استعانته الباقلاني به في تصنييفه « إعجاز القرآن » لأنه مامن أحد جاء بعد الماحظ وحاول الكتابة أو التأليف إلا وكان أكثر مادته التي يعتمد عليها إنما هي كتب الماحظ .



لفصل النسخ

فِي

تخطيطه وتصويمه

لم يسلم المباحث على سعة علمه ، وبارع فنه ، وشدة يقظته من الواقع
في الخطأ ، وأى امرىء في الوجود لم يجز عليه السهو ؟ ! قال على بن يحيى
المنجم^(١) : قلت للمباحث : مثلك في علمك ومقدارك في الأدب يقول في
كتاب « البيان والتبيين » ويكره للجارية أن تشبه بالرجال في فصاحتها ؟
ألا ترى قول مالك بن أسماء الفزارى^(٢) .

أَمْغُطِي مِنِّي عَلَى بَصَرِي لِلْحُبْبِ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنَا
وَحَدِيثُ الَّذِهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَمُ النَّاسُ عَنْهُ يُوزَنُ وَزَنَا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْعَنُ أَخِيَّ سَانًا وَأَحْلَى الْعَدِيقَةِ مَا كَانَ لَعْنَاهَا

(١) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن منصور ، المنجم النديم . كان من
خاصة ندامه المتوكل ومتقدميهم ، ثم نادم من بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد .
وكان راوية إخبارياً شاعراً محسناً ، وله في صنعة الغناء يد طولى ، وكان من
حب الخلفاء له وفتهم به يجلسونه بين يدي أسرتهم ويفضلون إليه بأسرارهم
ويستودعون صدره أخبارهم ونواياهم . توفي بسر من رأى في آخر أيام

المعتمد سنة ٢٧٥ هـ

(٢) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى .
وهذه الأسرة من أجداد أسر العرب . وكان مالك من أئمتها : تزوج الحجاج
ابن يوسف أخته هند بنت أسماء ولواء أصحابه ولها معه حوادث وخطوب .
وكان شاعراً بلينا وأميراً سرياً غير أنه كان مولعاً بالشراب

فترة من لحن الإعراب ؟ و إنما وصفها بالظرف والفتنة ، وأنها
تلحن أى تورى في لفظها عن أشياء وتتنكب مقصدت له ؟ !

قال الماحظ : فطنت لذلك

فقلت : فغيره

قال : فكيف لي بها سارت به الركبان ؟
 فهو في كتابه على خطائه .

قال أبو مُحَمَّد^(١) تعليقاً على هذا : أراد الفزارى قوله هذا : إن خير
الحديث ما أومأْتَ إلَيْهِ وورت به عن الإفصاح لثلا يعلمه غيرنا . ومثله
قول الكلابي :

وَلَقَدْ لَحِنْتَ لِكُمْ لِكَيْمَا تَفَهُّمُوا وَوَحِينَتْ وَحِينَ لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ
ومنه قوله تعالى « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَهْنِ الْقَوْلِ » أي فيما يتلوونه
ـ بينهم من النفاق والطعن

وقد وقفت على قول لأبي حيان التوحيدى يبرر به مذهب إليه
ـ الماحظ أول مرة قال :

وعندى أن المسألة محتملة للكلام ، لأن مقابل المنطق الصائب المنطق
ـ الملعون ، واللحن من الغوانى والفتيات غير منكور ولا مكروه ، بل يستحب ،
ـ لأنه بالتأنيث أشبه ، وللشهوة أدعى ، ومع الفزل أجرى . والإعراب جد ،
ـ وليس الجد من التفزل والتعشق والتشاجى فى شيء . وعلى مذهب على

(١) هو أبو معلم محمد بن سعد (وفي اسمه خلاف بين الرواية) السعدي
ـ الشيبانى . أصله من الفرس و مولده بفارس ثم انتسب إلى بنى سعد . كان من أعلم
ـ الناس باللغة والشعر قوى الحافظة شديد الذاكرة ، وكان يغاظ طبعه ويفخم
ـ كلامه . توفي سنة ٢٤٨ هـ

ابن يحيى أن المنطق الصائب هو الكلام الصريح، وأن اللحن هو التعریض، وأنها تعرف هذا وهذا ، فهب أن هذا المعنى مقبول ، لم ينبغي أن يكون المعنى الآخر لهوجاً ومردوداً ؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك ، لأن الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا .

ولم يصنع أبو حيان بلاحظته هذه أكثر من أنه صوب الرأيين ، وبرر المعنيين ، على تكلف فيما جاء به ، دفعه إليه تعصبه للجاحظ ، وافتاته به ، وغيرته عليه :

وخطأه المسعودي في الجغرافيا فقال : زعم الجاحظ أن نهر مكران الذي هو نهر السندي ، من النيل ؟ ! ويستدل على أنه من النيل بوجود التمايسير فيه . فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل ؟ وذكر ذلك في كتابه «الأمسار» وهو كتاب في نهاية الفتاحة ، لأن الرجل لم يسلك البحار ، ولا أكثر الأسفار ، ولا تعرف المسالك والأقطار ، وإنما هو حاطب ليل ، ينقل عن كتب الوراقين .

ولا شك في أن المسعودي مصيبة في هذه المسألة لأنها مما اختص به من العلوم والمعارف ، ولا ضير على الجاحظ من الخطا فيها ليس من شأنه ، وإن كان تعرضه لما لا يحسن غير لائق بمثله . والظاهر أن تعرض المسعودي للجاحظ بهذه الصورة كان قاصداً وقوع على الجاحظ لعرضه للخليل بن أحمد^(١) في شيء من هذا الضرب . فقد كان الجاحظ قال عنه في كتابه في تفضيل صنعة الكلام ، وهي الرسالة المعروفة بالهاشمية :

(١) هو الخليل بن أحمد الأزدي . كان غاية في الذكاء والفهم وهو أول من استخرج العروض وحضر بها أشعار العرب . وكان زاهداً متورعاً وله شعر قليل ، وهو أول من وضع كتاباً في اللغة اسمه «العين» ، مات سنة ١٧٠.

إن الخليل بن احمد من أجل إحسانه في النحو والعروض ، وضع كتاباً في الایقاع وترأکيب الأصوات ، وهو لم يعالج وترأقط ، ولا مس . بيده قضيماً قط ، ولا كثرت مشاهدته للمفنين . وكتب كتاباً في الكلام ، ولو جهد كل بلين في الأرض أن يتعد ذلك الخطأ والتعميد لما وقع له ذلك ، ولو ان مروراً استفرغ قوى مرته في المديان لما تهياً له مثل ذلك ، ولا يتاتي مثل ذلك لأحد إلا بخدلان من الله الذي لا يقى منه شيء . قال : ولو لا أن أسفخ الكتاب وأهجن الرسالة وأخرجها من حد الجد إلى حد المزل لحكىت صدر كتابه في التوحيد وبعض ما وضعه في العدل . قال : ولم يرض بذلك حتى عمد إلى الشطريج فزاده في الدولاب حملاً فلعت به أناس من حاشية الشطرينجيين ثم رموا به والمالاحظ في هذا قد آخذ الخليل بما هو من خاصة معارفه ، ولا سيما ما كان منها متعلقاً بعلم الكلام والتوحيد والعدل . أما ما آخذه به من غير ذلك فهو من عامة معلوماته وفنونه ولكن « الجروح قصاص »



لِفِصْلِ الْعَاشِرِ

فِي

مَقَامِهِ لَدِيِّ الْعَارِفِينَ بِمَنَاقِبِهِ

أَمَا مَقَامُهُ لَدِيِّ عَارِفِ فَضْلِهِ ، وَمِنْزِلَتِهِ فِي نَظَرِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، فَلَا يُعْدُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ شَيْءٌ إِذَا قِيلَ إِنَّهُ سَيِّدُ كِتَابِ الْعَرَبِيةِ بِلَا مَنَازِعٍ ، وَشِيخُ أَدْبَاءِ الْعَرَبِ بِلَا مَدْافِعٍ ، وَمِنَ الْبَداَنَهُ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ إِمامُ ذُوِّ الْأَسْنِ وَالْبَيَانِ ، وَعَمِيدُ أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْتَّبَيَانِ ، وَأَنَّهُ كَانَ عَلَى مَنَاقِبِ قَلْمَانِ جَارَاهُ فِيهَا غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدْبَرِ وَأَرْبَابِ الْحِكْمَةِ وَالْفَلْسَفَةِ . فَقَدْ سُمِّتْ بِهِ هُمَّتْهُ ، وَعُلِّتْ بِهِ مَعْارِفُهُ إِلَى أَنْ صَارَ مِنْ مَفَاقِرِ الْإِسْلَامِ ، بَلْ مِنْ مَحَاسِنِ الْعَرَبِيَّةِ الَّذِينَ يَتَنَافَسُونَ أَعْلَامَ الرِّجَالِ بِالْأَنْسَابِ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ وُضِعَ أَبُو حِيَانُ التَّوْحِيدِيُّ فِي كِتَابِهِ أَسْمَاهُ « تَفَرِّيظُ الْجَاحِظِ » لَمْ نُطْلَعْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ بَادِيَّاً مِنْ كِتَابٍ الْجَاحِظُ : شِيخُ الشِّيوخِ وَإِمَامُ الْأَئْمَةِ مَعْرِفَةُ النَّحْوِ وَالْفَقْهِ وَالْلَّغَةِ وَالشِّعْرِ وَالْعِرْوَضِ وَالْقَوْافِ وَالْقُرْآنِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ وَالْحِسَابِ وَالْهَنْدِسَةِ ، أَفْتَى فِي جَامِعِ الرِّصَافَةِ خَمْسِينَ سَنَةً عَلَى مِذَهَبِ أَبِي حِنْفَةَ فَوَاجَدَهُ خَطَاً وَلَا عَثَرَ لَهُ عَلَى زَلَةٍ ، وَقُضِيَ بِيَغْدَادِ . هَذَا مَعَ الثَّقَةِ وَالْدِيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالرِّزْانَةِ . صَامَ أَرْبَاعِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ الدَّهْرِ . قَلَتْ : وَقَدْ نَاظَرَ مَتَّى بْنَ يُونُسَ الْمَطْقَى فِي المَفَاضَلَةِ بَيْنَ النَّحْوِ وَالْمَنْطَقِ فَأَظَهَرَ قَوَّةَ فِي الْجَدْلِ وَاسْتِثْرَةَ

(١) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله (بهزاد) السيرافي أحد أكابر الأدباء وأفضل المتكلمين . قال عنه أبو حيأن التوحيدى في كتابه تفريظ الجاحظ : شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة بال نحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة ، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر له على زلة ، وقضى بيغداد . هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة . صام أربعين سنة أو أكثر الدهر . قلت : وقد نظر متى بن يونس المطقي في المفاضلة بين النحو والمنطق فأظهر قوته في الجدل واستثرا

من عالم ، وشَرِعْلَكَ من صَدُوق ، قال : حدثنا جماعة من الصابئين الكتاب
أن ثابتَ بْنَ قُرَةَ قال^(١) :

ما أحسد هذه الأمة العربية إِلَّا على ثلاثة أنفس :

أولهم - عمر بن الخطاب في سياساته وقيظته ، وحذره وتحفظه ،
ودينه ويقينه ، وجذالته وبذاته ، وصرامته وشهامته ، وقيامه في صغير أمره
وكبيره بنفسه ، مع قريحة صافية ، وعقل وافر ، ولسان عصب ، وقلب شديد ،
وطوية مأمونة ، وعزيمة مأمومة ، وصدر منشرح ، وبالمنفسح ، وبديهة
وضوح ، وروية لقوح ، وسر طاهر ، وتوفيق حاضر ، ورأى مصيب ،
وأمر عجيب ، وشأن غريب ، دعم الدين وشيد بنيانه ، وأحكم آساهه ورفع
أركانه ، وأوضح حجته وأنار برهانه ، ملك في زَيْ مِسْكِين ؟ ماجنح في أمر
إِلَى وَنَا ، ولا غض طرفه على خنا ، ظهارته كالبطانة ، وبطانته كالظهارة ،
جرح وأسا ، ولا وقا ، ومنع وأعطى ، واستخدم وسطا . كل ذلك في
الله والله . لقد كان من نوادر الرجال

والثاني - الحسن بن أبي الحسن البصري^(٢) ، فقد كان في دراري

الجحة وبراعة في مقارعة الخصم تفوق هل براعة . وقد أتينا عليها في كتاب
المقابسات . ومات سنة ٣٦٨ هـ

(١) هو أبو الحسن ثابت بن قرة الصاد الحرازي الشهير : كان طبيباً
فيلسوفاً ذا فضائل ، وكان فصيحاً مبيناً ذا حكمة وأدب عالي القدر بعيد الهمة
وافر الحرمة سرياً نهلاً . ولد سنة ٤٢٢ هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٨٨ هـ

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري . وقد أنشأنا له ترجمة
نشرنا خلاصتها في جريدة السياسة الأسبوعية بعدها الصادر في ١٥ ديسمبر
سنة ١٩٢٨ وسننشرها في كتابنا «شيخ العزلة ومذاهبهم» الذي سنصدره
بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

النجوم علماً وتقوى ، وزهداً وورعاً ، وعفة ورقة ، وتألهًا وتنزهاً ، وفقها
ومعرفة ، وفصاحة ونصحاً ، مواعظه تصل إلى القلوب ، وألفاظه تلتبس بالعقل ،
وما أعرف له ثانية ، لا قريباً ولا مدارياً . كان منظره وفق مخبره ، وعلانيته
في وزن سريرته . عاش سبعين سنة لم يُقرَّفْ بمقالة شناء ، ولم يُؤْنَ
بريبة ولا فشأ . سليم الدين ، تقىُ الأديم ، محروس الحريم . يجمع مجلسه
ضرباً من الناس ، وأصناف الالباس ، لما يوسعهم من بيانه ، وفيض عليهم
بافتتاحه . هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقن منه التأويل ، وهذا يسمع
منه الحلال والحرام ، وهذا يتبع في كلامه ، وهذا يجرد له المقالة ، وهذا
يحكى له الفتىَا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعظة . وهو
في جميع هذا كالبحر العجاج تدفقاً ، وكالسراج الوهاج تالقاً ، ولا تنس موافقه
ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عند الأماء وأشباه الأماء ،
بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب ، والوجه الصلب ،
واللسان العصب ، كالحجاج ^(١) وفلان وفلان ، مع شارة الدين ، وبهجة
العلم ، ورحمة التقى . لاتثنية لأئمة في الله ، ولا تُذله رائعة عن الله . يجلس
تحت كرسيه قنادة ^(٢) صاحب التفسير ، وعمرُو وواصِل ^(٣) أصحاب الكلام ،

(١) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، أسد الدولة المروانية وموطنه دعائهما ومثبت أركانها ومحكم أساسها، ولو لاموا قهوة المشهورة وسياسته الدكتاتورية لاكتسح الخوارج دولة بني مروان ولا صبحت في خبر كان. فهو من بناء الدول

وله حوادث وأخبار هي مما يزدان به الأدب العربي . مات سنة ٩٥ هـ

(٢) هو أبو الخطاب قادة بن دعامة السدوسي البصري الاسم كـ: كان من أفضل التابعين، مقصود الجناب يحمل عليه إلى الآفاق، وكان قدرياً على مذهب المعتزلة . قيل هو الذي سماه بهذا الاسم . تصدر في مجلس الحسن البصري بعده فاته واتبعه منهجه وكان على عيادة دور البصرة أعلاها أو أسفلها بغير قائد . توفي بواسطه سنة ١١٧ هـ

(٣) عمرو بن عبيدة وواصل بن عطاء هما زعيمان للمعتزلة وشيخاً لأهل الاعتزال .

وابن أبي اسحق^(١) صاحب النحو، وَفَرَّقْدُ السَّبَخِي^(٢) صاحب الرقائق، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم . فن ذا مثله ، ومن ذا يجري مجراه ؟

والثالث — أبو عثمان الجاحظ ، خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ، ومدره المتقدمين والتأخرىن . إن تكلم حكى سجيان^(٣) البلاغة ، وإن ناظر صارع النظام في الجدل ، وان جد خرج في مسكن عامر بن عبد قيس^(٤) وإن هزل زاد على مزبد^(٥) حبيب القلوب ومراح الأرواح . شيخ الأدب ولسان العرب ، كتبه رياض زاهره ، ورسائله أفنان مشمرة . مانازعه منازع الا رشأ آفنا ، ولا تعرض له متعرض إلا قدم له التواضع استبقاء . أخلفاء واضعا مذهب العدل والتوحيد ، ومقرراً أصول الاعتزال . وسترى ترجمتها مستفيضة . في كتابنا «شيخ المعتزلة ومذاهبهم» الذي سنصدره بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

(١) هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحق الحضرى بالولاء . كان إماماً في النحو وهو أول من وضع علله وجرد أقويته . وكان لا يرى التسليم في كل ما جاء عن العرب . وله مع الفرزدق الشاعر أخبار وحوادث . مات سنة ١١٧ هـ

(٢) هو أبو يعقوب فرقان بن يعقوب السبحى . أصله من أرمينة وانتقل إلى البصرة وصاحب الحسن البصري وأخذ عنه ، وكان من الزهاد المنسكين . مات سنة ١٣١ هـ

(٣) هو سجيان وأئل الخطيب العربي المشهور . راجع ترجمته في شرحنا على كتاب «البيان والتبين»

(٤) هو عامر بن عبد قيس . كان من بلقاء الزهاد وفصحاء النساك . وكان يغزو متطوعاً . وقد ترجمناه في شرحنا على «البيان والتبين»

(٥) هو أبو إسحق مزبد المدى . كان صاحب نوادر وفكاهات ، سريع الخاطر حسن البدارة كثير الدعاية . وقد ترجمناه في شرحنا على كتاب «المقابسات» وذكرنا له كثيراً من نوادره وفكاهاته

تعرفه ، والأمراء تصفه ، و [الملوك] تنادمه ، والعلماء تأخذ عنه ، والخاصة تسلم له ، وال العامة تحبه . جمع بين اللسان والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأى والأدب ، وبين النثر والنظام ، وبين الذكاء والفهم . طال عمره وفشت حكمته ، ووطئ الرجال عقبه ، وتهادوا أدبه ، وافتخرموا بالاتساب إليه ، ونجحوا بالاقتداء به . لقد أوى الحكم وفصل الخطاب .

قال أبو حيان : هذا قول ثابت ، وهو قول صابي ، لا يرى للإسلام حرمة ، ولا للمسلمين حقا ، ولا يوجب لأحد منهم ذماما . قد انتقد هذا الانتقاد ، ونظر هذا النظر ، وحكم هذا الحكم ، وأبصر الحق بعين لاغشاوة عليها من الهوى ، ونفس لالطخ بها من التقليد ، وعقل ماتحيل بالعصبية . ولستنا نجهل مع ذلك فضل غيرهؤلاء من السلف الطاهر ، والخلف الصالح . ولكننا عجبنا بفضل عجب من رجل ليس منا ، ولا من أهل ملتنا ولفتنا ، ولعله ما خبر عمر بن الخطاب كل الخبرة ، ولا استوعب ما للحسن من المنقبة ، ولا وقف على جميع ما لأبي عثمان من البيان والحكمة . يقول هذا القول ، ويصعب هذا العجب ، ويحسد أمتنا بهم هذا الحسد ، ويختم كلامه بأبي عثمان ويصفه بما يأبى الطاعن عليه أن يكون له شيء منه ، ويغضب إذا ادعى ذلك له ، وأنه للموف عليه ! هل هذا إلا الجهل الذي يرحم المبتلى به !

قلت : الظاهر أن أبا حيان بلغه إطراء عن ثابت هولاء الرجال ثلاثة أو قرأت فصلا له في شيء من مناقبهم ، فتمثل هذا الإطراء وتصور تلك المناقب وصاغها في هذا الأسلوب البارع ونسبه إلى ذلك الحكم الصابي ، ليكون بهذه الكلمة شأنهما من المنزلة الرفيعة ومقدارها من المكان الجليل متى نسبت إلى رجل من أكابر الصابية ، لا ينفتر أن يعني كثيرا بهذه الناحية

من رجال الاسلام . وان كان المعروف عن ثابت أنه كان من خواص أهل الفصاحة والحكمة والبيان

وقال أبو حيأن : قلت لأبي محمد الأندلسى ^(١) – وكان في عداد أصحاب السيرافي — قد اختلف أصحابنا ، في مجلس أبي سعيد السيرافي ، في بلاغة الماجحظ وأبي حنيفة ^(٢) صاحب النبات ، ووقع الرضى بحكمك ، ها قولك ؟

قال : أنا أحقر عن الحكم لها أو عليهم ما

فقلت : لا بد من قول !

قال : أبو حنيفة أكثر نداوة . وأبو عثمان أكثر حلاوة ، ومعانى .
أبي عثمان لائحة بالنفس ، سهلة في السمع ، ولفظ أبي حنيفة أذب وأعرب ،
وأدخل في أساليب العرب

قال أبو حيأن : والذى أقوله وأعتقده وأخذ به وأستهام عليه ؛ أى لم أجده في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان في تقييظهم ومدحهم
ونشر فضائلهم في أخلاقهم ، وعلمهم ، ومصنفاتهم ، ورسائلهم ، مدى الدنيا
إلى أن يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم :
هذا الشيخ الذى أنشأ له هذه الرسالة وبسببه جُئمنا هذه الكلفة .

أعني أبا عثمان عمرو بن بحر الماجحظ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن حود الزيدى الأندلسى . قال الصفدى :
كان من فرسان الحيو واللغة والشعر ، وكان مغرى بكلام الماجحظ حتى
إنه كان يقول : رضيت في الجنة بكتابه الذى ألف فى النباتات . وكان من نوادر الرجال .
من أصحاب أبي سليمان المنطق وأبي سعيد السيرافي

(٢) هو أبو حنيفة احمد بن داود بن وتنى الدينورى . كان قيماً بعلوم
شتي ، وقد نال شهرة واسعة بكتابه الذى ألف فى النباتات . وكان من نوادر الرجال .
الذين جعوا بين آداب العرب و المعارف الاقدمين . مات سنة ٢٨٢ هـ

والثاني — أبو حنيفة الدينوري ، فإنه من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ، ورواه وحكم . وهذا كلامه في « الأنواء » يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك . فاما كتابه في « النبات » فكلامه فيه في عروض كلام أبيدی بدوى ، وعلى طباع أفسح عربي . ولقد قيل لي : إن له في « القرآن » كتابا يبلغ ثلاثة عشر مجلدا ، ما رأيته ، وأنه ما سبق إلى ذلك النط . هذا مع ورعه وزهده وجلاله قدره . وقد وقف الموفق^(١) عليه وسألة [فيه] وتحفى به

والثالث — أبو زيد أحمد بن سهل البلخى ، فإنه لم يتقدم له شبيه في الأعصر الأول ، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر . ومن تصفح كلامه في كتابه « أقسام العلوم » وفي كتابه « أخلاق الأمم » وفي كتابه « نظم القرآن » وفي كتابه « اختيار السيرة » وفي رسائله إلى إخوانه وجوابه يسأل عنه ويبيده به ، علم أنه بحر البحور ، وأنه عالم العلماء ، وما روى في الناس من جمجمة بين الحكمة والشريعة سواه . وإن القول فيه لكتير . ولو تذاصرت إلينا أخبارها لكننا نحب أن تفرد لكل واحد منها تقرير يطامن صورا عليه ، وكتابا منسوبا إليه ، كما فعلت بابي عثمان

وقال ياقوت : كان يقال : إنفق أهل صناعة الكلام على أن متكلمي العالم ثلاثة : الجاحظ ، وعلى بن عبيدة^(٢) وأبوزيد البلخى :

(١) هو أبو أحمد الموفق طلحة بن الخليفة جعفر التوكل العباسي . كان صاحب الشأن الأعلى في دولة أخيه المعتمد على الله ، وإليه المرجع في كل الأمور ، ولو لا اكتسح الزنج دولته آل العباس . مات سنة ٢٧٨ هـ

(٢) هو على بن عبيدة إلريحانى الكاتب . كان حاد الذاء قوى الفطنة وكان من خاصة المؤمنون ، بلغا فصيحا له تأليف على منهج الحكماء .

ف منهم من يزيد لفظه على معناه ، وهو الجاحظ
 ومنهم من يزيد معناه على لفظه ، وهو على بن عبيدة
 ومنهم من تافق لفظه ومعناه ، وهو أبو زيد
 مع أن ياقوت روى أيضاً أنه كان يقال لأبي زيد « جاحظ خراسان »
 وكفى جلاة وفرا للجاحظ أن ينسب إليه أبو زيد البلخي
 وكان الأستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد من المعجبين بالجاحظ ،
 المولعين به ولعا شديدا ، المقدرين له تقديرأ صحيحا ، المتوفرين على كتبه
 ومصنفاته ، المغترفين من بخار علومه وأدابه ، الذاهبين مذهبـه في أسلوبـه
 وكتابـه ، حتى لقد كان يعجبـه أن يلقب « بالجاحظ الثاني » وكان من
 عظمـتقديرـه له ، وامتلاء صدرـه بـحملـاته وفضـله ، إذا طـرأ عليه أحدـمنـ منتـحلـى
 العـلوم وـمـصـطـنـعـيـ الآـدـاب وـأـرـاد اـمـتـحـان عـقـلـه سـأـلـه عن :

(١) بغداد ، فإنـ فـطـنـ خـلـواصـها ، وـتـبـهـ لـخـاسـنـها ، وـأـتـىـ عـلـيـها . جـلـ ذلكـ مـقـدـمةـ فـضـله ، وـعـنـوانـ عـقـلـه . ثمـ سـأـلـهـ عنـ :

(٢) الجاحظ ، فإنـ وـجـدـ لـدـيهـ أـثـرـاـ مـطـالـعـةـ كـتبـه ، وـالـاقـتـبـاسـ منـ نـورـه ،
 وـالـاغـرـافـ فـيـ بـحـرـه ، وـبعـضـ الـقـيـامـ بـمـسـائـلـه ، قـضـىـ لـهـ بـأنـهـ غـرـةـ شـادـخـةـ فـيـ
 جـيـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـأـدـبـ . وـإـنـ وـجـدـهـ ذـاماـ لـبـغـدـادـ ، غـفـلاـ عـماـ يـحـبـ أـنـ يـكـونـ
 مـوـسـوـمـاـ بـهـ مـنـ الـاتـسـابـ إـلـىـ الـعـارـفـ الـقـيـ تـخـصـ بـهـ الـجـاحـظـ ، لـمـ يـنـفـعـهـ بـعـدـ
 ذـلـكـ شـيـءـ مـنـ الـخـاصـ

وـحدـثـ أـبـوـ القـاسـمـ السـيرـافـيـ قـالـ :

حضرـناـ مجلسـ الأـسـتـاذـ أـبـيـ الـفـضـلـ أـبـيـ الـعـمـيدـ الـوزـيرـ ، فـخـرىـ ذـكـرـ
 وـرـمـاهـ بـعـضـهـ بـالـزـنـدـقـةـ وـلـيـسـ كـذـلـكـ بلـ كـانـ مـنـ أـفـاضـلـ الـمـعـزـلـةـ . وـقـالـواـ
 إـنـ لـهـ مـؤـلـفـاتـ عـدـةـ أـكـثـرـهـ فـيـ الـقـصـصـ وـالـنـوـادرـ

الجاحظ ، فقضى بعض الحاضرين منه وأذري به ، وسكت الوزير عنه ، فلما خرج الرجل قلت له : سكت أيها الأستاذ عن هذا الرجل في قوله ، مع عادتك في الرد على أمثاله ؟ فقال : لم أجده في مقابلته أبلغ من تركه على جهله ، ولو واقفته وبينت له لنظر في كتبه وصار بذلك إنسانا يأبى القاسم ، فككتب الجاحظ تعلم العقل أولا ، والأدب ثانيا ، ولم يستصلحه لذلك ؟ !

قلت : وهذا تصرف من ابن العميد غريب ، فقد ضن على هذا الرجل بالارشاد إلى ما يُقْوِم عقله ويُرْهِف حد أدبه ! ولست أدرى إذا كان هذا من بواعث الحقد وعوامل الضفن ، أو كان من لوم الطبع وخفة النحيزه ، أو من حواجز الفيرة على العلم والعمل على صيانته من الابتذال للسفلة والأوغاد !

وقال ابن العميد : ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه ، فعلى أبي حنيفة ^(١) لأنَّه دونَ وَخَلَدَ ما جعل من يتكلّم فيه بعده مثيراً إليه ، ومخبراً عنه

وأما الكلام ، فعلى أبي المذيل العلاف ^(٢)

وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضه ، فعلى أبي عثمان الجاحظ ومن طريف ما يروى في هذا الباب ما تحدث به أبو محمد الحسن بن عمرو النجاشي قال :

(١) هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت، شيخ العراقيين، وواضع مذهب أهل الرأي ، والداعي إلى القياس في الشرع . وهو أشهر من أن يعرف .
مات سنة ١٥٠ هـ

(٢) هو أبو المذيل العلاف البصري . كان من أكابر المعتزلة وأفضل أهل الكلام . صاحب علم ونظر ومقالات وجدل ، واسع الاطلاع على كتب الاقمين في المنطق والفلسفة وغيرهما . وقد ترجمناه في كتابنا «شيخ المعتزلة ومذاهبهم» الذي ستصدره قريبا إن شاء الله تعالى

كنت بالأندلس، فقيل لي: إن هنا تلميذا لأبي عثمان الماج主持人 ، يعرف سلام بن يزيد، ويكتى أبا خافٍ . فأتيته فأرأيت شيخاهما ، فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ، ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس؟ فقال:

كان طالب العلم بالشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء أبي عثمان . فوقع إلينا كتاب «التربيع والتدوير» له ، فأشاروا إليه . ثم أردفه عندنا كتاب «البيان والتبيين» له، فبلغ الرجل الصكاك^(١) بهذين الكتايبين . قال: فخرجت لأاعرج على شيء حتى قصدت بغداد ، فسألت عنه، فقيل لي: هو بسرّ من رأي . فأصعدت إليها ، فقيل لي: قد انحدر إلى البصرة . فانحدرت إليها ، وسألت عن منزله فأرشدت ودخلت إليه ، فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره . فدُهشت . فقلت: أيكم أبو عثمان؟ فرفع يده وحركتها في وجهي . وقال:

من أُن ؟

قلت : من الأندلس

قال : طينة حفاء . فما الاسم ؟

قلت: سلام

فقال : إِسْمَ كَابِ الْقَرَادُ . إِبْنُ مَنْ ؟

فقط : ابن یزید

قال : بحق ماصرت ! أبو من ؟

فقلت : أبو خلف

فقال : كنية قرد زبيدة . ما جئت تطلب ؟

فقلت : العلم

قال : إرجع بوقتِ فإنك لا تُلْعِج

فقلت له : ما أَنْصَفْتِي ! فقد اشتغلت على خصال أربع : جفاءِ الْبَلْدِيَّةِ ،
وَبَعْدَ الشَّقَّةِ ، وَغَرْةَ الْحَدَّاثَةِ ، وَدَهْشَةَ الدَّاخِلِ

قال : قترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحيةٍ غيري ، كان
يجب أن تعرفي بها !

قال : فأقمت عليه عشرين سنة

قلت : ولقد أصاب الماحظ فيها وصف به إقليم الأندلس من أنه طينة
حمقاء ، فإنه لم يكن له قبل دخول العرب إليه تاريخ يعتد به ويشرف المنتسب
إليه ، ولا عرفت له مدينة يصح ذكرها ، ولا حضارة بادِّثرها ، وهؤلاء
العرب حينما افتتحوه حملوا إليه عقولاً وافرة ، وأذهاناً صافية ، وعلوماً صالحة
وحضارة نافعة ، وهمة متوية . وفي الحق أنهم حملوا إليه جرائم الحياة وأصول
العمان ، ونهضوا به نهوضاً لفت الأنظار إليه . وأمال الأعناق نحوه .
وأثروا في ربوعه قواعد المدينة ، وأقرروا في أنحائه أركان الحضارة ومعالم
الإنسانية . فلما تراخي هم الزمن ، وتناءت بهم الأيام ، تقلب طبعه عليهم
وثارت ثائرة رعونة فيهم ، وحمسه عليهم ، فسلب منهم روح الهمة ، وأضعف
فيهم قوة العزيمة ، وأزاح عنهم عوامل النشاط ، وأخذ بمحنتهم فأخضعهم
سلطان الضعف والإخلال ، وشاعت فيهم شوائب الحماقة وذرائع الجهالة .
وما زالت بواعث الضلال تعمل فيهم حتى جاءهم من هم أشد منهم حمقاً
وأعرق منهم رعونة . فانتزعوه منهم رغم أنوفهم .

وهل في الوجود أشد حمقاً من الإسبان ؟ ! هاهم في رقدهم من
لأرض طوال هذا الزمن ، وقد نهضت من حولهم كافة العناصر الأوروبية ،

ونحركت سائر الشعوب حتى البربر منها إلى الحياة المرموقة ، والعزبة الموموقة .
وهم هم ما يزيدون من أهل القرون الوسطى في نوع تعلقهم وطرق تفكيرهم . ولولا
أنهم يدينون بما تدين به الملائكة الأوربية لسيروا عليهم أساسطيلها ، ولجذبسته
نحوم جيوشها ، ولبعثت في آفاقهم أسراب طياراتها ، ولا كنسختهم
وألفت بهم في قاع اليم مندهر . فوصف الجاحظ لأقليم الأندلس بأنه طينة
حمقاء ، قد أقره الزمن ، وصدقته الأيام
ومدحه أبو اسحق النظام بقوله^(١) :

حَبِّ لِعْرٍ وَ جَوْهَرٌ ثَابِتٌ وَ حُبَّةٌ لِي عَرَضٌ زَائِلٌ
بِهِ جَهَانِي السَّتُّ مُشغُولَةٌ وَهُوَ إِلَى غَيْرِي بِهَا مَائِلٌ

(١) قد سرق هذين البيتين « ابن التلميذ الطبيب » وهو من الأطباء الشعراء
البلغاء — وكان خاصا بال الخليفة المقتفي . توفي سنة ٥٦٠ — وجعلهما في ولده سعيد .
فقال :

حَبِّي سَعِيدْ جَوْهَرٌ ثَابِتٌ وَ حُبَّةٌ لِي عَرَضٌ زَائِلٌ
بِهِ جَهَانِي السَّتُّ مُشغُولَةٌ وَهُوَ إِلَى غَيْرِي بِهَا مَائِلٌ

الفصل الحادى عشر

في

شهرة مصنفاته في الافق

لعله لم يُعرف كاتب في العربية ، لاقت مؤلفاته من واسع الشهرة وفائض .
الذى يُوجع ، مالاقت كتب الماحظ ، على كثرتها وتنوع المقاصد والأغراض فيها ،
ومن المعروف أنه كان كلاماً وضع كتاباً أو رسالة تهافت الناس على كتبها
ونسخها وتداولها فيما بينهم ، وبادروا إلى الحرص على حفظها واستظهارها .
كاثمن ما يحرص الإنسان عليه من نفائس الأشياء . وكانت مجالس العلماء
ومحافل الأدباء ، في الأقطار العربية ، لاتكاد تخلو من ذكر الماحظ .
ومصنفاته ، والنظر في آرائه ومعانيه وصنوف بلاغاته ، بالأخذ والرد والجذب
والدفع . وقلما سقط له كتاب في بلد أو في مصر إلا قبل الناس على دراسته .
وإلا أخذوا منه مدرسة يتخرجون فيها في ضروب من الآداب وألوان
من الجدل والنظر والكلام .

ومن أكبر الدلائل على ذلك ما رواه أبو حيان التوحيدى قال : ومن
عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به على بن عيسى النحوى ^(١) الشیخ

(١) هو أبو الحسن على بن عيسى بن عبد الله الرمانى . وكان يعرف
بالأخشيدى وبالوراق ، لكن الشهرة بالرمانى هي الغالبة . كان أحد مشاهير
الآئمة في مختلف العلوم ، وكان متکلاً على مذهب المعتزلة أهل العدل .
والتوحيد . قال أبو حيان : لم ير مثله قط بلا تقىة ولا تحاش ولا اشمئزاز
ولا استيحاش علياً بالنحو ، وغزاره في الكلام وبصرًا بالمقالات ، واستخراجاً
للعيص ، وإيضاحاً للشكك ، مع ثأله وتنزه ودين ويقين وفضاحة وفقاها .

الصالح ، قال سمعت ابن الأخشيد شيخنا أبا بكر يقول :
 ذكر أبو عثمان في أول كتاب « الحيوان » أسماء كتبه ليكون ذلك
 كالفهرست . ومربي في جملتها كتاب « الفرق بين النبي والنبي » وكتاب
 « دلائل النبوة » وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر « الفرق »
 في الجزء الرابع لشىء دعاه إليه . فاحببت أن أرى الكتابين ، ولم أقدر
 إلا على واحد منها ، وهو كتاب « دلائل النبوة » وربما لقب « بالفرق »
 خطأً . فهمني ذلك وسأفي سوء ظفري به . فلما شخصت من مصر ودخلت
 مكة — حرسها الله تعالى — حاجاً أفت منادياً بعرفات ينادي — والناس
 حضور من الآفاق على اختلاف بلادهم ، وتنازح أوطنهم ، وتبين قبائلهم
 وأجنائهم ، من الشرق إلى المغرب ، ومن مهب الشمال إلى مهب الجنوب ،
 وهو المنظر الذي لا يشاهده منظر — : رحم الله من دلنا على كتاب « الفرق
 بين النبي والنبي » لأبي عثمان المخاطب ، على أى وجه كان . قال : فطاف
 المنادى في ترايع عرفات وعاد باللحية وقال : حجت الناس مِنْيَ ولم يعرفوا
 هذا الكتاب ولا اعترفوا به

قال ابن الأخشيد : وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسى عذرها
 وقد علق ياقوت مدون هذا الخبر عليه بقوله : وحسبك بها فضيلة
 لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الأخشيد — وهو هو في معرفة علوم الحكمة
 وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة — يساهم بكتب المخاطب حتى ينادي
 عليها عرفات والبيت الحرام . وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس
 اليوم لاتقاد تحلو خزانة منه . ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر
 وعفاف ونظافة . وله ذكر كثير في كتاب المقابلات . ولد سنة ٢٧٩ وتوفى

ومن أشرف وأطرف ما روى في هذا الباب ما تحدث به ابن مِقْسَم^(١)
قال : قيل لأبي هفَّان — وقد طال ذكر الماجهظ له — لم لا تهجو الماجهظ
وقد ندد بك وأخذ بمحنتك ؟

قال : أمثل يخدع عن عقله ؟ والله لو وضع رسالة في أربعة أتنى لما
أمست إلا بالصين شهرة ، ولو قلت فيه ألف بيت لماطن منها بيت في
ألف سنة !

ومن المفاحر التي استأثر بها الماجهظ في كتبه ما قرره القاضي الفاضل^(٢)
في كلام له حيث قال : أما الماجهظ فما من معاشر الكتاب إلا من دخل
من كتبه الحاره ، وشن [عليها] الفاره ، وخرج على كتبه منها كاره
وممثل القاضي الفاضل لا يسمهان بقوله . ولا يزرى على اعترافه الصادق
وهو سيد كتاب العربية في عصره ، وشيخ ساسة الدولة الايوية على عهد
صلاح الدين . فهو يقرر أن جهرة الكتاب من عهد الماجهظ حتى عهده
انتفعوا بكتب الماجهظ وتحرجوا بها واستفادوا منها ، وكانت لهم على عبارتها
ومعانيها و مختلف أغراضها غارات وسطوات يملون بأسلابها ما يتصدون من

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن العطار . عرف «ب ابن مَقْسَم» كان من القراء
والنحاة ، عالما بالعربية حافظا لغة وقد أخذ بالشذوذ في بعض قراءاته . وقد
ذكروا له مصنفات عدة . كان مولده سنة ٢٦٥ هـ وتوفي سنة ٣٥٥ هـ

(٢) هو أبو علي عبد الرحيم القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي
صاحب تدبيره ورأس ساسته . وكان أبلغ أهل زمانه قلما ، وأفضلهم لسانا ،
وأحدهم ذهنا ، كاتباً بينا ، وشاعراً محضا ، وسائراداهيا ، ومدبراً عافلا ، شد
أركان الدولة الايوية ونهض بأعبائها واضططع بشؤونها على خير الوجوه . ولد بسعقلان
سنة ٥٢٩ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٦ هـ

كتب ، وما ينشئون من رسائل ، وما يصنفون من أسفار
 قلت : وكان أهل البصرة يفاخرون أهل الكوفة بمؤلفات رجالهم ،
 وأهل الكوفة يفاخرون أهل البصرة بآلامهم في ذلك أيضا . ففي رواية أبي بكر
 الخطيب البغدادي أن البصريين فاخروا الكوفيين بأربعة كتب : كتاب
 البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب سبويه ، وكتاب
 العين للخليل . وفاخر الكوفيون البصريين بكتاب محمد بن الحسن (صاحب
 أبي حنيفة) عمله في سبع وعشرين ألف مسألة قياسية عقلية في الحلال والحرام
 لا يسع الناس جهلهما ، وكتاب المعانى للفرا ، وكتاب المصادر في القرآن ،
 وكتاب الوقف والابتداء فيه ، سوى باق الحدود . قالوا : ولنا واحد أمل من
 الأخبار مثل كل كتاب ألف البصريون ، وهو ابن الأعرابي ، وكان

أوحد الناس في اللغة

وقال أبو القاسم الاسكافي : استظهارى على البلاغة ثلاثة : القرآن ،
 وكلام الجاحظ ، وشعر البحترى ^(١)

وذكرت متنزهات الدنيا بين يدي ابن دريد ^(٢) فقال : هذه متنزهات
 العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟ قالوا : وما هي ؟ قال : كتب
 الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوارد أبي العينا

وقال أبو محمد الأندلى : رضيت في الجنة بكتاب الجاحظ عن نعيمها

(١) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى الشاعر المشهور الغنى بشعره
 وبعد صيته عن الوصف والتعريف . ولد سنة ٢٠٣ هـ وتوفي سنة ٢٨٤ هـ

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى عالم الشعراء وشاعر
 العلماء الأديب الفاضل صاحب التصانيف الفائقة والممؤلفات البارعة في فنون
 اللغة والأدب . توفي بغداد سنة ٣٢١ هـ

الفصل الثاني عشر

في

تحقيقه للعلم ووفوده على مصر

ما أحسب العالم جديراً بسمة هذا الاسم الشريف إلا إذا قام علمه على أساس متين من البحث والتحقيق، ونهض على دعامة صحيحة من الاستقراء والتمحص. كذلك لا أرى الأديب حقيقة باسم الأدب إلا إذا شاد أركان أدبه على قواعد من الحفظ وسعة الرواية وبسطة الإطلاع وكثرة الافتنان، وجعل قوله الذوق السليم. وقد ثبتت الدلائل وقامت البرهانات وتكلفات المبحج التي يخاطئها العدل على أن الجاحظ كان فرد زمانه في الأدب ، بل كان واحد الدهر في سائر فنونه ومتتنوع ألوانه ، غير أنه لم يك أحد غيره على كاتب في قديم الزمن وحديثه من عرض لبسط حياته والكتاب عنه قد أشار إلى أنه كان من يعنى بالسائل العلمية على طريق أهل البحث والنظر وعلى سبيل أصحاب الاستقراء وقوف الآخر ، وأنه رحل إلى الآفاق لاجراء تجارب في علم الحيوان أو غيره من الشؤون التي أرسل قلمه في بسطها وإيضاحها ، وكذلك ذهنه في الإباهة عنها والإفصاح عن أسبابها وعللها . وكان المفهوم أنه في كتابه «الحيوان» قد جعل أكبر اعتماده في تأليفه على ما كتبه العلماء الأقدمون أمثال أرسطو^(١) وغيره ، يازوج ذلك بعض ماقيل

(١) هو ارسططاليس بن نيقوما خوس . أعظم فلاسفة القدم صاحب الفضل الأكبر على الإنسانية في ضبط علومها وتحرير عقولها . ولد في إسطاغيرا من بلاد مقدونية سنة ٣٨٤ قبل الميلاد . وتوفي بمدينة خلكس حاضرة جزيرة بويا سنة ٣٢٢ قبل الميلاد

من المشاهدات المأثورة عن العرب القدماء ، والتي روى أنهم تناقلوها من قول أو إشارة أو شعر أو مثل أو حكاية أو أسطورة . ولكنني تكريت فيما وقفت عليه من شؤونه وأحواله أنه كان عالماً محققاً بحاثاً منقباً مستقرئاً منقرأ بكل ماتسع له هذه الالفاظ من معان وأغراض

فقد وقفت له ، فيما وقفت عليه أثناء مطالعاني ، على بحث رد فيه نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصواب ، وأقره في نصاب الحق الصراح ، وأزال عنه شبه النساين الذين شابوا ياضه الناصع بسواد جهالاتهم . ذلك أن الرواة تناقلوا عن الزبير بن بكار^(١) أنه كان يزعم أن أم النضر بن كنانة ابن خزيمة إسمها بُرَة بنت مر بن أذن طابحة ، وأن كنانة تزوجها بعد موتها أبيه خزيمة فولدت له النضر — على عادة أهل الجاهلية من تزوج الابن الاً كبر زوجة أبيه بعد موته إذا كان الولد من غيرها^(٢) — أما أبو عثمان.

(١) هو أبو عبد الله الزبير بن أبي بكر بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . له في الأخبار ورواية الانساب باع طويل . وله شعر جيد ، وكان نيل القدر على قضائه مكتوبة ودخل بقدام مصر أو ألف كتاباً كثيرة . وتوفي بمكة وهو قاض عليها عن أربع وثمانين من عمره سنة ٢٥٦ هـ

(٢) ومن الغريب أن كثيراً من المتسمين باسمة العلم قد خدعوا بهذه الرواية الخطأة ولم يكفووا أنفسهم شيئاً من عناء تحقيقها حتى ولا الشك في صحتها ، ومن هؤلاء أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الاندلسي صاحب الروض الالف في شرح السيرة النبوية المتوفى سنة ٤٨١ هـ فإنه عند كلامه على قوله تعالى « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » . قال ولذلك لم يستثن الله تعالى غير ذلك من المحرمات بقوله « إلا ما قد سلف » . وغير الجمع بين الاختين ، ولم يقل في الزنا ولا القتل إلا ما قد سلف ، إذ كان الجمع بين الاختين شريعة لم قبلنا ، ونقل عن أبي بكر بن العربي أنه قال :

الباحث فقد دحض هذا الاقتراء والقول المراء فقال : وخلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته ، وهي بُرَة بنت أَدْبَن طابخة، جد كنانة بن خزيمة، ولم تلد لـ كنانة ولداً، ذكر أولاً أنَّى، ولكن كانت ابنة أخيها بُرَة بنت مَرْبَن أَدْبَن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة: قال : وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أنَّ كنانة خلف أباها على زوجته لاتفاق اسميهما وتقارب نسبهما . وهذا هو الصحيح الذي عليه مشايخنا وأهل العلم والنسب . قال : ومعاذ الله أن يكون أصحاب نسب النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نكاح مقت وقد قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مازلت أخرج من نكاح كنكح الإسلام حتى خرجت من أبي وأمي . قال الباحث : ومن اعتقاد غير هذا فقد كفر ، والحمد لله الذي نزعه عن كل وصمة وطهره تطهيرا .

قلت : وهذا مما يرجى به المثلوبة للباحث يوم الجزاء الأَكْبَر
وفي سبيل التحقيق العلمي رحل الباحث إلى بعض الأمصار ، فقد وقفت في كتاب الحيوان على أنه وفد على مصر وأقام بها زمناً وأجرى بها اختبارات فيما عثر عليه من حيوانها ، فقد لاحظت أنه تكلم عن نفس كلام محقق مختبر مشاهد . ومن العجب أنَّ الجلال^(١) السيوطي لم يذكره فيمن وفد

وفائدة الاستثناء احترام نسبة عليه الصلة والسلام إذ ليس في نسبة الكريم نكاح سفاح . وقد كنا في غير حاجة إلى هذا التعليل السخيف والتخرير المتلكف مادام قد ثبت أن شيئاً من ذلك لم يكن كما حقيقة الباحث

(١) هو جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشهير . قال ابن إياس : بلغت مؤلفاته ستينياته مؤلف . توفي بالقاهرة سنة ٩١١ هـ في عهد السلطان الغوري . ودفن بجوسون خارج باب القرافة . وقد أزارني هذا القبر الاستاذ حفني

على مصر من صنوف أهل العلم وأرباب المعرف في كتابه «حسن الحاضرة» . ولعل الذي دفعه إلى إغفاله تعصبه على أهل العلم من المعتزلة حتى أنه لم يقرأ من كتب الجاحظ شيئاً ولا عنى بما اختص به من علوم وفنون وأداب ، وإلا لظهر أن ذلك في الألف من كتب وصنف من أسفار

ومن آيات تحقيقه عنایته بالوضع اللغوي وتسمية مالم يكن معروفا عند العرب من الأشياء بأسماء خالصة من الشذوذ ، سليمة من التنازع . فقد عن لي أن أبحث في القواميس العربية ودواوين اللغة عن اسم لذلك اللحم الذي في أجوف الأصداف البحرية والمحار فلم أجده له أثراً ولا وقت له على خبر . وبينما أقلب بين دفتري كتاب «الحيوان» عثرت له على اسم هو من أرق الأسماء وأطلفها وأخفها على الناس . وذلك الاسم هو «اللَّبَلُ» ، وإذا كانت القواميس وكتب اللغة قد خلت من هذا الاسم فإن كتب الاستيقان لم تعرض له طبعاً . ولست أدرى إذا كان هذا اللفظ قل عن اللغات الأجنبية التي كانت معروفة إلى ذلك العهد ، أم أن الجاحظ تلقنه من أفواه البحريين ، أو أنه وضعه من عند نفسه وضعاً . وعلى أي حال فالجاحظ في ذلك الحجة التي لا تدفع والثقة التي لا ترد ، ومن جعل الجاحظ بينه وبين الله في تحقيق اللغة والأدب وأساليب البلاغة والبيان فقد أمن العثار . وله في هذا الباب الشيء الكثير اكتفينا منه بهذا الموجز

الفصل الثالث عشر

في

الترجمة وأساليبها ورأى الجاحظ فيها وفي النقلة

قلت فيها مضى أن الجاحظ لم يترك كتاباً نقل إلى العربية حتى عهده، من أى لغة كانت، وفي أى علم أو فن، إلا قرأه واستظرفه وتمثله، أو كما يقولون «هضمه» ومن بين أن الكتب النقلة عن اللغات المعروفة في ذلك العهد إلى اللغة العربية، كانت تَرْجِعُ بها عواصم الملك الإسلامي ومدنها في الشرق والغرب، بالرغم من أنه لم تكن هناك مطابع تقرب إلى الناس تناولها، وتسهل على الطلاب تداوتها، بل كان الاعتماد كل الاعتماد في الحصول عليها، محصوراً في صناعة النسخ وتحت سلطان الوراقين. وأنت خبير بما يتطلب ذلك من باهظ التكاليف، وما يتضمنه من ارتفاع الأجور وغلاء الأسعار

وقد وقفت للجاحظ، فيما ترجم من كتب العلوم في عهده إلى العربية، على رأى غاية في السداد والحكمة، وهو يجعل لنا مشكلاً حار فيه العلماء والمفكرون عند مارأوا التباهي الذي وقع في الشرح والحواشي والتعليقات والتفسير والتأويلات التي وضعها أهل البحث وأرباب النظر أمثال الفارابي^(١)

(١) هو أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي . الحكيم المشهور، صاحب الصانيف الفاتحة في المنطق والفلسفة وسائر العلوم القديمة . مات بدمشق

وابن سينا^(١) وابن رشد^(٢) والغزالى^(٣) على كتب سقراط، وأفلاطون^(٤) وفيثاغورس^(٥) وأرسطو، وبقراط^(٦) وجالينوس^(٧) وغيرهم من كبار الفلاسفة والحكماء الأقدمين ، مما جعل علماء هذا العصر يشكون في صحة ترجمة تلك الكتب ، ولا يرونهما نقلت إلينا علومهم على الصحة والصواب

(١) هو الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على ابن سينا . العالم الفيلسوف المنطق الطبيب الغوى الأديب المشهور . ولد في قرية من قرى بخارى تسمى أفسنة سنة ٣٧٥ هـ وتوفي بهمدان سنة ٤٢٨ هـ

(٢) هو أبوالوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القاضي العالم المعروف . كان واحد زمانه في الفقه والجدل والخلاف والفلسفه والطب والمنطق ، فاضلا في سائر العلوم . وكان مجلسه بجامع إشبيلية ثم بجامع قرطبة مختلف إليه طلاب العلم من أفاقي البلاد ، ومن سائر أرباب الملل والنحل ، وتخرج به خلق من اليهود والنصارى فضلا عن المسلمين . وتوفي بمرا كش سنة ٥٩٥ هـ

(٣) هو أبوحامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي المعروف بمحجة الاسلام . كان علاماً زمانه في الفقه والجدل والمنطق وما إليها ، وروى له شعر . ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بطرسوس سنة ٥٠٥ هـ

(٤) هو أفلاطون الفيلسوف اليوناني الشهير . كان من أشهر فلاسفة القدم ومن أكبر أعلام الدهر الأول . وهو من سلالة ملوك أثينا . ولد ببلاد اليونان سنة ٤٢٧ قبل الميلاد ، وتوفي سنة ٣٤٦ قبل الميلاد

(٥) هو فيثاغورس الحكم المشهور أحد أكبر الفلاسفة الأقدمين من اليونان . وهو تلميذ علماً مصر في الهندسة والطبيعة والآلهيات . ولفيثاغورس رافلاطون وأرسطو شأن كبير في الفلسفة الاسلامية

(٦) هو بقراط بن هيراكلينس . طبيب طبعي مشهور وكان يلقب «أبا الطب» . وهو من أكبر علماء اليونان وحكمةهم ولد بجزيرة كوس سنة ٤٦٠ قبل الميلاد ومات بمدينة لاريسا في منتصف القرن الرابع

(٧) هو جالينوس . طبيب طبعي مشهور . من أكبر علماء اليونان . وحكمةهم . وكان موجوداً في سنة ٢٠٠ ميلادية

و قبل أن نعرض عليك هذا الرأي تف بك على ما كان متبعاً في ذلك المهد من طرق الترجمة وأساليب النقل ومناهج النقلة والمترجفين - ملخصاً عن الصلاح الصدري - فنقول :

كان للنقلة والترجمة في ذلك الحين طريقان :

الأول - طريق يوحنا بن البطريق^(١) وابن ناعمة الحصى^(٢) وفرقتهما - وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى كل لفظة مفردة من الكلمات اليونانية ، أو غيرها من اللغات الأخرى ، وما تدل عليه من معنى، فيأتون بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى، فيضعونها في مكانها ، ثم ينتقلون إلى غيرها . وهكذا حتى ينتهي قلم الكتاب على هذه الصورة . ولا شك أن هذه الطريقة عقيمة جداً ، ومن الرداءة في أقصى حد . لأن الناقل قد يضطره عدم إحاطته باللغة العربية ، وعدم وقوفه على سائر مفرداتها التي تقابل الكلمات الأنجعية ، إلى ترك الكثير من هذه الكلمات كا هي على عجمتها . وهنا يصبح الكتاب لا هو بالعربي ، ولا هو بالعجمي . وقد وقع من جراء هذه الترجمة خلل كثير فيما ترجم من الكتب على هذه الطريقة ، وظلت فيها أكثر الكلمات اليونانية ، أو الفارسية ، أو الهندية ، أو السريانية ، أو اللاتينية ، على حالها . هذا فضلاً عن أن خواص التراكيب والنسب الإسنادية في أي لغة كثيراً ما لا يتفق مع

(١) هو يوحنا أو يحيى بن البطريق : كان قياماً بلغة الروم اللاتينية ، عاجزاً عن معرفة العربية ، وكان في خاصة الحسن بن سهل

(٢) هو عبد المسيح بن عبد الله الحصى الناعمي المعروف بابن ناعمه . كان من رجال الترجمة والنقل ، متوسط الجودة

ما فَأَيْ لُغَةٍ أَخْرَى مِنْ هَذِهِ الْخَوَاصِ . بَلْ مَا يَقُومُ مِنْ اخْتِلَالٍ عِنْدَ اسْتِعْبَالِ
الْجَازَاتِ وَمِرَامِي الإِسْتِعَارَاتِ

الثاني — طريق حنين بن إسحق^(١) وال Abbas بن سعيد الجوهرى^(٢)
مولى المأمون ، وغيرها من نحاة نحوها — وذلك أن يقرأ الناقل جملة الكلام
فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة العربية بجملة تطابقها ، سواء
ساوت الألفاظ الأنفاظ ، أم خالفتها . وهذه الطريقة أجوء من غيرها بلا
مراء . وهذا قالوا : إن كتب حنين بن إسحق لم تحتاج إلى تهذيب إلا في
العلوم الرياضية ، لأنها لم يكن فيها ، بخلاف كتب الطب والمنطق
والطبيعي والألمي ، فإن ما عرّبه منها لم يحتاج إلى إصلاح . أما أقليدس^(٣)
فقد ذكروا أن ثابت بن قرة الحراني هذبه ، وكذلك الجسطى
والمتوسطات بينها

(١) هو أبو زيد حنين بن إسحق العبادى . كان طيباً بارعاً عالماً بعلوم
الأوائل . وكان فصيحاً لساناً بلغاً يقول الشعر إذا شاء . وناهيك بن يكون
أستاذه الخليل بن احمد . وقد نقل إلى اللغة العربية كثيراً من الكتب القديمة
لأنه كان يجيد اليونانية والسريانية والرومية (اللاتينية) وكان بعض الخلفاء
يعطيه أجراً نقل زنة الكتاب ذهباً . وخدم المتوكل في الطب . مات سنة ٢٦٠ هـ

(٢) هو العباس بن سعيد الجوهرى . كان فلكياً منتجاً عالماً بالأرصاد
وآلاتها . وكان في حبة المأمون وهو مولاه . وهو الذي ندب المأمون في
جامعة من أصحابه لاجراء الرصد . وله في ذلك زيج مشهور . وكان من أكابر
المهندسين والحساب

(٣) هو أقليدس الصورى . كان أوحد أهل زمانه في معرفة علم الهندسة
والحساب وهو من أكابر الفلسفة الرياضيين . والمقصود هنا اسم كتاب له

هذان هما طریقاً النقل والترجمة في تلك العصور.

أما رأى الجاحظ الذي وعدناك بإيراده فالإيك هو . قال أبو عثمان : إن الترجمان لا يؤدى أبداً ما قال الحكم على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبها ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ، ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على المجرى ، وكيف يقدر على أدائها ، وتسليم معانيها ، والإخبار عنها ، على حقها وصدقها ، إلا أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات خارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه ... ! ؟

فتى كان ابن البطريق ، وابن نعمة ، وأبو قرة^(١) وابن فهريز^(٢) وابن وهيلي ، وابن المفع : مثل أرسسطو ؟ ومتي كانت خالد^(٣) مثل أفلاطون ... ! ؟

ولابد للترجمان من أن يكون ييانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه في نفس المعرفة . وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول [عنها] والمنقول إليها حتى يكون فيما سواه وغاية

(١) الظاهر أن المقصود به هو أبو علي ابن أبي قرة ، وكان هذا منجاً للعلوي البصري صاحب الرنخ الخارج على الدولة العباسية . ثم وقع أسيراً في يد الموفق فاستبقاءه وصارفي جلته وعمل كتاباً في علة كسوف الشمس والقدر

(٢) لعل المقصود هنا هو حبيب بن فهريز ، و كان يلقب عبد الشوع ، وكان مطراناً للوصل . عرب كتاباً كثيرة للأمون . وكانت بينه وبين جبرائيل

ابن بختشوع صداقةً و مودةً ، وكان ينقل له الكتب . وقد ذكر الجاحظ ابن فهريز

هذا في كتابه « البيان والتبين » المطبوع بشرحنا في ص ٩٦ ج ١ فانظره هناك

(٣) هو خالد بن عبد الملك المروزى . كان من أكابر المنجمين في عهد

الأمون وكان من خاصة منجي الدولة . وله زيج حاز شهرة واسعة في العصر الأول

ومقى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما ، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتتعرض عليها . وكيف يكون نمكنا اللسان منها مجتمعتين فيه ، كتمكناه إذا انفرد بالواحدة ؟ وإنما له قوة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما ، وكذلك إن تكلما بأكثر من لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمة لمجموع اللغات وكلما كان الباب من العلم أسر وأضيق ، والعلماء به أقل ، كان أشد على الترجم وأجرأ أن يخطئ فيه . ولن تجد البتة مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء

هذا قولنا في كتب الهندسة والتنجيم والحساب واللغون . فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين وإخبار عن الله عز وجل بما يجوز عليه مما لا يجوز عليه ، حتى يريد أن يتكلم على صحيح المعانى في الطبانع ، ويكون ذلك متضمنا بما يجوز على الله تعالى مما لا يجوز ، وبما يجوز على الناس مما لا يجوز . وحتى يعلم مستقر العام والخاص والمقابلات التي تلقى الأخبار العالية المخرج فيجعلها خاصة . وحتى يعرف من الخبر ما يخصه الخبر الذي هو أثر ، مما يخصه الخبر الذي هو قرآن ، وما يخصه العقل مما تخصه العادة ، أو الحال الرأدة له على العموم . وحتى يعرف الصدق والكذب ، وعلى كم معنى يستعمل ويجتمع ، وعند فقد أي معنى ينقلب ذلك الاسم . وكذلك معرفة الحال من الصحيح ، وأى شىء تأويل الحال ، وهل يسمى الحال كذباً أم لا يجوز ذلك ؟ وأى القولين أحسن : الحال أم الكذب ؟ وفي أي موضع يكون الحال أفعظ والكذب أشنع ؟ وحتى يعرف المثل والبديع والوحى والكتابية ، وفصل ما بين الخطأ والمهر والمقصورة والبساطة والاختصار . وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب تفاهتهم.

والذى ذكرنا قليل من كثیر ، ومتى لم يعرف ذلك المترجم أخطأ في تأويل
كلام الدين . والخلطا في الدين أضر من الخلطا في الرياضة والصناعة والفلسفة
والكيمياء ، وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجم الذى قد ترجم لا يكمل لذلك أخطأ على قدر قصانه
من الكمال . وما علِمَ المترجم بالدليل من شبه الدليل ؟ وما علِمَه بالأخبار
النجومية ؟ وما علِمَه بالحدود الخفية ، وما علِمَه بإصلاح سقطات الكلام
وإسقاط النساخين للكتب ؟ وما علِمَه بعض الخطرفة لبعض المقدمات ؟!
وقد علمنا أن المقدمات لابد أن تكون اضطرارية ، ولا بد أن تكون
مرتبة وكالتلخ المندور . وابن الباريق وأبوقرة لايفهمان هذا موصوفاً متولاً
ومرتباً مفصلاً ، من معلم رفيق ، ومن حاذق طب ! فكيف بكتاب قد تداولته
الآفات ، واحتلاف الأقلام ، وأجناس خطوط الملل والأمم ؟ ولو كانت
الحاذق بلسان اليونانية يرمي إلى الحاذق بلسان العربية ، ثم كان العربي
مقصراً عن مقدار بلاغة اليوناني لم يجُد المعنى . والناقل التقصير ، ولم يجد
اليوناني الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية بدا من الافتخار
والتجاوز . . . ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً أو كلة ساقطة
فيكون إثناء عشر ورقات من حُر اللفظ وشريف المعانى أيسر عليه من
إنتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام ! فكيف
يطيق ذلك المعارض المستأجر والحاكم نفسه قد أعجزه هذا الباب ؟

قلت : هذا كلام المحافظ ، وهذا رأيه في ترجمة كتب العلوم وأسفار
الأديان ، وهذا قوله في الترجمة والنقلة القدماء ، قد أوضح به السبيل ،
وأنوار الطريق ، وأرسل به شعاعاً من صادق الرأى ومحكم القول وبارع

النظر وفائق الفكر ، على أمر غرب العالم الإسلامي طوال هذا الدهر على غير بينة منه . فهل في مقدور القائلين الآن بإمكان ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية، الاستنارة به والاهتداء بهديه ؟ وهل في استطاعة مخالفيهم والقائلين باستحالة ترجمته أن يستفيدوا بما جاء به من العلل والأسباب والدوافع والموانع ؟ وهل لـكلا الفريقيـن تدبر هذا الكلام على حقه وصدقه ، حتى يمكن الاجماع على رأى حاسم في هذا الأمر الجليل شأنـ الشأن الكبير الخطر البعـيد الأثـرـ فـأـمـ شـأنـ يـخـصـ الـعـالـمـ الـاسـلـامـيـ فـمـشـارـقـ الـأـرـضـ وـمـغـارـبـهاـ ؟!



الفصل الرابع عشر

۳

نشوء الاعتزاز في الاسلام

قبل أن نعرض عليك مذهب الماحظ في الاعتزال ، نرى لزاماً علينا أن نبسط لك القول في نشوء الاعتزال ، وأولية المعرفة ، وكيف كان أصلها ومعناها ، وعلى يد من ثارت ثائرتها . فإن في بسط هذا الموضوع إبانة لمذهب الماحظ فيه ، وإيضاً لما اعتمدته من رأى . ولذلك تقول :

لكل دين من الأديان التي ظهرت على وجه الأرض حالة تعرو
القائين عليه بعد ذهاب مؤسسه إلى حيث تنتهي حياة كل إنسان . فيتناول
كل ذي رأى من هؤلاء الخالقين أصول هذا الدين وأسسه ويوجه إليها
عنياته ، ويرسل عليها من أشعة عقله ، وبوائق تفكيره سواعط أنوار
متدرجاً معانيها ، مستشفياً مفازيها ، مفسراً الغواص من عباراتها ، مقرباً
البعيدمن مرادي آياتها ، محاولاً إيضاح المشكل من إشاراتها ، مأولاً المشتبه من
أغراضها ، مبيناً ما دق من ملتبسها . ولا يزال بها حتى يستخرج من خلاها
أصولاً يبني عليها فروعاً تقوم عنده مقام الدستور الواجب الاحترام . ثم هو
لا ينفك لهاجا بها ، مكتباً عليها بين بسط وقبض ، ورفع وخفض ، إلى أن
يستوى له منها مذهب يعرف به ، ويدعو إليه ، وينتصر له ، وينزله منه
 منزلة العين من الإسم ، والذات من الرسم . لا يكاد يخلو من هذه الحال دين
من الأديان ، أو ينبع منها شرعاً من الشرائع ، سواء في ذلك أديان السماء

وشرائع الأرض . ومن هنا كثرت المذاهب في الأديان ، وتعددت الآراء في الشرائع ، وتشعبت فيها الملل ، وفرقـت النـحل .

ولم يتع لـلـاسـلام ، وـهـوـآخـرـالـأـديـانـالـسـماـويـةـ ،ـالتـخلـصـمـنـهـذـهـ
الـسـنـةـالـطـبـيـعـيـةـ ،ـسـنـةـالـتـحـولـوـالـتـطـورـ ،ـوـالـتـشـعـبـوـالـتـفـرـقـ .ـوـكـيفـيـكـنـ
الـتـخـلـصـمـنـهـاـوـالـإـنـسـانـهـوـذـلـكـالـخـلـوقـالـمـكـونـمـنـمـخـلـفـالـعـنـاـصـرـوـمـتـبـاـينـ
الـمـوـادـ؟ـلـذـلـكـأـصـيـبـالـدـيـنـالـاسـلـامـمـنـهـذـهـالـمـذاـهـبـبـاـنـاهـبـ،ـوـكـادـ
يـوـدـىـبـرـوـائـهـ،ـوـيـذـهـبـبـهـائـهـ،ـوـيـخـرـجـبـهـعـنـقـوـاـعـدـهـالـمـتـمـكـنـةـفـيـالـسـاحـةـ
وـالـسـهـوـلـةـ،ـوـالـتـىـمـاـكـانـفـأـجـذـمـهـاـلـبـسـوـلـاـغـمـوـضـوـلـاـإـبـاهـامـ.

وـمـنـالـفـرـيـبـأـنـمـدـوـنـىـمـذـاهـبـهـ،ـوـكـاتـبـيـنـخـلـهـ،ـحـيـنـاـأـوـلـمـواـبـتـقـيـسـمـاـجـدـ
فـيـهـمـنـتـنـازـعـالـآـرـاءـ،ـوـمـاـاعـتـورـهـمـنـتـجـاذـبـالـاهـوـاءـ،ـوـمـاـقـامـفـيـهـبـيـنـأـهـلـ
الـبـحـثـوـالـنـظـرـ،ـوـأـصـحـابـالـسـنـدـوـالـأـثـرـ،ـمـنـالـجـادـلـاتـوـالـمـهـارـاتـ،ـأـبـوـإـلاـ
أـنـيـقـسـمـوـالـأـمـةـحـسـبـآـرـاءـبـعـضـالـأـفـرـادـمـنـهـؤـلـاءـإـلـىـأـقـسـامـ،ـوـأـنـيـشـعـبـوـهـذـهـ
الـأـقـسـامـإـلـىـفـرـقـتـنـاـحـرـ،ـوـنـخـلـتـجـازـرـ،ـوـأـنـيـتـلـمـسـوـالـذـلـكـأـصـلـاـيـعـزـوـنـهـإـلـىـ
الـشـارـعـالـأـعـظـمـ،ـفـاـبـتـدـعـوـاـحـدـيـثـاـرـوـوـهـمـطـرـقـشـقـزـعـمـوـفـيـهـأـنـرـسـوـلـ
الـلـهـصـلـىـالـلـهـعـلـيـهـوـسـلـمـقـالـ:

« افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقـةـ ،ـوافتـرقـتـالـنـصـارـىـعـلـىـ
اثـنـتـيـنـوـسـبـعـيـنـفـرـقـةـ ،ـوـفـتـرـقـأـمـتـىـعـلـىـثـلـاثـوـسـبـعـيـنـفـرـقـةـ ،ـكـاـهـاـفـيـالـنـارـ
الـأـوـاـحـدـةـ ،ـوـهـىـمـاـأـنـاـعـلـيـهـوـأـصـحـابـيـ»

ولوصحـهـذـاـالـحـدـيـثـلـكـانـنـكـبـةـكـبـرـىـعـلـىـجـمـهـورـالـأـمـةـالـاسـلـامـيةـ
إـذـيـسـجـلـعـلـىـأـغـلـيـتـهاـجـامـعـةـالـخـلـودـفـيـالـجـهـيمـ!ـوـلـوـصـحـهـذـاـالـحـدـيـثـلـماـ
قـامـأـبـوـبـكـرـفـيـوـجـهـمـانـعـىـالـزـكـاـةـمـعـتـبـرـاـإـيـاـهـمـفـيـحـالـةـرـدـةـ،ـيـحـارـبـهـمـعـلـيـهـ،ـ
وـيـقـاتـلـهـمـمـنـأـجـلـهـاـ،ـوـيـسـتـحـلـمـنـهـمـمـاـهـوـحـرـمـمـنـكـلـمـسـلـمـ.ـوـمـنـيـدـرـىـ!

فعلم أبو بكر لوم ينهض لقتال أهل الردة رأينا في المؤرخين والكتاب من عدمهم من الفرق الداخلة في عداد الثلاث والسبعين فرقة؟ ولعلهم كانوا سموهم «الزكاتية» لأنهم منعوا الزكوة كما عدوا من قاتلهم على سموهم «الخوارج الحكمة» لأنهم قالوا «لا حكم إلا لله» ولو صح هذا الحديث لوجب على جمهور المسلمين أن لا يعرضوا بسو، لأى جماعة منهم تحاول التفرد عليهم برأى، والتخصص دونهم بمذهب، وأن لا ينشدوا بهذه الجماعة الرجوع إليهم والدخول في جملتهم ، تصدقًا لهذا الحديث وتعزيزا له حتى يصل عدد الفرق إلى ما حدد لها فيه . ولو صح هذا الحديث لما نجا من الأمة أحد لأنه ما من فرقة من الفرق إلا ويُكفر ببعضها بعضاً ، ولم تسلم فرقة مامن المطاعن والمثاب والرمي بالالحاد في الدين ، وما من فرقة إلا وهي ترى لنفسها النجاة دون أخواتها . وكل حزب بما لديهم فرلون .

ومن أعجب العجب أن مؤرخي هذه المذاهب ، ومسجلـي هاتيك الفرق من سلف ، تظالعوا وراء هذا الحديث وأخذ كل منهم يسلـل فرقـه على ما يرى ، ويولد بعضـها من بعض ليصل بها إلى العدد الذي حدد فيه ، غير مكافـف نفسه الـبحث في صحتـه أو فسادـه ، ولا مـفكـر في اـنطبـاقـه على العـقل والـطبع والنـظر ، أو في زـيفـه وبـعده عن مـطـابـقـة الواقع ! وأشدـ من ذـلك عـجـباً أن أحـدـاً مـنـهم لم يـتـحـرـ النـظـرـ في سـلامـةـ أـجزـائـهـ ، وـفيـ صـحةـ دـعـائـهـ ، كـأنـ يـتـعـرـفـ هلـ كانـ اليـهـودـ فيـ ذـلـكـ العـهـدـ إـحدـىـ وـسبـعينـ فـرقـةـ حـقاـ ، وهـلـ كانـ النـصـارـىـ اـثـنتـيـنـ وـسبـعينـ فـرقـةـ ؟ وـكـانـ يـنـظـرـ فـيـماـ سـيـأـتـىـ بهـ الـدـهـرـ الـأـطـولـ منـ ظـهـورـ فـرقـ ، وـبـوـغـ مـذـاهـبـ ، وـنـشـءـ فـكـرـ ، وـنـجـومـ آـرـاءـ ! وهـلـ هـىـ دـاخـلـةـ فـيـ هـذـاـ الحـسـابـ ؟ أمـ خـارـجـةـ عـنـهـ ، مـسـتـقـلـةـ دـوـنـهـ ؟ وـمـاـ مـنـزـلـتـهـ مـنـ هـذـهـ فـرقـ الـمـحـصـورـةـ العـدـدـ ؟ أمـ هـلـ خـمـدـتـ الـقـوـلـ ، وـنـصـبـتـ الـقـرـائـعـ ، وـتـصـدـعـ الـفـلـكـ ، وـسـلـبـ اللـهـ مـنـ

سائر خلقه قوة البحث والنظر واعمال الفكر ، مصداقاً لهذا القول وتعزيزاً لهذا الاُثر ؟ ! لاشك أن هذا مالا يقول به عاقل يجل قدرة الله في أشرف مظاهرها وهو « المقل »

والمعتزلة — أو — القدرية — أو — أهل العدل والتوحيد — طائفة من أجل هذه الطوائف الاسلامية عقولاً ، ومن أقوالها نفوساً ، ومن أسماءها فكيراً . وكان لشيخها قوة في البيان ، وبسطة في الاسان ، وشدة في الجبان ، ولم يمْعِ مواقف مشهورة في الاسلام ضد مخالفيه يذودون عنه غاراً لهم ، ويدفعون في أقوالهم بناصع الأدلة وواضح البرهان .

ظهرت هذه الطائفة في أواخر القرن الأول للهجرة عند ما استفحَل أمر « الأزرقة » ^(١) من الخوارج ، واشتدت شوكتهم بالبصرة والاهواز ، وأصبح أمرهم خطراً وبأسهم شديداً يهدى الدولة ، على عهد عبد الملك بن مروان ^(٢) وولايته الحاج بن يوسف العراقيين ، ووقع الخلاف في الناس في شأن مرتکب الذنب ومحترح الآلام من الأمة الاسلامية . فكل جماعة ارتأت رأياً ، وذهبت مذهباً ، وقالت قولًا ، وعرضت بنظر .

(١) هم فرقه من الخوارج ، بل هم أكبر فرقه ظهرت منهم وأكثرها عدداً وأشدتها بأساً وأقواماً . وهي تنتسب إلى نافع بن الأزرق المخنق أحد عظامهم . وكان ظهورهم في عهد ابن الزبير فسير عليهم الجيش فكانوا يهزموها ثم سار إليهم المطلب بن أبي صفرة فهزهم بعد خطوب فوجعة دولاب بالاهواز . وفي هذه الوجعة مات نافع بن الأزرق وهو منهزم

(٢) هو عبد الملك بن مروان أحد أكابر ملوك بنى أمية ومؤسس دولة بنى مروان بالشام ، وكان من أعقل الناس وأحرزهم . وكان عهده كله حروب وفن وأحداث وخطوب غير انه تغلب على هذا كله بالحزم وقوة البطش والاسراف في إراقة الدماء إلى أن استقر له الملك . مات بدمشق سنة

فرآى «الازارقة» من الخوارج أن كل مرتکب لذنب، صغيراً كان ذلك الذنب أو كبيراً، فهو مشرك بالله . وعندهم أن أطفال المشركين مشركون . ولذلك استحلوا قتل أطفال مخالفتهم وقتل نسائهم ، سواءً كانوا من أهل الاسلام أم كانوا من غيرهم .

ووافتهم «الصفرية»^(١) في ذلك ، إلا أنهم خالفوهم في الأطفال . وذهب «النجدات»^(٢) من الخوارج إلى أن مرتکب الكبيرة ، التي أجمعـت الأمة على تحریمها ، مشرك كافر ، ومرتكب الذنب الذي اختلفت فيه الأمة ، حكمه وقف على اجتہاد أهل الفقه فيه .

ورأت «الأباضية»^(٣) من الخوارج أن مرتکب ما فيه الوعيد ، مع معرفته بالله تعالى وبما جاء من عنده ، كافر كفران نعمة ، وليس بكافر كفر شرك .

وذهب الحسن البصري وجاءة معه إلى أن مرتکب الكبيرة من هذه الأمة منافق .

وأما الجھور فيرى أن مرتکب الكبيرة من هذه الأمة ، مؤمن . لاعتقاده بأن كل ما جاء من عند الله حق ، ولا يمانه بالرسل والكتب المنزلة ، غير أنه يعد فاسقاً بكبیرته التي ارتكبها . على أن وصفه بالفسق ، لا ينفي عنه اسم الایمان والاسلام

وبینا الناس في أمر من هذا الحال مريج ، دخل رجل على الحسن البصري

(١) هـ فرقـة من الخوارج تـنـسب إـلـى زـيـادـ بنـ الـأـصـفـرـ . وـيـعـدـونـ فـيـ فـرـوـغـ الـازـارـقـةـ ، وـإـنـ كـانـواـ فـارـقـوـهـ فـيـ بـعـضـ القـوـلـ

(٢) هـ فرقـةـ منـ الخـوارـجـ تـنـسبـ إـلـىـ نـجـدـةـ بـنـ عـامـرـ الـخـنـقـ ، وـكـانـواـ بـالـيـاـمـةـ مـمـ لـهـمـ اـفـتـقـواـ فـيـهـ يـنـهـمـ إـلـىـ فـرـقـ كـثـيرـةـ تـسـمـيـ كـلـهاـ النـجـدـاتـ

(٣) هـ فرقـةـ منـ الخـوارـجـ تـنـسبـ إـلـىـ عـبـدـ اللهـ بـنـ إـبـاضـ وـعـنـهاـ تـقـرـعـتـ عـدـةـ فـرـقـ

وهو في مجلسه بمسجد البصرة فقال : يا إمام الدين ، لقد ظهر في زماننا هذا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج عن الملة — وهم وعِيْدِيَّةُ الْخُوارَج — وجاءة يُرْجِئُونَ أَصْحَابَ الْكَبَائِرَ . بل العمل ، على مذهبهم ، ليس ركنا من الإيمان . ويرون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، ولا تنفع مع الكفر طاعة — وهو المُرْجَحَةُ^(١) — فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتكرر الحسن في هذا السؤال مليا ، وقبل أن يجمع رأيه على قول يحيى به ، بادر واصل بن عطاء بالجواب وقال :

أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو في « منزلة بين المرتلين »

فضضب الحسن لتسريعة في الجواب وجراحته في الإجابة عنه . فقام واصل في جماعة معه عن مجلسه وجلس بهم إلى اسطوانة بالمسجد . ثم أخذ يلقي عليهم رأيه ، ويلقفهم أسبابه وعلمه ، ويقرر لهم مقدماته وتنتاجه . غير أن الحسن لم يرضه مفارقة واصل له ، وكانت له في نفسه مكانة ، فحاول مرضاته واسترجاعه إلى سابق مودته ، على أن يكون ذلك من طريق الانقانع ، فأرسل إليه للمناظرة فلما حضر في رهط من صحبه انتدب له عمرو بن عبيد ، وكان من رؤس أصحابه ، وسأل الحسن واصلاً أن يكلم عمرأً؟

قال واصل : لم قلت : من أنتَ كثيرة من أهل القبلة استحق اسم النفاق؟

قال عمرو : لقول الله تعالى « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ هُنَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَّا نَبَيَّنَ جَلْدَهُ وَلَا تَقْبِلُوا كَلْمُ شَهَادَةَ أَبْدَاهُ

(١) هم قوم كانوا يقولون بالارجاء في الإيمان . وإنما سموا المرجحة لأنهم أرجأوا العمل عن الإيمان . والارجاء في اللغة: ألاخير

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » فَكَانَ كُلُّ فَاسِقٍ مُنَافِقًا ، إِذَا كَانَ أَلْفُ الْعِرْفَةِ
وَلَامَهَا مُوجَدَتِينَ فِي الْفَاسِقِ .

فقال واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » ؟ وأجمع أهل العلم على أن صاحب
الكبيرة من أهل القبلة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق ، فالأَ
كفرتم صاحب الكبيرة من أهل القبلة بقوله تعالى « وَالْكَافِرُونَ هُمُ
الظَّالِمُونَ » ؟ فعرف بألف ولام التعريف اللتين في قوله تعالى « وَمَنْ لَمْ
يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » كما قال في القاذف « وَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ » فسميتها منافقا لقوله تعالى « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » ...؟!
ياباً عثمان ، أى ما أولى أن تستعمل في أسماء المُخْدِثِينَ من أمتنا : ما اتفق
عليه أهل الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختلفوا فيه !؟
فقال عمرو : بل ما اتفقا عليه أولى !

فقال واصل : ألسنت تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب
الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه ؟ لأن الخوارج تسميه
بشرى فاسقا ، والشيعة ^(١) - الزيدية - تسميه كافر نعمة فاسقا ، والحسن
يسميه منافقا فاسقا ، والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا . فاجتمعوا على تسميتها بالفسق
واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه ، فالواجب أن يسمى بالاسم الذي اتفق

(١) الشيعة من شايعوا علي بن أبي طالب وحرصوا الفضل والسبق
والاولوية فيه . وهم فرق . منهم الزيدية وهو لا ينسبون الى زيد بن علي زين
الاعابدين ، وهم من أفضل الشيعة وأنظفهم عقيدة حتى انك لانكاد ترى فرقا
بينهم وبين أهل السنة

الختلفون عليه، وهو الفسق . ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلفوا فيها . فهذا أشبه بأهل الدين؟!

فقال عمرو : ما بيني وبين الحق عداوة ، والقول قولك ، فليشهد على من حضر أني تارك للمذهب الذي كنت أذهب إليه ، قائل بقول أبي حذيفة^(١) و أني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب

ثم انضم عمرو بن عبيد إلى واصل بن عطاء، وأخذنا في تقرير مذهبهما من تابعهما من الأصحاب والطلاب والاشياع . وفي الواقع أن واصلاً وعمراً لم يقصدَا بما ارتلأاه من مقالتهما « بالنزلة بين المزتين » إلا التوفيق بين مختلف الآراء ، وإلا التقرير فيما بينها ، أملاً في الوحدة الجامعة ، وإيشافاً من الفرقة المزقة ، ولم يكن لهما من وراء ذلك أى مأرب في خلاف أو قرد برأى يعرفان به ، لولا غضب الحسن من تسرع واصل في الجواب . لأن واصلاً وعمراً قد كانوا من الزهد والورع والنسك والتقوى واستقامة الطريقة إلى الحد الذي ليس وراءه متطلع ، وناهيك برجلين كانوا مفخرة أستاذها أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية؟!^(٢) فهذا أبو بكر الخوارزمي^(٣) كان يقول لمن سأله عن أبي هاشم : أنظر إلى أثره على واصل

(١) كنية واصل

(٢) هو أبوهاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب . وأبوه المعروف بابن الحنفية . وأبوهاشم هو الذي بشر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بمصير الخلقة إلى ولده . ولأبي هاشم أتباع من الشيعة يقولون بamacمه لهم من فرقة الكيسانية . وقد كان عظيم القدر جليلًا موقراً كثیر العلم والفضل والأدب

(٣) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب المجيد والشاعر البليغ أحد أفراد الأئمة في اللغة والأدب والأنساب . وكان حافظاً مجيداً . وهو ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى الشهير . وله رسائل جيدة وأشعار

ابن عطا، وعمرو بن عبيد : مَاذَا أقول فِي جُرْهَ هَذَا شَرْهَ ، وَفِي سِيفَ هَذَا أَثْرَهَ ، وَفِي كَرِيمَ هَذَا نَتَاجَ سُؤَدَّهَ ، وَأَثَارِيَدَهَ ؟ !

وَفِي تَسْمِيَتِهِمَا وَأَتَبَاعِهِمَا « بِالْمُعَزَّلَةَ » أَقْوَالٌ : مِنْهَا أَنَّ الْحَسْنَ الْبَصْرِيَّ

عِنْدَ مَا فَارَقَهُ وَاصْلَ قَالَ : إِعْتَزَلَ عَنَا وَاصْلٌ . وَمِنْهَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا حِينَئِذٍ : إِنَّ

وَاصْلًا وَعِمْرًا اعْتَزَلا قَوْلُ الْأُمَّةِ . وَمِنْهَا أَنَّ قَاتَادَةَ بْنَ دَعَامَةَ لَمَّا جَلَسَ فِي مَجَالِسِ

الْحَسْنَ الْبَصْرِيَّ بَعْدَ وَفَاتَهُ ، فَارَقَهُ عُمَرُ بْنُ عَبِيدٍ ، فَسَمَاهُ وَأَتَبَاعَهُ « بِالْمُعَزَّلَةَ »

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبِهٖ^(١) : إِعْتَزَلَ عُمَرُ بْنُ عَبِيدٍ وَأَصْحَابُهُ الْحَسْنَ فَسَمَاهُ

« بِالْمُعَزَّلَةَ »

وَالَّذِي أَمْيلَ إِلَيْهِ وَأَرْجُحُهُ فِي سَبِيبِ هَذِهِ التَّسْمِيَّةِ ، مَا قِيلَ مِنْ أَنَّ قَاتَادَةَ

ابْنَ دَعَامَةَ السَّدُوْسِيَّ ، وَكَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْحَسْنِ وَمِنْ أَحْلَاسِ مَجْلِسِهِ —

وَكَانَ أَكْمَهُ ، وَعِمْرًا فَقَدْ كَانَ يَسِيرُ فِي أَنْحَاءِ الْبَصْرَةِ بِغَيْرِ قَائِدٍ — فَدَخَلَ

الْمَسْجِدَ يَوْمًا وَإِذَا بِهِ أَمَامُ مَجْلِسِهِ فِي بَادِيَّ الْأَمْرِ مَجْلِسِ الْحَسْنِ ، إِلَّا أَنَّهُ

مَا لَبِثَ أَنْ سَمِعَ أَصْوَاتًا مُرْتَفَعَةً بِعِبارَاتٍ لَا يَعْرِفُهَا ، وَكَلَامًا لَا عَهْدَ لَهُ بِمُثْلِهِ ،

فَلَمَّا عُرِفَ أَنَّهُ بِالْحَسْنِ وَاصْلٌ وَعُمَرٌ قَالَ : أَهُؤُلَاءِ الْمُعَزَّلَةُ ؟ ! قَالَ هَذَا مِنْ بَابِ

الْاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ . فَسَمَاهُ مِنْ يَوْمَئِذٍ بِهَذَا الاسمِ . وَهَذَا أَقْرَبُ الأَسْبَابِ

إِلَى مُحْجَةِ الصَّوَابِ ، لَأَنَّ مَسْحَةَ الطَّبِيعَةِ غَالِبَةٌ عَلَيْهِ .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن منهـ المحدث الـ خـبارـ المشـهورـ . أصلـهـ منـ أـبـنـاءـ الـقـرـسـ الـذـيـ بـعـثـ بـهـمـ كـسـرـىـ لـفـتـحـ الـيـمـ وـطـرـدـ الـحـشـشـةـ مـنـهـ وـرـدـ الـمـلـكـ إـلـىـ سـيـفـ بـنـ ذـيـ يـزنـ . وـكـانـ وـاسـعـ الـاطـلـاعـ عـارـقاـ بـأـخـبارـ الـأـولـ . مـاتـ

بـصـنـعـاءـ سـنـةـ ١١٠٠ هـ

وقد روى الإمام أبو الحسن الأشعري^(١) عقيدة المعتزلة في التوحيد وغيره فقال :

«أجمعـتـ المـعـتـزـلـةـ عـلـىـ أـنـ اللهـ وـاحـدـ لـيـسـ كـمـلـهـ شـيـءـ وـهـوـ السـمـيـعـ الـبـصـيرـ .ـ لـيـسـ بـجـسـمـ ،ـ وـلـاـ شـيـخـ ،ـ وـلـاـ جـشـةـ ،ـ وـلـاـ صـورـةـ ،ـ وـلـاـ لـحـمـ ،ـ وـلـاـ دـمـ ،ـ وـلـاـ شـخـصـ ،ـ وـلـاـ جـوـهـرـ ،ـ وـلـاـ عـرـضـ ،ـ وـلـاـ بـذـىـ لـوـنـ ،ـ وـلـاـ طـعـمـ وـلـاـ رـائـحةـ ،ـ وـلـاـ جـمـسـ ،ـ وـلـاـ بـذـىـ حـرـارـةـ ،ـ وـلـاـ بـرـودـةـ ،ـ وـلـاـ طـرـوـةـ ،ـ وـلـاـ يـبـوـسـةـ ،ـ وـلـاـ طـولـ ،ـ وـلـاـ عـرـضـ ،ـ وـلـاـ عـمـقـ ،ـ وـلـاـ اـجـمـاعـ ،ـ وـلـاـ اـفـتـرـاقـ ،ـ وـلـاـ يـتـحـرـكـ ،ـ وـلـاـ يـسـكـنـ ،ـ وـلـاـ يـتـبـعـضـ .ـ وـلـيـسـ بـذـىـ أـبـعـاضـ وـأـجـزـاءـ ،ـ وـجـوـارـحـ وـأـعـضـاءـ .ـ وـلـيـسـ بـذـىـ جـهـاتـ ،ـ وـلـاـ بـذـىـ يـمـينـ وـشـمـالـ ،ـ وـأـمـامـ وـخـلـفـ ،ـ وـفـوـقـ وـتـحـتـ .ـ وـلـاـ يـحـيـطـ بـهـ مـكـانـ ،ـ وـلـاـ يـجـرـىـ عـلـيـهـ زـمـانـ ،ـ وـلـاـ تـجـوزـ عـلـيـهـ الـمـمـاسـةـ ،ـ وـلـاـ الـعـزـلـةـ ،ـ وـلـاـ الـحـلـولـ فـيـ الـأـمـاـكـنـ .ـ وـلـاـ يـوـصـفـ بـشـىـءـ مـنـ صـفـاتـ الـخـلـقـ الدـالـلـةـ عـلـىـ حـدـوـثـهـ .ـ وـلـاـ يـوـصـفـ بـأـنـهـ مـُتـنـاهـ .ـ وـلـاـ يـوـصـفـ بـمـسـاحـةـ وـلـاـ ذـهـابـ فـيـ الـجـهـاتـ .ـ وـلـيـسـ بـمـحـدـودـ ،ـ وـلـاـ وـالـدـ وـلـاـ مـوـلـودـ ،ـ وـلـاـ تـحـيـطـ بـهـ الـأـقـدارـ ،ـ وـلـاـ تـحـبـبـ الـأـسـتـارـ ،ـ وـلـاـ تـدـرـكـ الـحـوـاسـ ،ـ وـلـاـ يـقـاسـ بـالـنـاسـ ،ـ وـلـاـ يـشـبـهـ الـخـلـقـ بـوـجـهـ مـنـ الـوـجـوهـ ،ـ وـلـاـ تـجـرـىـ عـلـيـهـ الـآـفـاتـ ،ـ وـلـاـ تـحـلـ بـهـ الـعـاهـاتـ .ـ وـكـلـ مـاـ خـطـرـ بـالـبـالـ وـتـصـورـ بـالـوـهـمـ فـيـرـ مـشـبـهـ لـهـ .ـ لـمـ يـزـلـ أـوـلـاـ سـابـقـاـ مـتـقـدـمـاـ لـلـمـحـدـثـاتـ ،ـ مـوـجـودـاـ قـبـلـ الـخـلـوقـاتـ .ـ وـلـمـ يـزـلـ عـالـمـاـ قـادـرـاـ حـيـاـ .ـ وـلـاـ يـزـالـ كـذـلـكـ .ـ لـاـ تـرـاهـ الـعـيـونـ ،ـ وـلـاـ تـدـرـكـ الـأـبـصـارـ ،ـ وـلـاـ تـحـيـطـ بـهـ الـأـوـهـامـ ،ـ وـلـاـ يـسـمـعـ بـالـأـسـمـاعـ .ـ شـىـءـ لـاـ كـلـأـشـيـاءـ ،ـ

(١) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري . من سلالة أبي موسى الأشعري الذي حكم بين معاوية وعلي . وأبو الحسن هذا هو رأس فرقـةـ الأـشـعـرـيةـ .ـ وـقـدـ كـانـ عـلـىـ مـذـهـبـ الـمـعـتـزـلـةـ حـتـىـ بـلـغـ الـأـرـبـعـينـ مـنـ عـمـرـهـ ثـمـ فـارـقـهـمـ .ـ وـكـانـ رـيـبـ أـبـيـ عـلـىـ الجـبـائـيـ أـحـدـ أـبـرـ الـمـعـتـزـلـةـ .ـ تـوـفـيـ سـنـةـ ٤٣٤ـ هـ

عالِم قادرٌ حَيٌّ ، لَا كَالْعُلَمَاءِ النَّادِرِينَ الْأَحْيَاءِ . وَأَنَّهُ الْقَدِيمُ وَحْدَهُ ، وَلَا قَدِيمٌ
غَيْرُهُ ، وَلَا إِلَهٌ سواهُ ، وَلَا شَرِيكٌ لَهُ فِي مُلْكِهِ ، وَلَا وَزِيرٌ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ ،
وَلَا مَعِينٌ عَلَى إِنْشَاءِ مَا أَنْشَأَ ، وَخَلَقَ مَا خَلَقَ . لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَلَى مِثَالِ سَبِقِهِ ،
وَلَيْسَ خَلْقَ شَيْءٍ بِأَهْوَانِ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِ شَيْءٍ آخَرَ ، وَلَا بِأَصْعَبِ عَلَيْهِ مِنْهُ .
لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ اجْتِرَارُ الْمَنَافِعِ ، وَلَا تَلْحِقُهُ الْمَضَارُ ، وَلَا يَنْتَلِهُ السُّرُورُ وَاللَّذَّاتُ ،
وَلَا يَصْلِي إِلَيْهِ الْأَذْيَى وَالْآَلَامُ . لَيْسَ بِذَيِّ غَايَةٍ فِي تَنَاهِيِّ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ
الْفَنَاءُ ، وَلَا يَلْحِقُهُ الْمَجْزُ وَالنَّقصُ . يَقْدِسُ عَنْ مَلَامِسِ النِّسَاءِ ، وَعَنْ أَخْحَادِ
الصَّاحِبَةِ وَالْأَبْنَاءِ »

وَقَدْ تَوَاضَعَ فَقَهَاءُ الْمُعْتَزَلَةِ عَلَى أُصُولِ خَمْسَةِ اخْتِذَوْهَا أَسَاسًاً لِلْمَذْهَبِ
الْاعْتِزَالِ ، وَاتَّقَوْا عَلَى أَنْ مِنْ اعْتِنَقُهَا تَامَةً كَامِلَةً اسْتَحْقَاقُ اسْمِ « الْمُعْتَزِلِ »
وَمِنْ اعْتِنَقَ بَعْضُهَا دُونَ الْبَعْضِ . أَوْ زَادَ عَلَيْهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا فَلَا يَسْتَحْقِقُ
شَرْفُ هَذِهِ النِّسْبَةِ . وَهَذِهِ الْأُصُولُ هِيَ :

(١) التَّوْحِيدُ — وَهُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا شَرِيكٌ لَهُ فِي وَحْدَانِيَتِهِ
وَأَنَّهُ قَدِيمٌ وَكُلُّ مَا سِواهُ مُحَدَّثٌ . وَأَنَّهُ لَا تَدْرِكُهُ الْحَوَاسُ فِي الدُّنْيَا بِأَيِّ كَيْفِيَّةٍ ،
وَلَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ بِأَيِّ صُورَةٍ . خَلْقُ الْأَشْيَاءِ وَابْتِدَاعُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ،
وَتَنْزِهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَمْثَالِ ، لَا يَحْصُرُهُ مَكَانٌ ، وَلَا يَحْدُهُ زَمَانٌ . لَيْسَ
بِجَسمٍ ، وَلَا عَرَضًا ، وَلَا عَنْصَرًا ، وَلَا جَزْءًا ، وَلَا جُوهرًا . وَهُوَ الْبَارِيُّ ، لِهُذَا
كُلُّهُ . وَهُوَ عَالِمٌ لِذَاتِهِ ، لَا يَعْلَمُ . قَادِرٌ لِذَاتِهِ ، لَا يَقْدِرُهُ . حَيٌّ لِذَاتِهِ ، لَا يَحْيِيَهُ .
وَلِيَكُنْهَا صَفَاتٌ قَدِيمَةٌ ، وَمَعْنَى قَائِمَةٍ بِهِ ، غَيْرُ مُشارِكةٍ لَهُ فِي الْقُدْمَ الَّذِي هُوَ
أَخْصُ صَفَاتِهِ الْذَّاتِيَّةِ .

وَقَدْ وُضِعَ هَذَا الْأُصْلُ رَدًا لِأَقْوَالِ الْمُجَسَّمَةِ^(١) وَدَفِعًا لِمُزَاعِمِ

(١) هُمْ فِرْقَةٌ قَدِيمَةٌ تَجْعَلُ اللَّهَ جَسِيْمًا ذَا أَعْضَاءٍ كَجَسْمِ الْإِنْسَانِ . تَعَالَى اللَّهُ

المُسْبَهَةُ^(١) من الرافضة^(٢) وغلاة الشيعة. وعلى رأسهم مقاتل بن سليمان^(٣) (٢) العدل— وهو اعتقاد أن الله تعالى حكيم لا يحب الفساد ، ولا يفعل الشر. بل هو لحكمته لا يفعل إلا الخير والصلاح ، ولا يصدر عنه إلا ما فيه رعاية مصلحة العباد . وأن أفعال العباد التي تصدر عنهم من خير وشر وصلاح وفساده منسوبة إليهم يثابون عليها ويعاقبون بها في دار الجزاء . لأنهم بقدرة رُكْبَتِ
فيهم قادرُون على خلق أفعالهم ، وهو سبحانه المالك لها دونهم ، يسلّهم
إليها إذا شاء ، ويبقيها لهم إذا أراد ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم
انظرارياً عن معصيته ، ولكنه لا يفعل . إذ كان في ذلك رفع للمحنة ،
وإزالة للبلوى . ولم يك足 عباده مالا يطِّيقون ، ولا أرادهم على مالا يقدرون
عليه . وأنه تعالى ول كل حسنة أمر بها ، برىء من كل سيئة نهى عنها .
لما يقدر أحد على قبض أو بسط إلا بقدرة ، التي ركبت فيه.

وقد وضع هذا الأصل ردًا على المُجْبِرَة^(٤) ، وبعض الرافضة القائلين

(١) هم فرقة لها رأيان في التشيه: فن قائل منها بتشيه ذات الباري بذات
غيره من مخلوقاته . ومن قائل بتشيه صفاته بصفاته مستحدثاته
(٢) هم فرقة من الشيعة غالٍ في رفض تولى أبي بكر وعمر ، ولها آراء
وفكرة غريبة

(٣) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان الخراساني الأزدي بالولاء ، كان
من العلماء الأجلاء اشتهر بتفسير كتاب الله العزيز حتى قال الإمام الشافعى:
الناس كلام عيال على ثلاثة : على مقاتل بن سليمان في التفسير ، وعلى زهير بن
أبي سلى في الشعر ، وعلى أبي حنيفة في الكلام . وقوم يقولونه وقوم يجرحونه ،
وكان يرمى بالتشيه . توفي بالبصرة سنة ١٥٠

(٤) هم فرقة كانت تقول بأن الإنسان مجرّد على إحداث أعماله من
حسنة وسيئة

بجواز وقوع الظلم من الله تعالى ، وعلى رأسهم جهنم بن صفوان^(١)
 (٣) الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ — وهو اعتقاد أن الله تعالى صادق الْوَعْدُ ، نافذ
 الْوَعِيدُ ، يثبت المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة واستقامة ، ولا يفتر
 لمرتكب الكبائر إذا خرج من الدنيا على غير توبه ، وإلا استحق الخلود
 في النار . غير أن عقابه يكون أخف من عقاب الكافر . ودركته فوق
 دركته . لا مبدل لكلمات الله .

وقد وضع هذا الأصل ردًا على القائلين بجواز الكذب على الله تعالى
 فيما وعد به وأوعد .

(٤) الأسماء والأحكام — أو — المنزلة بين المنزلتين — وهو الإقرار
 بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، ولكنها يُعد في منزلة بين
 الإيمان والكفر ، وهي الفسق .

فإذا خرج من الدنيا وهو مُصِرٌّ على فسقه كان مُخلدًا في النار ، ولكن
 لا على طريق خلود الكافرين فيها .

وهذا الأصل هو منشأ الاعتزال . وما أراد به واصل بن عطاء وعمرو
 ابن عبيد ، حين نهضوا به ، إلا التألف والتتوافق بين مختلف الآراء ، ونبني
 التَّشَادَّ من بين الخوارج وخصومهم . ولأن الإيمان عندهما عند أصحابهما
 عبارة عن خصال الخير فإذا اجتمعت في إنسان سمي مؤمناً . وهو اسم مدح .
 والفالق لم يستجمع الخير ، فهو غير حقيق باسم المدح ، وهو إذا لا يسمى
 مؤمناً ، وليس هو بكافر . لأن الشهادة وما يندرج تحتها من خصال الخير
 موجودة فيه لا إنكار لها ، ولكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير

(١) هو جهنم بن صفوان الترمذى . فارسى الأصل وهو رأس الجبرية
 المخالفة للقدرية . وإليه تنسب فرق الجهمية . مات سنة ١٣١ هـ

توبه، حق عليه الخلود في النار ، إذ ليس في دار الجزاء إلا « فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعَيرِ ». .

(٥) الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ — وهو الإقرار بأن أهل الإيمان مكلفوون ببراعة حدود الله وإقامة أحکامه، وأن التكاليف إنما هي ألطاف من الله تعالى امتحن بها عباده بواسطة رسالته واختبارهم بأدائها « لِيَهُلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَ مَنْ حَىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ » وأوجب على كل مؤمن الدعوة إليها والتحذير من مخالفتها .

وقد وضع هذا الأصل تنفيذاً لقوله تعالى « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ » وتقييداً للمعتزلة بالقيام عليها، والصياغة بها، والنهوض بحمل أعبائها .

فهذه هي الأصول الخمسة التي وضعها فقهاء المعتزلة عقيدة لهم يدورون حولها ، ويتجهون نحوها، ولا يبغون عنها حولاً . مع إجازة البحث فيما يتفرع عنها من الآراء ، والنظر فيما يعرض فيها من الفكر .

ولهم غير هذه الأصول رأى في الإمامة وقول في الإمام . فهم يرون أن الإمامة اختيار من الأمة ، فللامة الحق المطلق في اختيار الإمام الذي يستطيع النهوض بأحكام الله تعالى فينفذها على وجهها ويردها إلى الحدود التي وضعتها الشريعة لها ، سواء أكان الإمام من قريش ، أم كان من غيرها . لأنهم لا يقرؤن بأن هناك نصاً على رجل معينه ، أو على قبيلة بذاتها . وقد وافقهم على ذلك جماعة من الزيدية . وسائر الخوارج من الأ باضية وغيرهم ، إلا النجدات من الخوارج . مستدللين في ذلك بما روى من أن عمر بن الخطاب حينما فوض الأمر إلى أهل الشورى قال : لو كان سالم^(١) حياً ما دخلتني فيه ريبة .

(١) هو سالم بن معقل . أصله من اصطخر . كان مولى أبي حذيفة بن عتبة .

وسلم، هذا كان مولى لأمرأة من الأنصار، وكان يعرف باسم مولى أبي حذيفة — فلو لم يكن عمر^ع على علم من أن الإمامة جائزة في سائر المسلمين لما أطلق هذا القول، ولما تأسف على موت سالم في هذا المقام. وقد خالفهم في ذلك أبو حنيفة، وأكثر المرجنة وجمهور الزيدية^(١) من الجارودية وغيرهم، وسائر الشيعة، والرافضة، والراوندية^(٢) فذهب هؤلاء جميعاً إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في قريش: مستدلين في ذلك بما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الإمامة في قريش، قدموها قريشاً ولا تقدموها. وقد مضى واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد إلى ربهما قبل أن تذيع في الناس ترجمة كتب الفلسفة والحكمة والمنطق والطبيعيات والآلهيات وغيرها عن اليونان والفرس والروم والهندي والسريان. أعني أهمات المذهب بسيطاً ساذجاً، لم يعتمدوا في إبانته وتثبيت دعائمه، إلا على البلاغة العربية والفصاحة البدوية وإلا على البيان وقوة اللسان. فلما ذاعت هذه العلوم منقوله إلى العربية في أوائل العصر العباسي قبل الناس عليها، وتهافتوا على شرعتها، فنشأ علم الكلام. فكان من برع فيه وفي غيره من علوم الأوائل، زعيمهم المبين وفي فلسفتهم الكبير أبو المدين العلاف، ثم ذكيرهم الأعلى، وفطنهم اللوزي، أبو إسحاق ابراهيم بن سيار النظام، ثم حامل لواءهم والذائد عن حياضهم وخطيب حفلتهم ومخلد ذكرهم صاحبنا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

وكان على جانب عظيم من التقوى والصلاح واستقامة السيرة . شهد بدرأ
وآخر رسول الله يئنه وبين أبي بكر . واستشهد يوم اليمامة في حرب مسلة الكذاب
(١) هم فرقة من فرق الزيدية تنسب إلى أبي الجارون زياد بن المندر
العبدى، انفردوا برأى في الامامة وفي شأن الصحابة
(٢) هن الذين شرطوا لله ولهم ما أردوا

(٢) هم فرقة من شيعة بنى العباس . قد غالى في تشبيهها إلى حد دعا الخليفة المهدى إلى تجريد الجيوش عليهما وتشتت شملها كما أظهرت الخروج في مذهبها

الفصل الخامس عشر

في

مذهب الجاحظ في الاعتزال

عرفت ما بسطناه لك في الفصل السابق، كيف نشأ الاعتزال في الإسلام، ووقفنا بك على السبب الذي من أجله فارق واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد رأساً المعتزلة مجلس الحسن البصري شيخهما، وعلة تسميتهم بهذا الاسم، كما عرفت العقيدة التي يدينون الله بها، ووقفت على أصولهم التي تواضعوا عليها، وأرائهم التي شعبوها عنها في مختلف المقاصد التي انتحوها. وأن ترى معنى أن المسألة قد كانت في بداية الأمر من المسائل الاجتهادية التي إن أثيب فيها المصيبة على إصابته، لم يأثم فيها الخطأ على خطائه. ومع هذا فقد نشأت عنها أحداثٌ ونجمتٌ غيرُ ، وثارت فيها مناظرات، وقامت عليها سوق الجدل، وتشعبت أنحاء، وتفرعت فكر، وتولدت مذاهب، وافتقرت نحل.

ولما كان الجاحظ من شيوخ المعتزلة ورؤسهم ومن ذوى الرأى الصائب، والنظر النافذ فيهم، فقد انفرد من بينهم بأراء خاصة، تابعه عليها قوم منهم تسموا « بالجاحظية » فكان شيخ مذهب فيهم ورأس فرقته . وليس فيما هو متداول من كتبه ما يمكن استخراج مذهب الاعتزالي منه، لأن كتبه التي وضعها في هذا الباب قد بادت مع ما باد من جمهور مؤلفاته . غير أن بعض الرواة والمؤرخين قد رووا له آراء في المذهب، ونخلوه أقوالاً لازرى بما من عرض خلاصتها، ملقين تبعها عليهم، إن حقاً فحق وإن بطلًا فبطل .

ثم نعقب عليها بما قد تراه مما يظهر زيفها من صحيحها . على أنه يجب أن تعرف ، غير شاك ولا مستريب ، أن أكثر هؤلاء الرواة إنما هم من خصوم المعتزلة ، ومن نصبو أنفسهم للطعن فيهم والنيل منهم .

ناهيك بعذاؤة ابن الروندي ^(١) والبغدادي ^(٢) وابن حزم ^(٣) والشهرستاني ^(٤)

فقد زعم هؤلاء أن الجاحظ كان يقول :

(١) إن المعرف كلها ضرورية طباع ، وليس شيء منها من أفعال العباد ، وإنما وقعت منهم طباعا ، وليس لهم فيها اختيار على الحقيقة ، وإنما تنسب إليهم على أنها وجبت بإرادتهم ، فإنه ليس للعبد كسب سوى الإرادة .

(٢) ليس بمحاجز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى .

(٣) الكفار بين معاند وبين عارف قد استغرقه جبه لذهبته ، فهو لا يُشكّر بما عنده من المعرفة بخالقه ، وبصدق رسالته .

(٤) مُحال أن يُعدم الله الأُجسام بعد وجودها ، وإن أوجدها بعد عدمها . ولا يمكن البتة إفناؤها إلا أن يُرقّها ويفرق أجزاءها فقط . فالاعتراض تتبدل ، والجواهر يستحيل عليها الفناء .

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى الروندي ، كاتب فيلسوف متعدد الرأي كثير التنقل في المذاهب يرمي بالزنقة . ويروى أنه مات على توبه سنة ٥٩٨ هـ

(٢) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التيمي البغدادي صاحب كتاب « الفرق بين الفرق » الذي نشره بالطبع صديقنا العلامة الدكتور محمد بدر سنة ١٩١٠ توفى البغدادي سنة ٤٢٩ هـ

(٣) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشيرستاني صاحب كتاب « الملل والنحل » عالم فاضل وفقيه محقق ، ومتكلم نظار . ولد بشيرستان سنة ٤٤٩ هـ وتوفي بها سنة ٥٤٨ هـ

(٥) ليس للإرادة أصل، ولكنها جنس من الأعراض إذا انتفى السهو عن الفاعل ، وكان عالما بما يفعله ، فهو المريد على التحقيق . وأما الإرادة المتعلقة ب فعل الغير فهو ميل النفس اليه .

(٦) جائز أن يوصف الله تعالى بأنه مرید ، بمعنى أنه لا يصح في حقه السهو في أفعاله ولا الجهل بها ، ولا يجوز أن يُغلب أو يُظهر .

(٧) إن الله لا يُدخل النار أحداً ، وإنما النار هي التي تجذب أهلها إليها بطبيعتها ، ثم تمسكهم فيها على الخلود ، وليس معنى الخلود أن يصلوا فيها عذاباً أبداً ! وإنما هم يصيرون إلى طبيعتها .

(٨) إن للأجسام طبائع وأفعالاً مخصوصة بها .

(٩) إن القدر خيره وشره من العبد .

(١٠) إن الخلق كله من العقلاء عالمون بأن الله تعالى خالقهم ، وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي ، وهم محجوجون بمعرفتهم . ثم هم صنفان : عالم بالتوحيد ، وجاهل به : فالجاهل معدور ، والعالم محجوج .

(١١) إن من دان بالاسلام وجب عليه أن يعتقد أن الله تعالى ليس بجسم ، ولا صورة ، ولا يُرى بالأبصار ، وأنه عدل لا يحور ، وأنه لا يرید العاصي . فإن أقر بذلك كاه — بعد الاعتقاد والتبيين — فهو مسلم حقاً . وإن عرف ذلك كاه ثم جحده وأنكره ، أو دان بالتشبيه والجبر ، فهو مشرك كافر حقاً . وإن لم ينظر في شيء من ذلك واعتقد أن الله تعالى ربه ، وأن محمداً رسول الله ، فهو مؤمن ، لالوم عليه ولا تكليف غير ذلك .

وقد تَقولوا على الماحظ غير ذلك أقاويل آخر ، ردتها أنصاره ، ودفعها أشياعه . ومن استخف ما تقولوه عليه ما رواه الشهريستاني منسوحاً إلى ابن

الراوندى وقله المقرىزى^(١) عن الشهريتاني ، أنه كان يقول : إن القرآن
المنزل من قبيل الأُجَساد ، ويمكن أن يصير مرة رجلا ، ومرة حيوانا ...؟!
ولا شك في أن هذا افتراض محض وكذب صراح ، فما كان مثل الماحظ يتزل
إلى هذا الدرك من السخف ، أو يسف إلى هذا الحضيض من الهراء ! ولا أدرى
كيف روى الشهريتاني هذه الفريدة الجاهلة عن ابن الراوندى ، دون تزييفها
وإيهانة دغافلها ، مع أن أبا الحسين الخطاط^(٢) قد استصفى في كتابه
«الانتصار» كل مطاعن ابن الراوندى في المعتزلة ، وفي صدرهم الماحظ ،
وجاء فيه بما رماهم به من المساوى ، والمثالب ، وردتها عليه ، واحدة في إثر
واحدة ، بالحجج القاطعة والبراهين الدامنة ، ومع هذا لم يرد لهذه القوله المفتراء
أى ثرث في تقولات ابن الراوندى على الماحظ . كذلك قد روى الإمام
أبو الحسن الأشعري جميع أقوال المعتزلة ، جليلها ودقائقها ، في كتابه «مقالات
الإسلاميين» بكل دقة وحرص ، ولم يرد لهذه الأكذوبة أى إشارة .
وها هو ابن قتيبة وابن حزم والبغدادى ، وكلهم خصم للماحظ ، لم ينسبوا
إليه شيئاً من هذا الرأى الفائل . ولو أن أحداً منهم عتر للماحظ على
شيء من هذا ، ولو من طريق الإيماء والتعریض ، لملأ الدنيا تشنجاً عليه ،

(١) هو تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر المقرىزى المؤرخ المصرى الشهير صاحب كتاب «المواعظ والاعتبار» بذكر الخطوط والآثار المعروف بخطسط المقرىزى، وكان من المفتين في العلوم . ولـ حـ سـ بـةـ القـاهـرـةـ زـمـنـاـ . وـ كـانـ مـوـلـدـهـ سـنـةـ ٧٦٩ـ هـ وـ تـوـفـيـ سـنـةـ ٥٨٤ـ هـ .

(٢) هو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخطاط صاحب كتاب «الانتصار» الذى يرد به على ابن الراوندى . كان من أكابر المعتزلة وأعيان المتكلمين ، وكان من العلم والفضل وقوة الحاجة على جانب عظيم ، وكان مع هذا فقيهاً محدثاً كثيراً الحفظ . وكان يفضل على بن أبي طالب على جميع الصحابة توفى سنة .. ٥٣٠

وتحقيرا له ، وطعنا فيه . الحق أنها فرية كاذبة لا يصح أن تصدر من عاقل ، لا ولا من مأفون .

وفي تعليق لأبي الحسين الخياط على مفتريات ابن الراوندي على الماحظ في قوله « محال أن ي عدم الله الأ جسام بعد وجودها » يقول ابن الراوندي : ومتى استحال أن ي عدم الجسم بوجوده ، إستحال أيضا وجوده بعد عدمه . فقال الخياط : وهذا كذب على الماحظ عظيم ، وذلك أن قول الرجل إنما يعرف بحكاية أصحابه عنه أو بكتبه ، فهل وجد هذا القول في كتاب من كتبه ؟ فإن كتب عمرو الماحظ معروفة مشهورة في أيدي الناس ! أو هل حكاها عنه أحد من أصحابه ؟ فإذا كان الرجل ميتاً فكتبه وأصحابه تخبر بخلاف ما يقر به هذا الماجن الكذاب . فقد تبين كذبه وبهته وجهله . وبعد فن قرأ كتاب عمرو الماحظ في الرد على المشبهة ، وكتابه في الأخبار وإثبات النبوة ، وكتابه في نظم القرآن ، علم أن له في الإسلام غناً عظيماً لم يكن الله عز وجل ليضيعه له .

قلت : ولا ضير على الماحظ ، إن كان قد قال بيقاء المادة وعدم تلاشيه ، فإن هذا القول قد أصبح في عصرنا هذا مذهبًا معروفا ، يسلم به ويدين بصحة أنسه ، الكثير من أكابر العلماء وخول أهل البحث والنظر ، في أوربا وأمريكا وغيرها من قارات الدنيا ، ولم يُعلم على صحته من الأدلة والبرهانات البنية على البحث العلمي والاستقراء الطبيعي ، ما لا سبيل إلى دفعه أو إضعافه . اللهم إلا إذا جاءنا الزمن ، وهو أبو العجب ، من الغواصات العلمية التي تظهر آنا بعد آن ، بما لم يخطر على البال ، فينتصر المذهب الروحي على المذهب المادي . غير أن المذهب المادي لا يزال من المشاهد أن له السيادة الصحيحة حتى الآن . فإذا سلمنا بأن الماحظ كان قد ارتأى هذا الرأي واعتنق هذا

المذهب ، ولم يلصقه بابن الراوندي إلصاقا ، كان له فضل السبق إلى كشفه
والقول به منذ أحد عشر قرنا .

وكان ابن الراوندي مایزال يرمي العزلة بالشنع ، ولا يتورع في الكذب
عليهم ، ووضع المآثم والماخذ على ألسنتهم . وكان قد رمى الجاحظ ببغض
الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فرد عليه الخياط بقوله :

وأما رميك للجاحظ ببغض الرسول ، فهو دليل على أنك لا تعرف
المحب من المبغض ، ولا الولي من العدو . لأنه لا يعرف التكلمون أحداً
منهم نصر الرسالة واحتاج للنبوة ، بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ ، ولا يعرف
كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجب تأليفه وأنه حجة لحمد صلى الله
عليه وسلم على نبوته ، غير كتاب الجاحظ . وهذه كتبه في آيات الرسالة ،
وكتبها في تصحیح مجيء ، الأَخْبَار ، مشهورة . وهل يستدل على حب الرسول
صلی الله علیه وسلم ، والإيمان به وتصديقه فيما جاء به ، بشيء ، أو كد مما يستدل
به على حب الجاحظ الرسول وتصديقه إلية ؟ !

قلت : ومن أقوى الأدلة وأبرعها على أن الجاحظ كان أثقى من أن يرمي
بما رماه به ابن الراوندي في شأن الرسول ، أنه صحي النسب الشريف وأثبتت
أنه فوق كل نسب شرفاً وطهراً ، وأظهر كذب النساين وخطاهم ، فيما
رويـناه لك في فصل مختـلـفـاً من هـذـا الـكتـابـ .

الفصل السادس عشر

٦

شأن الملاحظ مع ابن الزيات وابن أبي دؤاد

يُشير إلى التنور الذي صنعته ابن الزيات وجعل في جوفه المساميير ليعذب به خصومه ، فعذب هو فيه ، فما قيل ، حتى مات .

ثم عُثر على المباحث وجيء به إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد، فدخل عليه مغلول العنق بسلسلة، مقيد بالرجلين، في قيص سَمَلٍ . فلما وقع نظره عليه قال : والله ما علمت إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصناعة ، معدناً للساوى . وما فُتنَّى باستصلاحِك ولكن الأيام لا تصلح منك ، لفساد طويتك

ورداءة دخلك ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك.

قال الجاحظ : خفض عليك أيدك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لي عليك ، ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحداثة من أن أحسن وتسيء ، ولأن تغوغن في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام مني .

قال له ابن أبي دؤاد : قبحك الله ، والله ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام ، وقد جملت بيانك أمام قلبك ثم اضفت فيه النفاق والكفر . ما تأويل هذه الآية « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبَّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْبَى وَهُنَّ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخْذُهُمْ أَلَيْمٌ شَدِيدٌ » ؟

قال الجاحظ : تلاوتها تأوي لها ، أعز الله القاضى !

قال : جيئوا بحداد !

قال : أعز الله القاضى ، ليفك عنى أو ليز يدنى ؟ !

قال : بل ليفك عنك .

فجىء بالحداد فلم يعترض أهل مجلسه أن يعتنف بساقه ويطيل أمره . قليلاً ، فلطمته الجاحظ وقال : إحمل عمل شهر في يوم ، وعمل يوم في ساعة ، وعمل ساعة في لحظة ، فإن الفسر على ساق ، وليس بمجنع ولا ساجة ! فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه . وقال القاضي محمد بن منصور^(١)

(١) هو محمد بن منصور بن زياد . وكان يلقب (فقي العسكرية) وكان في أول أمره كتاباً للبرامكة ثم تقلت به الأحوال في خدمة السلطان . قال أبو العينا : إنه كان يلي قضاة فارس وخوزستان إلى أن صار من سراة الدولة . وعظم شأنها . ولما في يعقوب الخريبي فيه وفي آله مدائح ومراث حسان ، ومدحه . أشجع السلمى ورأى ازدحام الناس على بابه فقال :

على باب ابن منصور علامات من البذر
جماعات وحسب البا ب بلا كثرة الأهل

وكان حاضراً : أنا أثق بظرفه ولا أثق بديته ؟ ائم قال : يا غلام ، صر به إلى الحام وأمط عنه الأذى .

فزع عنده الفُل والقيد ، وأدخل الحام وحل إليه تحت من الثياب وطويلة وخف ، فليس ذلك . ثم جاءه فصدره في المجلس ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا أبو عمان ؟ !

قلت : أنظر إلى هذه الأخلاق الراقية ، والغافوس الزاكية ، وإلى هذه القلوب الكبيرة ، والصدور الرحمة ! أحمد ابن أبي دواد — وهو من صدور الدولة ، وجياه الملة ، ورؤس الأمة — يعامل المحافظ — وهو الذي مالاً عليه عدوه الألد ، وناصر خصمه الأشد — بهذه المعاملة النبيلة ، وينزله منه هذه المنزلة الجليلة ؟ إن هذا هو الخلق الكريم ، إن هذا هو الفضل العظيم . وهل أكرم في المحافظ إلا عمه ؟ وهل آخر منه إلا فمه ؟ وهل أجل إلا أدبه ؟ وهل أعظم إلا بيانه ولسته ؟ !

ثم أدر طرفك في أهل هذا الزمن ، فهل ترى من هاتيك الفضائل طرفا في أمير أو وزير ؟ وهل تجد من تلك الشمائل أثرا في عظيم أو كبير ؟ وهل أحست منهم إلا نقوساً دنيئة ، وقولياً وبيئة ، وتصدروا يضطرب فيها الفُل ، ويصطحب الحقد والضفن ؟ !

أَرَى زَمَنًا نَوْ كَاهُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ وَلَكِنَّمَا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ^(١)
مَشَى فَوْقَهُ رِجْلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ فَكَبَ الْأَعْلَى بَارِتَقَاعِ الْأَسْفَلِ

(١) التوك ، جمع أتونك ، والآتونك : الأحق الذي لا يخرب فيه

الفصل السابع عشر

في

رأى الماحظ في العروض والشعر

تعلق الماحظ بالشعر ، وحاول التبريز فيه ، والتفوق في مناخيه ، تبريزه في النثر وتفوقه فيه ، وارتقائه إلى قته ، وقبضه على ناصيته . ولكن الطبيعة أشد ضنًا من أن تبلغ بإنسان ذوبابة الكمال . ولذلك لم ينزل من الشعر ما أمل ، ولم يبلغ فيه ما قادر ، فرجحت كفة ميزانه في النثر ، وشالت أختها في الشعر . وكان يقول : طلبت علم الشعر عند الأصمى فوجده لا يعرف إلا غريبه ، فترجمت إلى الأخشن فوجده لا يحسن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأنساب والأيام ؟ ولم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب^(١) ومحمد بن عبد الملك الزييات .

(١) هو أبو على الحسن بن وهب بن سعيد الكاتب العالم الشاعر الأديب . وهو من ذلك البيت الذي تسلسل في الكتابة للأمراء والوزراء والخلفاء من بني أميه وبني العباس ، وقد ظلت الوزارة في هذا البيت أيام بني العباس زمناً يتواترونها كأبرا عن كابر . وكان الحسن هذا يكتب أولاً لحمد بن عبد الملك الزييات ، ثم ترقى به الحال إلى أن تولى ديوان الرسائل ببغداد ، ثم تقلد البريد بالشام في عهد المتوكل على الله العباسي . وله رسائل مدونة آية في البلاغة ، وشعر غاية في الجودة ، وكان مولده ببغداد سنة ١٨٦ هـ وتوفي في حدود سنة ٢٤٧

وكان، وهو في سبيل الطلب، مغرياً بتعلم العروض ، مكبراً من شأنه .
ولهذا كان يقول :

«العروض ميزان الشعر ومعياره ، وبه يعرف الصحيح من السقيم ،
والمعتل من السليم ، والقريض من الشعر ، وبه يسلم من الأود والكسر»
فلما لم يبلغ فيه إربته ، ولم ينل منه بغيته ، ولم يتهيأ له فيه مراده ، قال :
«العرض علم مردود ، ومذهب مرفوض ، وكلام مجھول ، يستكدر
القول ، يستفتعل ويفعل ، من غير فائدة ولا محصول »

وهذا من غريب التصرف في ضروب الكلام ، الذي اختص به الجاحظ
وفاق فيه غيره من سائر كتاب العربية ، وناهيك برجل يضع رسالة يفاضل
فيها بين المسك والرماد !

وعلى ذكر العروض وقول الجاحظ فيه ، أروى هنا قولًا غريباً عثرت
به لأحد علماء مصر ، وهو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنباري الملقب
شمس الدين ، قال : إن الشعر اليوناني له وزن مخصوص ، ولليونان عروض
لبجور الشعر ، والتفاعيل عندهم تسمى الأيدي والأرجل . قال : ولا يبعد
أن يكون وصل إلى الخليل بن أحمد شيء من ذلك فأعانه على إبراز العروض
إلى الوجود !

قلت : إذا صح أن الخليل بن أحمد كان يعرف اللغة اليونانية ، وكان
يعرفها معرفة جيدة ، كان لهذا القول مكانه في الصدق والصواب ، ويكون
لهذا التظني شيء من الوجاهة والسداد ، ولكن ذلك لم يثبت ، ولم يتقدم
هذا الشيخ بالقول به أحد ، ولم يُعرف عن الخليل أن له أى إلمام بأية لغة
غير العربية

والباحث رأى في الشعر ، وهل في الامكان ترجمته إلى اللغات الأخرى ؟ أما هو فيقول :

وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب ، والشعر لا يُستطيع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حول تقطيع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب منه ، وصار كالكلام المنشور . والكلام المنشور المبدأ على ذلك ، أحسن من المنشور المنقول عن موزون الشعر . وقد قلت كتب الهند ، وترجمت حكم اليونان ، وحولت آداب الفرس ، فبعضها ازداد حسناً ، وبعضاً ما انتقص شيئاً . ولو حولت حكمة العرب ببطل ذلك المعجز الذي هو الوزن . ثم إنهم لوحولوها لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكره العجم في كتبهم التي وضعت لمعاشرهم وفطّنهم وجّههم . وقد قلت هذه الكتب من أمة إلى أمة ، ومن قرن إلى قرن ، ومن لسان إلى لسان ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها .

قلت : وهذا قول لاغبار عليه ، ورأى جدير بالنظر والاعتبار ، من كل مشتعل بهذا الفن ، أو متوجه نحو هذه الفكرة . لأنّه قول خبير ، ورأى علیم

الفصل الثاني عشر

في

وصف مؤلفاته وأحصاءها

قال المسعودي : كتب المباحث تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضع البرهان ، لأنَّ نظمها أحسن نظم ، ووصفها أحسن رصف ، وكماها من كلامه أجزل لفظ ، وكان إذا تخوف ملل القارئ ، وسآمة السامع ، خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة . . . وسائر كتبه في نهاية الكمال . . . ولا يعلم من سلف وخلف من المعزلة أفضح منه أقول : وقد اعتمدت في ذكر مؤلفاته على ما ذكره هو في كتابه « الحيوان » وعلى ما أورده ياقوت في كتابه « معجم الأدباء » وعلى ما عثرت به في غيرها من الكتب والأسفار . وقد جهدت أن لا يقع فيها تكرار ، وإنْ كان النسخ الأقدمون قد جعلوا بعض كتب المباحث عدة عنوانين ، مما أجاز للبس على كثير من الفارقين ، وما يحول دون الاستقصاء الصحيح . كما أنه قد وضع الكثير من الكتب معززة إليه . غير أنه مما لا يصح أن يشك فيه ، أن هذا التَّثْبِيتُ أصح وأوف وأوضح من غيره على صورة مطلقة . وقد رتبته على الحروف . واليكم هو :

١

كتاب آل إبراهيم بن المُدَبْرٍ^(١) في المكابة

٢

كتاب آئي القرآن

قال الماحظ : جمعت في هذا الكتاب آيات من القرآن يُعرف بها فرق ما بين الإبهاز والمعنى ، وما بين الزوائد والضلال والاستعارات .

٣

رسالة في إثم السكر

٤

رسالة إلى أبي النجم^(٢) وجوابه

٥

كتاب إحالة القدرة على الظلم

٦

كتاب الإحتجاج لنظم القرآن

قال الباقياني : وقد صنف الماحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعني . وهذا كلام فيه عهدة لأن الباقياني يريد أن يعلن أنه هو وحده الذي استطاع أن يهز المقدمين في الإحتجاج لإعجاز القرآن ونظمه .

(١) آل المدبّر: هم أَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمٌ. وكلهم كاتب بلغ وشاعر مجيد. وما منهم إلا من ولـى الولايات الجليلة، وعمل للسلطان الأعمـال النافـعة، في عـهد الـخلفاء العـباسـيين منـ المعـتصـم إـلىـ المعـتضـدـ. ولـأَحـمـدـ وـإـبـراـهـيمـ أـخـبارـ حـسانـ

(٢) هو أبو النجم هلال الأنصاري مولى بنى سليم ومن أهل بغداد. وكان من الكتاب المترسلين . وكان ولـه صـالـحـ كـاتـبـاـ، وـولـهـ أـحـمـدـ شـاعـرـاـ

٧

كتاب أُحدوثة العالم

٨

كتاب الأخبار

وقد ذكر له كتابان آخران ، هما «كتاب الأخبار وكيف تصح» وكتاب «تصحيح الأخبار» ولعل هذه الأسماء لسمى واحد

٩

كتاب الأخطر والمراتب والصناعات

١٠

كتاب أخلاق الشُّطَّار

١١

كتاب أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة
ذكر هذا الكتاب في كتاب التاج المنسوب إليه

١٢

كتاب أخلاق الملوك

١٣

كتاب الإِخْوَان

١٤

كتاب الإِسْتِبْدَاد والمشاورة في الحرب

١٥

كتاب الإِسْتِطَاعَة وخلق الافعال

وهو من الكتب التي وضعها في تقرير مذهب الاعتزال

١٦

كتاب استطالة الفهم

ذكره القاضي شهاب الدين الخفاجي ^(١) في كتابه «طراز المجالس»
وقال : كتاب صنفه الجاحظ وقد جمع فيه نبذا من كلام الحكماء والشعراء

١٧

رسالة في استنجاز الوعد

هذه الرسالة منشورة ضمن «مجموعة رسائل» المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٤
وهي كذلك منشورة ضمن «الفصول المختارة» المطبوعة بهامش كتاب الكامل

١٨

كتاب الأسد والذئب

١٩

كتاب أصحاب الإلهام

٢٠

كتاب الأصنام

هو الكتاب الذي وضعه الجاحظ في ذكر الأصنام في الجاهلية وصحح
فيه نسب النَّصْرِ بْنِ رَكَنَاتَةَ جَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) هو الشيخ أحمد بن عمر قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي المصري، أحد أفراد العلامة وأفذاذ الأدباء، صاحب التصانيف البارعة في العلم والأدب. ولد في بلاد الروم ثم قضاها سلطانيك ثم ولد في مصر. وعنه عزل ورحل إلى بلاد الروم ثم أعيد منفياً إلى مصر وبها عين قاضياً. ولد من المؤلفات : شرح الشفاء ، وشرح درة الغواص ، وريحانة الأباء ، وشفاء الغليل ، وديوان الأدب ، وطراز المجالس . ولد رسائل ومقامات وأشعار تتطق ببراعته وتفوقه على أهل دهره . توفي بمصر عن نيف وتسعين عاماً

٢١

كتاب أصول الفتيا والأحكام

٢٢

الاعتزاز وفضله

لعل هذا هو السكتاب بينه الذى ذكر باسم « فضيلة المعتزلة »
والذى رد عليه ابن الروانى بكتاب أسماه « فضحة المعتزلة »

٢٣

كتاب افتخار الشتاء والصيف

٢٤

كتاب أفعال الطبائع

٢٥

كتاب أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات

٢٦

كتاب الإمامة على مذهب الشيعة

ولست أدري هل هذا الكتاب هو الرسالة المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٤
ضمن « مجموعة رسائل » بعنوان « بيان مذاهب الشيعة »؟ أم هو غيرها !

٢٧

كتاب إمامية معاوية بن أبي سفيان (١)

(١) هو معاوية بن أبي سفيان. أسلم بعد أبيه عام فتح مكة سنة ٨، وولى الشام بعد أخيه يزيد لعمر وعثمان. ثم كانت بينه وبين علي بن أبي طالب أحداث وخطوب ووقائع وحروب بدعوى المطالبة بدم عثمان، وظل الشام في يده إلى أن تنازل له الحسن بن علي عن حقه في الخلافة فاستولى عليها واستقام له الأمر، ودبر الملك بما طبع عليه من حكمة وسياسة ودهاء وخداعة ومكر، إلى أن مات بدمشق سنة ٨١ هـ عن ثمانين سنة

قال المسعودي : لم يرض (المجاحط) بهذا الكتاب المترجم بكتاب «العثمانية» حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر في إمامية الروانية وأقول شيعتهم ! ورأيته مترجمًا بكتاب «أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان» في الاتصال من على بن أبي طالب وشيعته الرافضة ، يذكّر فيه رجال الروانية ويؤيد فيه إمامية بنى أمية وغيرهم

٢٨

كتاب إمامية ولد العباس^(١)

قال المسعودي : وقد صنف المجاحط كتاب «إمامية ولد العباس» يحتج فيه لهذا المذهب ويذكّر فعل أبي بكر^(٢) في فدكه^(٣) وغيرها، وقصته

(١) هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليه ينتهي نسب العباسين . كان إليه في الجاهلية ساقية الحاج وزمزم . ثم دفعهما النبي إليه عام الفتح . وكان يوم المغبة مع النبي فعقد له على الأنصار . مات في خلافة عثمان وقد كف بصره عن سنة ٨٩

(٢) هو أبو بكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يبع له بالخلافة يوم سقيفة بني ساعدة ، وقام باليبيعة له عمر بن الخطاب فقطع بذلك مادة الشر وحسم أسباب الخلاف بين المهاجرين والأنصار . ونهض أبو بكر بأعباء الخلافة خير نهوض، ونهض لحروب الردة فكان فيها من الموففين . مات سنة ١٣ هـ

(٣) هي قرية بالحجاج قرية من المدينة ، كانت من الأماكن الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن النبي بعث ، بعد منصرفة من خيبر ، إلى أهل فدك محبصة بن مسعود يدعوهم إلى الإسلام فوجدهم في خوف ووجل بعد سقوط خيبر في يد المسلمين ، فصالحة أهلها ، وعلى رأسهم زعيمهم يوشع بن نون ، على نصف الأرض بتربتها ، فقبل ذلك منهم وأمضاه رسول الله ، فكان خالصاً له دون سائر المسلمين ، لأنَّه لم يوجد عليه بخليل ولا ركاب . فلما اتقل

مع فاطمة رضى الله عنها ومطالبتها إياه بـإرثها من أبيها صلى الله عليه وسلم ، واستشهادها ببعضها وابنها وأم أيمن^(١) وما جرى بينها وبين أبي بكر من الخطابة ، وما كثُر بينهما من المنازعات ، وما قال وما قيل لها عن أبيها عليه الصلاة والسلام من أنه قال : « نحن معاشر الأنبياء نَرث ولا نُورث ». وما احتجت به عليه من قوله عز وجل « وَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاوَدَ » على أن النبوة لا تورث فلم يبق إلا التوارث . وغير ذلك من الخطاب .

قال المسعودي : ولم يصف الجاحظ هذا الكتاب ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية وهم شيعة ولد العباس ، لأنه لم يكن مذهبها ولا كان يعتقد ، لكن فعل ذلك تماجنا وتقربا

قلت : ولعله هو المسمى بكتاب « العباسية » وقد وقفت على وصية العباس ألقاها إلى على بن أبي طالب حال وفاته ، رواها الصولى عن الجاحظ ، وأحسب أنها منقولة من هذا الكتاب ، وهذا آثرت إيمانها هنا لأنها من حيد ما يروى . قال الجاحظ : إن العباس بن عبد المطلب أوصى على بن أبي طالب في علته التي مات فيها فقال :

إلى الرفيق الأعلى وقام بالأمر من بعده أبو بكر ، طالبه فاطمة بحثها في ميراث أبيها من ذكراً فلم يورثها . ولتكلمي الشيعة والمعزلة في هذا الشأن بجادلات ومناظرات في تحفظها أبي بكر وتصويبه ، ليس هنا محل بسطها . غير أن عمر ابن الخطاب لما تولى الخلافة دفعها إلى بنى هاشم فكانت في يد على والعباس ، فلما ولى معاوية أقطعها مروان بن الحكم ، ثم وهبها مروان لعبد العزيز وعبد الملك أبنيه ، ثم جعها عمر بن عبد العزيز إليه وردها على بنى هاشم ، ثم دفعها المأمون إلى بنى فاطمة

(١) هي جارية تسمى بركة كانت لأم رسول الله ، ورثها منها واعتقاها وتزوجها رجل من الخزرج يسمى عبيد فولدت له أيمن بن عبيد ، ثم تزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد

أَيْ بُنَىَ ، إِنِّي مُشْفٌ عَلَى الظُّعْنِ عَن الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الَّذِي فَاقْتَى إِلَى
عَفْوِهِ وَتَجَاهِزُهُ ، أَكْثَرُ مَنْ حَاجَى إِلَى مَا أَنْصَحَكَ فِيهِ وَأَشِيرُ عَلَيْكَ بِهِ .
وَلَكِنَ الْعِرْقُ نَبُوضُ ، وَالرَّحْمُ عَرْوَضُ . وَإِذَا قُضِيَتْ حُقُوقُ الْعُوْمَةِ فَلَا أَبَالِي
بَعْدَ . إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ — يَعْنِي عَمَانَ — قَدْ جَاءَنِي مَرَارًا بِحَدِيثِكَ ، وَنَاظَرْنِي
مُلَائِنًا وَمُخَاَشِنًا فِي أَمْرِكَ ، وَلَمْ أَجِدْ مِنْهُ عَلَيْكَ إِلَّا مِثْلُ مَا أَجِدُ مِنْكَ عَلَيْهِ ،
وَلَا رَأَيْتَ مِنْهُ لَكَ إِلَّا مِثْلُ مَا أَرَى مِنْكَ لَهُ ، وَلَسْتَ تُؤْتَى مِنْ قِلَّةِ عِلْمٍ ،
وَلَكِنَّ مِنْ قِلَّةِ قَبْوٍ . وَمَعَ هَذَا كَلَهُ فَالرَّأْيُ الَّذِي أُودِعُكَ بِهِ أَنْ تُسْكِنَ
عَنْهُ لِسَانَكَ وَيَدَكَ وَهَزْكَ وَغَزْكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَبْدُوكَ مَالَمْ تَبْدُؤَهُ ، وَلَا
يَجِيبُكَ عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ ، وَأَنْتَ الْمُتَجَسِّي وَهُوَ الْمُتَأْنِي ، وَأَنْتَ الْمُعَابِ وَهُوَ الْمُصَامِتُ .
فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ هَذَا وَقَدْ جَلَسْتَ مُجْلِسًا أَنَابِهِ أَحْقَ ? فَقَدْ قَارَبْتَ .
وَلَكِنَ ذَلِكَ بِمَا كَسَبْتَ يَدَاكَ ، وَنَكَصْتَ عَنْهُ عَقْبَيَاكَ . لَا نَكَنْ بِالْأَمْسِ
الْأَدْنِي هُوَ رَوْلَتُ إِلَيْهِمْ تَظَنُّ أَنَّهُمْ يُحَلِّوْنَ جِيدَكَ ، وَيُخْتَمُونَ إِصْبَعَكَ ،
وَيَطْئُونَ عَقْبَكَ ، وَيَرْوُنَ الرَّشْدَ بَكَ ، وَيَقُولُونَ لَا بَدْ لَنَا مِنْكَ ، وَلَا مَعْدِلْ
لَنَا عَنْكَ ! وَكَانَ هَذَا مِنْ هُفواتِكَ الْكَبِيرَ ، وَهَنَاتِكَ الَّتِي لَيْسَ لَكَ مِنْهَا
عَذْرٌ . وَالآنَ ، بَعْدَ مَا ثَلَمْتَ عَرْشَكَ ، وَنَبَذْتَ رَأْيَ عَمَكَ فِي الْبَيْدَاءِ ،
يَتَدَهَّدُ فِي السَّافِيَاءِ .

خَذْ بِأَحْزَمْ مَا يَتَوَضَّحُ بِهِ وَجْهُ الْأَمْرِ : لَا تُشَارِرَ هَذَا الرَّجُلُ وَلَا تُمَارِهُ ،
وَلَا يَلْفَنِهُ عَنْكَ مَا يُحْنِقُهُ عَلَيْكَ . فَإِنَّهُ إِنْ كَاشَفَكَ أَصْبَابُ أَنْسَارًا ، وَإِنْ
كَاشَفَهُ لَمْ تَرِ إِلَّا ضَرَارًا ، وَلَمْ تَسْتَلِحْ إِلَّا عَثَارًا . وَاعْرَفْ مَنْ هُوَ بِالشَّامِ لَهُ ،
وَمَنْ هُنَا جُولَهُ مِنْ يَطْبِعُ أَمْرَهُ ، وَيَمْتَلِلُ قَوْلَهُ . لَا تَغْتَرُ بِنَاسٍ يُطْبِفُونَ بَكَ ،
وَيَدَّعُونَ الْحَنْوَ عَلَيْكَ وَالْحَبَّ لَكَ ، فَإِنَّهُمْ بَيْنَ مَوْلَى جَاهِلٍ ، وَصَاحِبِ
مَتَمَنٍ ، وَجَلِيسِ يَرْعِي الْعَيْنِ وَيَتَنَدرُ الْخَضْرَ . وَلَوْ ظَانَ النَّاسُ بَكَ مَا تَظَنَّ

بنفسك لكان الأمر لك والزمام في يدك . ولكن هذا الحديث يوم مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فات ، ثم حَرُمَ الكلام فيه حين مات ، فعليك الآن بالغُزوَفِ عن شيء عرضك له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتم ، وتصديت له مرة بعد مرّة فلم يستقم ، ومن ساور الدهر غالب ، ومن حرص على من نوع تعب . فعل ذلك فقد أوصيت عبد الله بطاعتك ، وبعنته على متابعتك ، وأوجزته محبتك ، وووجدت عنده من ذلك أثني به لك . لا توثر قوسك إلا بعد الثقة بها ، وإذا أحببتك فانظر إلى سينتها ، ثم لا تفوق إلا بعد العلم ، ولا تفرق في النزع إلا لتصيب الرَّمِيَّة . وانظر لا تطرف يمينك عينك ، ولا تجن شمالك شينك ، ودعني بآيات من آخر سورة الكهف . وقم إذا بدا لك !

٢٩

رسالة في امتحان عقول الأولياء
بعث بها الجاحظ إلى أبي الفرج بن نجاح

٣٠

كتاب الأمثال

٣١

كتاب الأمصار

لعل هذا الكتاب هو بعينه الذي ذكره المسعودي باسم كتاب «البلدان» وقد ذكرناه لاحتمال المغایرة

٣٢

رسالة في الأمل والمأمول

٣٣

كتاب أمهات الأولاد

٣٤

كتاب الأنس والسلوة

٣٥

كتاب الأوقاف والرياضيات

٣٦

كتاب البخلاء

هذا الكتاب من أبدع ماخطته يد الجاحظ ، وهو خلائق بأن يستخرج منه بحث طريف في أصول التدبير المنزلي ، وفي استثمار المال ، والانتفاع بحقائق الأشياء . وهو مطبوع في مصر سنة ١٣٢٣ هـ

٣٧

كتاب بصيرة غنام المرتد

٣٨

كتاب البلدان

قلنا إن هذا الكتاب قد يكون هو بعينه كتاب «الأمسار» المازذ كره ، ولكننا ذكرناه لاحتمال المغایرة

٣٩

كتاب البيان والتبيين

وضع الجاحظ هذا الكتاب الجليل وقدمه إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، أحد عظام الدولة العباسية ، وأجازه القاضي عليه بخمسة آلاف دينار . ورغم ياقوت أن الجاحظ وضع من هذا الكتاب نسختين كانت الثانية منها أصح وأجود . وقد أجمع المتقدمون من أكابر العلماء وأفضل الأدباء ، على أنه من أفضل ما وُضع في الأدب . قال المسعودي : وللجاحظ كتب حسان ، منها كتاب «البيان والتبيين» وهو أشرفها ، لأنّه جمع فيه من المنشور والمنظوم ، وغُرِّد

الأشعار ، ومستحسن الأخبار ، وبلغ الخطب ، ما لو اقتصر عليه مقتصر لا كتفى به . وقال ابن خلدون ^(١) : سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين . وهي : « أدب الكاتب لابن قتيبة » ، وكتاب « الكامل للمرد » ، وكتاب « البيان والتبيين للجاحظ » وكتاب « النواذر لأبي علي القالي » ^(٢) وما سوى هذه الأربع فتبع لها وفروع عنها .

وقد طبعت في القدسية سنة ١٣٠١ بمطبعة الجواب بمجموعة باسم « خمس رسائل » ضمنها كتاب « منتخبات البيان والتبيين » ولم يذكر الناشر اسم من انتخبه ، غير أنه زعم أنه للجاحظ . ولم يعرف عن الجاحظ أنه تعرض لشيء من كتبه بالانتخاب أو الاختيار أو التلخيص أو الاختصار . مع أن هذا المنتخب غير جيد ولاحسن . ولا هو خير ماقيل في البيان والتبيين ولما كان أبي رحمة الله كثير الحث على قراءة كتاب البيان والتبيين وكان يجب على استظهار ما يمكنني استظهاره من منشوره ومنظمه ، قد دولعت به منذ الصغر . وكنت كثير الاستياء من طباعته التي ظهر بها . لهذا رأيت أن أضبط ما يستحق الضبط من عباراته ، وأعلق عليه المحواش والتعليقات ، وأبين

(١) هو ولی الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الفاسی المؤرخ الشهير . وهو أول من وضع قواعد علم الاجتماع وال عمران من علماء العرب . ولد بمدينة فاس ، وتولى هناك كثيراً من الاعمال السلطانية ، ثم حضر إلى مصر وتولى قضاء المالکية في البیرسية . ومات في رمضان سنة ٥٨٠ هـ

(٢) هو أبو على اسماعيل بن القاسم بن عينون القالى نسبة إلى بلد بأرمينية تسمى قال قلا . ولعلها هي المعروفة الآن ب بكليكية . كان من أكبر الأدباء وأفضل اللغويين . وهو صاحب كتاب الأمالى والذيل والنواذر المشهور . ولد بديار بكر سنة ٢٨٨ هـ وتوفي بقرطبة سنة ٣٥٦ هـ

بقدر الحاجة ماغمض من معانيه . فلما تم لى ذلك طبعته فى سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ فى ثلاثة أجزاء . ثم ها أنا ذا فى سبيل وضع شرح له أولى وبيان أتم ، وسأعيد طبعه قريباً إن شاء الله تعالى فى صورة أبدع وأجمل ، نسأل الله العون .

٤٠

رسالة في بيان مذاهب الشيعة

هذه الرسالة مطبوعة ضمن «مجموعة رسائل» بمصر سنة ١٣٢٤ وقد قلنا فيها سلف إنها قد تكون كتاب «الإمامية على مذهب الشيعة» . ولكننا ذكرناها هنا لاحتمال المغایرة

٤١

كتاب تحصين الأموال

٤٢

كتاب التربيع والتدوير

هذا الكتاب طرفة من طرف الجاحظ ، ووضعه يتقدّر به على صاحبه أحمد بن عبد الوهاب ، ويصف ما هو عليه من دمامة الخلق وقبح التركيب ، ودعواه أنه جميل الصورة معتدل الخلاق حسن التركيب ، ويعايه بهاته مسألة يطلب اليه الجواب عنها . وأكثر هذه المسائل من المخرافات والأساطير ، ولكنها تملّك على النفس مشاعرها لسمو العبارة ودقة المعنى . طبع هذا الكتاب مع رسالة «مناقب الترك» ورسالة «فخر السودان على البيضان» بلندن سنة ١٩٠٣ ثم طبع بمصر ضمن «مجموعة رسائل» سنة ١٣٢٤ هـ

٤٣

كتاب تصويب على في تحكيم الحكيم

يظهر أنه لم يبق من هذا الكتاب إلا هذه القطعة التي عثنا بها

بعد الجهد الجهيد ، وهي تعطى صورة من الطريقة التي تبعها الجاحظ في الاعتدار لعلى في قبولة التحكيم . قال الجاحظ : من عرفه (يعنى على) عرف أنه غير معلوم في الأقياد معهم إلى التحكيم ، فإنه ملأ من القتل وتجريد السيف ليلاً ونهاراً حتى ملت الدماء من إراثتهما ، وملت الخيل من تَقْحُّم الأهوال بها ، وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة ، والأرباء العظيمة ، واستلال الأنفس ، وتطاير الأيدي والأرجل بين يديه ، وأكلت الحرب أصحابه وأعداءه ، وعطلت السواعد ، وخدرت الأيدي التي سلمت من وقائع السيف بها ، ولو أن أهل الشام لم يستغفوا من الحرب ، ولم يستغفلا من المقارعة والصادمة ، لأدلت الحال إلى قعود الفيلقين معاً ، ولزومهم الأرض ، وبالقائم السلاح . فان الحال أفضت بعظمها وهو لها إلى ما يعجز الإنسان عن وصفه

٤٤

كتاب التفاح

٤٥

كتاب تفضيل صناعة الكلام

قال المعودي : وهي الرسالة المعروفة بالهاشمية

٤٦

رسالة في تفضيل النطق على الصمت

هذه الرسالة ضمن «مجموعة رسائل» طبعت بمصر سنة ١٣٢٤

٤٧

كتاب التفكير والاعتبار

٤٨

كتاب التمثيل

٤٩

كتاب جهرة الملوك

٥٠

كتاب الجوابات

٥١

كتاب جوابات كتاب المعرفة

٥٢

كتاب الجواري

٥٣

رسالة الحاسد والحسود

مطبوعة ضمن «مجموعة رسائل» بمصر سنة ١٣٢٤ هـ

٥٤

كتاب حانوت عطار

٥٥

كتاب الحجات

ذكره القاصي شهاب الدين الخفاجي في كتابه «طراز المجالس»

٥٦

كتاب الحجة في تثبيت النبوة

٥٧

كتاب الحجر والنبوة

٥٨

كتاب الحزم والعزم

٦٩

كتاب حكاية قول أصناف الزيدية

٦٠

رسالة الخلبة

٦١

كتاب حيل الاوصوص

زعم أبو منصور البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » ان المحافظ
علم بهذا الكتاب الفسقة وجوه السرقة . وهو قول خصم بعيد عن الانصاف .
ولو قدر لنا الاطلاع على هذا الكتاب لعرفنا مكان هذا القول من الحق
أو الباطل

٦٢

كتاب حيل المُكَدِّينَ

ذكره أبو منصور البغدادي في كتابه

٦٣

كتاب الحيوان

وضع المحافظ هذا الكتاب وقدمه إلى محمد بن عبد الملك الزيارات
الوزير ، فجازه عنه بخمسة الآف دينار . وهو من كتب المحافظ الجيدة
الحافلة بصنوف المعارف وضروب الآداب . وقد قال أبو منصور البغدادي
وهو كثير النيل من أبي المحافظ والأفتاء على جمهور المعتزلة : وقد سلخ فيه
معانٍ كتاب الحيوان لأرسسططاليوس وضم إليه ما ذكره المدائني ^(١) من

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، مولى
عبد شمس بن عبد مناف . كان من أكبر الاخباريين وأفضل الرواة والمؤلفين

حكم العرب وأشعارها في منافع الحيوان

قلت : بالرغم من هذا فالكتاب يعد من مفاخر الماجحظ ومحاسنه . وقد عرض له قوم بالاختصار والتلخيص ، فاختصره عبد اللطيف البغدادي ^(١) في كتاب سماه « اختصار كتاب الحيوان » ونلخصه ابن سناء الملك الشاعر المصري ^(٢) في كتاب سماه « روح الحيوان ». وكتاب الحيوان طبع بمصر في سبعة أجزاء سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧

٦٤

رسالة في الخراج

بعث بها الماجحظ إلى أبي النجم

٦٥

كتاب خصومة الحول والعور

٦٦

كتاب خلق القرآن

وكان متكلماً جدلاً، أخذ علم الكلام عن عمر بن الأشعث . وكان منقطعاً إلى إسحق بن إبراهيم الموصلى وفي منزله توفي سنة ٢٢٥ هـ عن ٩٣ سنة (١) هو موقف الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي كان من أفضل الأطباء واعيان العلماء مع إحاطة بعلوم الدين وال نحو والفلسفة والتاريخ والمنطق . ولد ببغداد سنة ٥٥٧ وحضر مصر ووضع بها مؤلفاً وصف فيه المجاعة الكبرى والقطط الجائع الذى كان بمصر في عهده ثم عاد إلى بغداد وبها مات سنة ٦٢٩ هـ

(٢) هو السعيد أبو القاسم هبة الله بن الرشيد المعروف بابن سناء الملك الشاعر المصري المعروف صاحب الموشحات البارعة . وكان من الأفضل البلاء . تولى ديوان الانشاء زمناً . وله كتاب « روح الحيوان » اختصر فيه كتاب الحيوان للماجحظ . ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفي سنة ٦٥٨ هـ

٦٧

كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض

٦٨

كتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة

٦٩

رسالة في ذم أخلاق الكتاب

ُعثر على هذه الرسالة في مكتبة نور الدين بك مصطفى ثم طبعت بالطبعية السلفية ضمن «ثلاث رسائل للجاحظ». سنة ١٣٤٤ وهي منشورة أيضاً ضمن «الفصول الختارة» بهامش كتاب الكامل

٧٠

كتاب ذم الزنا

٧١

رسالة في ذم التبليذ

٧٢

رسالة في ذم الورقة

٧٣

رسالة في الرد على الجهمية

٧٤

رسالة في الرد على القولية

٧٥

كتاب الرد على النصارى

اختار عبيد الله بن حسان من هذا الكتاب رسالة عثر عليها وضمنها كتابه «الفصول الختارة» المنشور بهامش الكتاب. ثم طبعت بالطبعية

السلفية ضمّنها ثلاثة رسائل لِما حظه، سنة ١٣٤٤

٧٦

كتاب الرسائل المأشیات

٧٧

كتاب الرد على من أخذ في كتاب الله

٧٨

كتاب الرد على من زعم أنَّ الإنسان جزء لا يتجزأ

٧٩

كتاب الرد على العُيَانِيَة

٨٠

كتاب الرد على المشبهة

٨١

كتاب الرد على اليهود

٨٢

كتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب

وضع الما حظ هذا الكتاب وقدمه إلى إبراهيم بن العباس الصولي رئيس

ديوان الرسائل في عهد المأمون، فأجازه عليه بخمسة آلاف دينار

٨٣

كتاب السلطان وأخلاق أهله

٨٤

رسالة الشارب والمشروب

وهي رسالة منشورة ضمن «الفصول الختارة» بهامش الكامل

٨٥

كتاب الصرحاء وألهجتنا

٨٦

كتاب صناعة الكلام

لعله الكتاب المسمى «تفضيل صناعة الكلام» المار ذكره

٨٧

كتاب الصوالحة

٨٨

رسالة في طبقات المتعين

منها قطعة مطبوع ضمن «مجموعة رسائل» بمصر سنة ١٣٢٤

٨٩

كتاب الطفيليين

٩٠

كتاب العالم والجاهل

٩١

كتاب العباسية

لعله الكتاب المار باسم امامه ولد العباس

٩٢

كتاب العثمانية

قال المسعودي : وقد صنف (الجاحظ) كتابا استقصى فيه الحجاج عند نفسه ، وأيده بالبراهين وعضده بالأدلة فيما تصور من عقله ، ترجمه بكتاب «العثمانية» يحل فيه عند نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ،

ويحتاج فيه لغيره ، طلباً لأمانة الحق ومضادة لأهله : وقد تقضى على المباحث
كتابه هذا جماعة من متكلمي الشيعة كأبي عيسى الوراق^(١) والحسن
ابن موسى النخعى وغيرها من الشيعة . وقد تقضى على المباحث كتاب
العثمانية أيضاً رجل من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم وأهل الزهد
والديانة منهم ، من يذهب إلى تفضيل على والقول بامامة المفضول ، وهو أبو جعفر
محمد بن عبد الله الاسكافي . وكانت وفاته سنة ٢٤٠ هـ
قلت وقد عثرت على كتاب «العثمانية» للباحث وكتاب «قض العثمانية»
للأسكاف وهما عندي وسأنشرهما في لواحق هذا الكتاب

٩٣

كتاب العرب والعلم

٩٤

كتاب العرب والموالى

٩٥

كتاب العرجان والبرصان

٩٦

رسالة في العشق والنساء

هذه الرسالة مطبوعة ضمن «مجموعة رسائل» بمصر سنة ٣٢٤

٩٧

رسالة في العفو والصفح

(١) هو محمد بن هرون أبو عيسى الوراق كان من المعتزلة، ثم ظهر عليه
فيما زعموا ميل إلى الزندقة، فوشى به فطلبته السلطان فلما ظفر به حبسه حتى
مات . وله شعر جيد في نوعه . وكانت وفاته سنة ٢٤٠ هـ

٩٨

كتاب عناصر الآداب

٩٩

كتاب غش الصناعات

زعم أبو منصور البغدادي أن الماجحظ قد أفسد بهذا الكتاب على التجار سلعيهم .

١٠٠

رسالة في خر السودان على البيضان

هذه الرسالة طبعت مع رسالة «مناقب الترك» و «الtribut et des tribus» بلندن سنة ١٩٠٣ ثم طبعت ضمن «مجموعة رسائل» سنة ١٣٢٤

١٠١

كتاب خر عبد شمس ومخزوم

١٠٢

كتاب خر هاشم وعبد شمس

عثرت على هذا الكتاب وهو عندي وأنا شره ضمن لواحق هذا الكتاب

١٠٣

رسالة في فرط جهل الكندي^(١)

(١) هو فيلسوف الاسلام أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي البصري البغدادي ينتهي نسبه إلى ملوك كندة . وهو أول من اشتهر في الاسلام بالعلوم الفلسفية وما إليها ، وكان على مذهب افلاطون في القول بحدوث العالم . وله رسائل ومؤلفات عده في علوم شتى . وكان بالرغم من تبحره في المعارف وسعة دائرته في العلوم مبخلًا . وهو عند الماجحظ من آئمه البخاراء . والظاهر أنه توفي ببغداد سنة ٢٥٢ هـ

١٠٤

كتاب فرق ما بين الجن والإنس

١٠٥

كتاب فرق ما بين الملائكة والجن

١٠٦

كتاب فرق ما بين النبي والتنبي

١٠٧

رسالة في فضل أخذ السكتب

١٠٨

كتاب فضل ما بين الرجال والنساء

١٠٩

كتاب فضل العلم

١١٠

كتاب فضل الفرس على الهملاج^(١)

١١١

كتاب فضيلة العزلة

ذكر هذا الكتاب أبو الحسين الخياط في كتابه الانتصار . ولعله هو بعينه الكتاب المعروف «الاعتزاز وفضله» المارد كره . وقد رد عليه ابن الروندى بكتاب «فضيحة العزلة»

(١) الهملاج : البردون السهل القياد

١١٢

كتاب فضيلة الكلام

أشار إليه ابن النديم ^(١) ، وقال: لأبي بكر الرازي ^(٢) كتاب «مناقضة الجاحظ في كتابه في فضيلة الكلام» ، وقال المسعودي : قال الجاحظ في كتابه في «تفضيل صنعة الكلام» وهي الرسالة المعروفة « بالهاشمية » . فأنت ترى أن بعض كتبه عدة آباء

١١٣

كتاب الفحاب

ذ كره أبو منصور البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » وذكر له كتابا آخر في نوع آخر !

١١٤

كتاب القحطانية والعدنانية

١١٥

كتاب القضاة والولاة

١١٦

رسالة في القلم

(١) هو أبو الفرج محمد بن اسحق النديم البغدادي . صاحب كتاب « الفهرست » وهو أول كتاب وضع فيها نسيمه الآن « تاريخ أدب اللغة العربية » وضعه مؤلفه في الربع الأخير من القرن الرابع للهجرة . توفي ابن النديم سنة ٣٧٨ هـ

(٢) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب الفيلسوف الشهير توفي سنة ٣٢٠ هـ

١١٧

كتاب القواد

لعله هو الذي نشره القاضي شهاب الدين الخفاجي في كتابه طراز المجالس باسم «القواعد وأسباب الصناعات»

١١٨

رسالة في القيان

عثر على هذه الرسالة في مكتبة نور الدين بك مصطفى رحمه الله ثم طبعت بالمطبعة السلفية ضمن «ثلاث رسائل للباحث» سنة ١٣٤٤.

١١٩

كتاب الكبير المستحسن والمستقيم

١٢٠

رسالة في كتمان السر

١٢١

رسالة في الكرم

بعث بها الباحث إلى أبي الفرج بن نجاح

١٢٢

كتاب الكلاب

ذكره أبو منصور الغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»

١٢٣

رسالة في الكيمياء

١٢٤

كتاب المخاطبات في التوحيد

١٢٥

رسالة في مدح التجار وذم عمل السلطان

وهي مطبوعة ضمن «مجموعة رسائل» ببصري سنة ١٣٢٤

١٢٦

رسالة في مدح الكتاب

١٢٧

رسالة في مدح النبيذ

١٢٨

رسالة في مدح الوراقة

١٢٩

كتاب المزاح والجذ

١٣٠

كتاب المسائل

١٣١

كتاب مسائل العثمانية

قال المسعودي : ثم صنف (الماحظ) كتابا ترجمه بكتاب «مسائل العثمانية» يذكر فيه مافاته وقصه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه ، وقد نقضه عليه جماعة من متكلمي الشيعة . وقد مر ذكرهم فيمن نقض كتاب العثمانية

١٣٢

كتاب مسائل كتاب المعرفة

١٣٣

كتاب القرآن

١٣٤

كتاب المضاحك

ذكره أبو منصور البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»

١٣٥

كتاب المعاد والمعاش

١٣٦

كتاب المعادن

١٣٧

كتاب معارضة الزيدية

١٣٨

كتاب المعرفة

١٣٩

كتاب العلمين

١٤٠

كتاب الفنانين والفناء والصنعة

١٤١

كتاب مفاحرة السودان والخران

١٤٢

رسالة في مفاحرة المسك والرماد

ذكرها الصلاح الصندي^(١) في شرحه على لامية العجم وقال : إنها رسالة بديعة

(١) هو صلاح الدين خليل بن أبيك الصندي . كاتب شاعر أديب مؤرخ متوفى له مؤلفات عدّة وشرح كثيرة . ومن أفضّل شروحه (شرح لامية العجم) توفي سنة ٥٧٦ هـ

١٤٣

كتاب الملحق والطرف

١٤٤

كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية

١٤٥

رسالة في مناقب الترك وعامة جندي الخلافة

وضع المحافظ هذه الرسالة وقد نسبها إلى الفتح ابن خافان ووزير الموكيل.

طبعت هي رسالة «التربيم والتدوير» ورسالة فخر السودان على البيضان ،
بليدن سنة ١٩٠٣ ثم عثر على نسخة منها ابراهيم بك المويلحى^(١) بالاستانه
ونشرها في جريدة «مصباح الشرق» ثم نشرت بالطبع ضمن «مجموعة رسائل»

بمصر سنة ١٣٢٤

(١) هو ابراهيم بك المويلحى الكاتب البليغ والصحفى الشهير ، كان
في أول أمره تاجرًا كسائر أسرته الكريمة ، ثم عين عضواً في مجلس الأحكام
في عهد الخديوى اسماعيل ثم أنشأ مطبعة واشتغل بالصحافة ، وكان الخديوى
اسماعيل يحبه ويعطف عليه ، فلما خلع وسير إلى إيطاليا دعاه إليه واتخذه
سكرتيراً خاصاً وندىءاً أثينا ، فأصدر وهو في أوروبا جريدة الأنباء وجريدة
أبو زيد . ثم ذهب إلى الاستانة وعين عضواً في مجلس المعارف في عهد
السلطان عبد الحميد ، ولما عاد إلى مصر وضع كتابه «ما هنالك» ثم أنشأ
جريدة «مصباح الشرق» وشاركه في تحريرها ولده الكاتب المجيد محمد بك
رحمه الله . ولد بمصر سنة ١٨٤٦ وتوفي سنة ١٩٠٦

١٤٦

رسالة في من يسمى من الشعراء عمراً

١٤٧

رسالة في موت أبي حرب الصفار البصري

١٤٨

رسالة في الميراث

١٤٩

كتاب الناشئ والمتألث

١٥٠

كتاب النرد والشطرنج

١٥١

كتاب النصراني واليهودي

١٥٢

كتاب النعل

١٥٣

كتاب نقض الطب

وقد وضع أبو بكر الرازي كتاباً في الرد عليه ونقضه ، وكذلك وضع

ابن مندويه^(١) رسالة في نقضه . ذكر ذلك ابن أبي أصبهة

(١) هو أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الاصفهاني كان من مشهورى الأطباء فى بلاد العجم وكتبه كلها رسائل . وهى كثيرة ، وكان مع هذا أدبياً شاعراً حسن العبارة

١٥٤

كتاب نوادر الحسن

١٥٥

كتاب التواميس

ذكره أبو منصور البغدادي وقال عنه : وهو ذريعة للمحتالين يجتالبون
به ودائعاً الناس وأموالهم

١٥٦

كتاب وجوب الإمامة

١٥٧

كتاب الوعد والوعيد

١٥٨

كتاب الوكلا

وهو رسالة مطبوعة ضمن « مجموعة رسائل » بمصر سنة ١٣٢٤

١٥٩

رسالة اليتيمة



الفصل التاسع عشر

في

الكتب التي نسبت إلى الجاحظ وليس له

١

كتاب الأبل

قال ياقوت : إنه من الكتب التي نسبت إليه قديماً

٢

كتاب الناج

أو أخلاق الملائكة

هذا الكتاب نشره أحمد زكي باشا بالطبع سنة ١٣٣٢ (١٩١٤) موصنح له مقدمة طويلة حاول فيها نسبته إلى الجاحظ ، وجد في لصقه به وتنزيهه عليه ، بما في وسعه من حجة ، وبما استطاع تصيده من دليل وبرهان ، غير أن الحق الذي لا مراء فيه يصرخ في وجهه : إن الجاحظ منه براء . ونحن لا تتكلف التدليل على ذلك بأكثر من أن نعرض عليك مقارنة بين مقدمة هذا الكتاب و مقدمة أخرى مثلها الكتاب آخر له ، وكلتاها مرفوعتان إلى رجل واحد ، لتعرف فرق ما بينهما ، وهل هما كارفعتا لرجل واحد ، كانتا لكتاب واحد ؟ أم تراها متناقضتين ، تندى كل واحدة منها بالبراءة من أحنتها ، وبأنه لا جامعة بينهما ، ولا سبب يربط إحداهما بالآخر !

كان الفتح بن خاقان وزير التوكل على الله العباسي ، أكبر رجل في دار الخلافة ، وكان من عظام الدولة وأصحاب المكانة والسلطان فيها ، وكان على جانب عظيم من الدهاء والسياسة والفضل ، وكان مقصود الجانب من أكابر العلماء ، وخول الأدباء ، وأرباب القلم من كل فن ونوع ، وكان محباً للباحث ، مُعجبًا بأدبه وفضله وسعة معارفه ، وكان الجاحظ يراه أهلاً للإيثار ، ويعتده أثيراً بالأعتبار ، فوضع له رسالته المشهورة في «مناقب الترك وعامة جند الخلافة» ورفعها إليه بهذه المقدمة الجاحظية البارعة ، قال : «وَقَلَّ أَنْ تَرَى شَرِيكَكَ ، وَأَعْانَ عَلَى شَكْرِكَ ، وَأَصْلَحَكَ وَأَصْلَحَ عَلَى يَدِكَ ، وَجَعَلَنَا إِيَّاكَ مِنْ يَقُولُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيُؤْثِرُهُ وَيَحْتَمِلُ مَا فِيهِ مَا قَدْ يَصْدِهُ عَنْهُ ، وَلَا يَكُونُ حَظَهُ مِنْ الْوَصْفِ لَهُ وَالْعِرْفُ بِهِ ، دُونَ الْحَتْ عَلَيْهِ ، وَالْأَنْقَطَاعُ إِلَيْهِ ، وَكَشَفَ الْقَنَاعَ عَنْهُ ، وَإِيَّاصَاهُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْحَافِظَةِ فِي أَنْ لَا يَصْلُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَالتَّثْبِيتُ فِي تَحْقِيقِهِ لَهُمْ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعْلَمْ النَّاسُ لِيَكُونُوا عَالِمِينَ دُونَ أَنْ يَكُونُوا عَالِمِينَ ، بَلْ عَلِمُهُمْ لِيَعْلَمُوا وَبَيْنَ لَهُمْ لِيَتَقَوَّا . وَلِخُوفِ الْوَقْعِ فِي الْمَضَارِ ، وَالْتَّوْرُطِ فِي الْمَهَالِكِ ، طَلْبُ النَّاسُ التَّبَّئِنِ . وَلِحُبِّ السَّلَامَةِ مِنَ الْهَلْكَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْمَنَفَةِ احْتَمَلُوا ثُقلَ التَّعْلِمِ ، وَتَعَجَّلُوا مَكْرُوهَ الْمَعَانَةِ . وَلِقَلْةِ الْعَالِمِينِ وَكَثْرَةِ الْوَاصِفِينِ ، قَالَ الْأُولُونَ : الْعَارِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الْوَاصِفِينَ ، وَالْوَاصِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الْعَالِمِينَ . وَإِنَّمَا كَثُرَتِ الصَّفَاتِ وَقَلَتِ الْمَوْصِفَاتِ ، لِأَنَّ ثَوَابَ الْعَمَلِ مَؤْجَلٌ ، وَاحْتَمَلَ مَا فِيهِ مُعْجَلٌ .

وَقَدْ أَعْجَبَنِي مَا رأَيْتُ مِنْ شَفَقَكَ بِطَاعَةِ إِمَامِكَ ، وَالْحَامِةِ لِتَدْبِيرِ خَلِيفَتِكَ ، وَإِشْفَاقِكَ مِنْ كُلِّ خَلْلٍ دَخَلَ عَلَى مُلْكِهِ وَإِنْ دَقَّ ، وَنَالَ سُلْطَانَهُ وَإِنْ صَغَرَ . وَمِنْ كُلِّ أَمْرٍ خَالِفٍ هُوَاهُ وَإِنْ خَفَ مَكَانَهُ ، وَجَانِبَ .

رضاه وإن قل ضرره . ومن خوفك أن يجد المتأولُ إليه مُتطرّقاً ، والعدو عليه متعلقاً . فان السلطان لا يخلو من متأول ناقم ، ومن محكوم عليه ساخط ، ومن معدول عن الحكم زارٍ ، ومن متعطل متصفح^(١) ومن مُعجَب برأيه ذى خطل في بيانه ، مولع بهجين الصواب والاعتراض على التدبير ، حتى كأنه رائدٌ لجميع الأمة ، ووكيل لسكان الملائكة ، يضع نفسه في موضع الرقباء ، وفي موضع التصفح على الخلفاء والوزراء ، لا يغدر وإن كان مجاز العذر واضحاً ، ولا يقف فيما يكون لاشك محتملاً ، ولا يُصدق بأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وأنه لا يعرف مصادر الرأى من لم يشهد موارده ، ولا مُسْتَدِّرٌ من لم يعرف مستقبله . ومن محروم قد أضطعنـه الحـرمان . ومن أئمـة قد أفسـدهـ الاـ حـسان . ومن مـستـبـطـيـءـ قد أخذـ أـضـعـافـ حـقهـ ، وـهـوـ لـجـهـلهـ بـقـدـرهـ ، وـلـضـيقـ ذـرـعـهـ ، وـقـلـةـ شـكـرـهـ ، يـظـنـ أـنـ الـذـىـ يـقـىـ لهـ أـكـثـرـ ، وـأـنـ حـقـهـ أـوـجـبـ . وـمـنـ مـسـتـزـيدـ لـوـ اـرـتـجـعـ السـلـطـانـ سـالـفـ أـيـادـيـهـ الـبـيـضـ عـنـهـ ، وـنـعـمـهـ السـالـفـةـ عـلـيـهـ ، لـكـانـ لـذـلـكـ أـهـلـاـ وـهـ مـسـتـحـقاـ . قـدـ غـرـهـ الـإـمـلـاـهـ ، وـأـبـطـرـهـ دـوـامـ الـكـفـاـيـةـ ، وـأـفـسـدـهـ طـوـلـ الـفـرـاغـ .

وصاحب فتنة خامل في الجماعة ، رئيس في الفرقه ، ثقائـي في الهرج ،
قد أقصاه عز السلطان ، وأقام صفوه ثقافـاً في الأدب ، وأذله الحكم بالحق ،
 فهو مغـيط لا يجد غير التشـيع ، ولا يتـشـفـي بغير الإـرجـاف ، ولا يستـريح إـلا
إـلى الأمـانـي ، ولا يـأنـس إـلا بـكل مـرـجـفـ كـذـابـ ، وـمـفـتوـنـ مـرـتـابـ ،
وـخـارـصـ (٢) لـاخـيرـ فـيهـ ، وـخـالـفـ لـاغـنـاءـ عـنـدـهـ . يـرـيدـأـنـ يـسـوـيـ بـالـكـفـاةـ

(١) المتصفح: المقلب لوجه الاشياء عليه يتعذر على ما يوجب المواجهة الانتقاد

(٢) **الخارص: الكذاب المحتل لا يُباطئ**

وُيرفع فوق الحلة ، لأمر سلف له ، ولا حسان كان من غيره ، وليس من يرب^(١) قدماً بحديث ، ولا يخلف بدروس^(٢) شرف ، ولا يفصل بين ثواب المحسنين ، وبين الحفظ لأنباء المحسنين . وكيف يعرف فرق ما بين حق الذمام وثواب الكفاية ، من لا يعرف طبقات الحق في مراتبه ، ولا يفصل بين طبقات الباطل في منازله ؟

ثم أعلمتني بذلك أنك بنفسك بدأت في تعظيم إمامك ، والحفظ لمناقب أنصار خليفتك ، وإياها حطت بحياتك لأشياعه ، واحتاججك لأولئك . ونعم العون أنت إن شاء الله على ملزمة الطاعة ، والموازنة على الخير ، والمسافة لا هُلْ الحق . وقد استدلت بالذى أرى من شدة عنائك وفطر اكتراك وتقديرك لأخيير الأعداء ، وبخشتك عن مناقب الأولياء . على أن ماظهر من نصحك أم^(٣) في جنب ما بطن من إخلاصك . فأمتع الله بك خليفته ، ومنحتنا وإياك بحثته ، وأعادنا من قول الزور ، والتقرب بالباطل . إنه حميد مجيد ، فعال لما يريده »

هذه هي التقدمة التي رفع بها الجاحظ رسالته إلى الفتح بن خاقان ، وهذا هو الأسلوب الذي اختص به الجاحظ من بين كتاب العربية . فانظر كيف افتح هذه التقدمة ، وكيف بدأها ، وكيف تنقل في معانيها ، وأغراضها ، من الدعاء إلى الوصف ، ومن العبرة إلى الحكمة ، ومن ذكر الطبائع إلى نت المطامع . ثم انظر كيف قسم صنوف الناس من المترفين بالسلطان ، وكيف علل تبرهم ، وفصل أسباب تضجرهم ، حتى لم يكيد يدع خاطرة في هذا الباب ، ولا بادرة في هذا المعنى ، إلا استوفى الاباحة عنها

(١) يرب : يزيد ويصل

(٢) الدروس : المحرو والابلاء

(٣) أم : قريب ظاهر

عبارات جزلة ، وألفاظ سهلة . حتى كأنه يصف أخلاق أهل مصر في هذا العصر ، بقلم القدرة الذي يحق الحق ويبطل الباطل . ثم انظر كيف ختم ذلك بالاعجاب به، وبشدة إخلاصه لامامه، ومحمه إياه على ما يتخذ في هذه السبيل من وسائل محمودة الأثر . ثم حثه على الاستمساك بعصم الولاء ، والاعتصام بجبل الوفاء . وبعد أن تفهم هذه المعانى، وتزن هذه الأسلوب ، وتفقه هذه المنهاج ، وتشرب هذه الروح : إقرأ هذه التقدمة التي رفع بها مؤلف كتاب التاج كتابه إلى الفتح بن خاقان . والتي ألح ناتر هذا الكتاب في نسبته إلى الجاحظ .

وإليك هذه التقدمة ، ليكون الحكم على بينة . قال :

«الحمد لله الذي له مافي السموات وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير . أحمده على تابع آلانه ، وتوارنهاه ، وترادف منه . وأشهديه وأستوقفه لما يرضيه ويرضى فيه . وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبيه له ولا نظير ، الذي جل عن الأجزاء والتبغى ، والتجدي والتمثيل ، والحركة والسكنون ، والذلة والزوال ، والتصرف من حال إلى حال . لا إله إلا هو الكبير المتعال . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأمينه ونبيه ، إنبعثه على فقرة من الرسالة ، وطمأنوس من المهدية ، ودروس من شرائع الأنبياء والمرسلين «*لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيَاً وَيَحْقِقَ القَوْلُ عَلَى الْكَافَّارِينَ*» والعرب تندأ لادهاه وتتساافق دماءها، وتتباهي أمواهاه ، وتعبد اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، فتصدع بأمر ربه ؛ وجاهد في سبيله ، ودعا إلى معالم دينه ، وجاء بما أعجز الجن والإنس أن يأتوا «*بِعِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا*» فصلى الله عليه وعلى جميع المرسلين ، وخصه بصلة من نوافله دون العالمين ، وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

أما بعد : فإن الذي حدانا على وضع كتابنا هذا معان : منها أن الله عز وجل لما خص الملك بكرامته ، وأكرمه سلطانه ، ومكّن لهم في البلاد ونوه لهم أمر العباد ، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيزهم وتقرير ظهم ، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم ، فقال في محكم كتابه : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفِيعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ » وقال عز وجل « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة لما كانت تتجهل الأقسام التي تحب ملوكها عليها — وإن كانت متمسكة بحملة الطاعة — حصرنا آدابها في كتابنا هذا النجحملها قدوة لها وإماماً لتأدابها . وأيضاً فان لنا في ذلك أجرين : أما أحدهما فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها . وأاما الآخر فلما يحب من حق الملوك علينا من تقويم كل مائل عنها ، ورد كل نافر إليها . ومنها أن سعادة العامة في تمجيل الملك وطاعتها ، كما قال أرديشير ابن بابك : سعادة الرعية في طاعة الملك ، وسعادة الملك في طاعة المالك . ومنها أن الملوك هم الأُسُّ ، والرعاية هم البناء ، وما لا أُسٌ له مهدوم . ومنها أنا ألفنا كتاباً قبل كتابنا هذا ، فيه أخلاق الفتى وفضائل أهل البطالة ، وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا ، وأحرى أن نصرف عنايتها إلى ما يحب للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها ، إذ فضلها الله على العالمين ، وجعل ذكرها في الباقيين ، إلى يوم الدين . ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية ، لم يقصد من ذكر إلى وضيع ولا خامل ! بل قال تعالى حكاية عنمن مضى منهم « رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْمَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلَّنَا السَّيِّلَا » وقال تبارك اسمه « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » وقال جلت عظمته « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ أَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ » وقال جل وعلا « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ

اَذْكُرُ وَا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوْكًا
وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ » وَقَالَ تَقْدِيسَتْ أَسْمَاؤهُ « إِنَّ
الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرَيْهَ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلَهَا أَذِلَّةَ » وَقَالَ تَبَارِكَ
وَتَعَالَى « قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ بِالْمُلَكَ تُؤْتِي الْمُلَكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلَكَ مِنْ
تَشَاءُ وَتُعْزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْذِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ » وَقَالَ عَزْ وَجْلُ ، وَقَدْ بَعْثَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَعْتَقَ خَلْقَهُ وَأَشْدَمَهُ
عُنُودًا وَصُدُوفًا عَنْ أَمْرِهِ « إِذْ هَبَاهُ إِلَى فَرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقَوْلَاهُ قَوْلًا
لَيَّنًا لِعَالَمٍ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى » فَلِيَفْهُمُ الْحَكَامُ هَذِهِ الْأَعْجُوبَةُ الَّتِي وَصَلَتْ
عَنِ اللَّهِ تَبَارِكَ وَتَعَالَى إِنْ فِيهَا حَكْمَةٌ عَجِيبَةٌ وَمَوْعِظَةٌ بَلِيجَةٌ ، وَتَنبِيَّهَ مَنْ كَانَ
لَهُ قَلْبٌ .

حَدَّثَنَا أَحْصَابُنَا عَنْ شَبَابَةَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنْ ابْنِ أَبِي تَجْيِيعٍ عَنْ مُجَاهِدٍ
فِي قَوْلِهِ تَبَارِكَ وَتَعَالَى « فَقَوْلَاهُ قَوْلًا لَيَّنًا » قَالَ : كَنْيَاهُ . وَإِنَّهَا أَمْرُهَا
بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ وَانْ عَصَى أَكْثَرُهُا فَنَ حَقَهَا أَنْ تَدْعُى إِلَى اللَّهِ بِأَسْهَلِ
الْقَوْلِ ، وَأَلْيَنِ الْأَفْظُرِ ، وَأَحْسَنِ الْمُخَاطَبَةِ . فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْعَاصِيِّ
مِنَ الْمُلُوكِ وَالَّذِينَ ادْعُوا الرَّبُوبِيَّةَ وَجَحْدُوا الْآيَاتِ وَعَانِدُوا الرَّسُولَ ، فَإِنَّهُنَّ
بَنْ أَطْاعَ اللَّهَ مِنْهُا وَحْفَظَ شَرائِعَهُ وَفَرَائِصَهُ ، وَقَلَدَ مَقَامَ أَنْبِيَاهُ ، وَجَعَلَهُ الْجَهَةَ
بَعْدَ حِجْتِهِ ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ حَتَّى قَرِنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ! ؟ فَرَأَيْنَا أَذْ أَخْطَلْنَا فِي تَقْدِيمِنَا أَخْلَاقَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ — وَإِنْ كَانَ فِيهَا
بعْضُ الْآدَابِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرْفِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ — أَنْ
تَتَلَاقَى مَا فَرَطَ مَنَا بِوْضُعُ كِتَابٍ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَخَصَائِصِهَا الَّتِي هِيَ لَهَا
فِي أَنْفُسِهَا ، وَأَنْ نَخْصُ بِوْضُعُ كِتَابِنَا هَذِهِ الْأَمْيَرَ الْفَتَحَ بْنَ خَاقَانَ مَوْلَى أَمْيَرِ
الْمُؤْمِنِينَ : إِذَا كَانَ بِالْحَكْمَةِ مَشْغُوفًا ، وَعَلَى طَلْبِهَا مُثَابًا ، وَفِيهَا وَفِي أَهْلِهَا

راغباً ، ليقى له ذكره ، ويحيا به إسمه ، ما بقى الضياء والظلم ، وبالله التوفيق والإعانة »

فأى أمرى له مسكة من عقل ، أو ثانية من ذوق ، أو بقية من أدب ، أو صيابة من فضل ، يستطيع أن يقول : إن كاتب تلك التقدمة هو كاتب هذه ؟ وهل يشك لحظة في أن الفرق بين أسلوب الأولى وأسلوب الثانية إلا كالفرق بين الصدق والكذب ، والنور والظلمة ، والحق والباطل ، والعلم والجهل ؟ الحق أن كتاب الناج ليس للجاحظ ، ومن حاول نسبته إليه فإنما أراد التكيل به والحط من قدره ، أو هو في الواقع يجهل الجاحظ جهلاً تاماً كما لا يقوى على تذوق أسلوبه ، واستشعار مذهبة وتقنه منهجه . وإذا كان لنا أن نسلم جدلاً بأن الكتاب قد يكون وضع في القرن الثالث الذي توفى الجاحظ في منتصفه ، فلن نسلم قط بأن هذه التقدمة وضعت في ذلك العهد أو رأها الفتاح بن خاقان . والراجح عندنا أن رجلاً من كتاب القرن الخامس وضع له كتاب عنوانه أخلاق الملوك ، ورأى في ثباتِ كتب الجاحظ أن له كتاباً بهذا الاسم وكتاباً آخر باسم أخلاق الفتى وأهل البطالة ، فوضع له هذه التقدمة المصطنعة ، لينفعه على الناس وتكون له الحظوظة لدى القراء .

هذا رأينا في نسبة هذا الكتاب إلى الجاحظ

٣

كتاب تبيين الملوك والمكاييد

إذا علمت أن هذا الكتاب مصدر بفاتحة يقول فيها « الحمد لله الذي افتتح بالحمد كتاباً ، وفتح للعبد إذا وفا إليه باباً » لم تتردد لحظة في أنه لغير الجاحظ ، وإنما نسبة من نسبة إليه جهلاً وغباءً . توجد منه نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٥٤

٤

كتاب الحنين إلى الأوطان

من قرأ هذا الكتاب وقرنه بشيء من كتب الجاحظ أو وزن بينه وبين طريقة في التأليف ، لا يشك مطلقاً في أن الجاحظ منه براء، وأنه من تلقيات الوراقين الذين يجمعون شتى العبارات إلى بعضها في كتاب ثم ينسبونه إلى مؤلف مشهور ليقى الرواج عند الناس . ومن العجب أن الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ، وهو الذي وقف على طبعه يندع به ، ولا يفطن إلى أن نسبته إلى الجاحظ كذب وافتراء؟! . طبع بمطبعة النار سنة ١٣٣٣ هـ

٥

كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والأثار

عثر به الفاضل محمد راغب الطباخ الحلبي وطبعه منسوباً إلى الجاحظ سنة ١٩٢٨ ولعله للحارث بن أسد المخاسبي أحد أفضلي الزهاد

٦

كتاب سلوة الحريف بمناظرة الريع والخريف

الظاهر أن مدير مطبعة الجوامب . وكانت من خيرة المطابع بالأستانة ، قد عثر على هذا الكتاب في إحدى المكتبات العامة باسطنبول ، وطبعه عن نسخة مخطوطة في سنة ٤٤١ هـ . غير أنه لم يصف المخطوطة ولم يذكر اسم كاتبها ، ولم يلتفت إلى تحقيق نسبتها ، إلا أنه على ما يظهر قد وجد بصدرها اسم الجاحظ ، فطبعها منسوبة إليه دون تكليف بحث هذه النسبة وزنها . أما أنا فأقول أن هذا الكتاب ليس للجاحظ ومعرفه قط في حياته . وإليك بيان ذلك :

جاء بالمقيدة بعد دباجة لا عهد لأهل القرن الثالث بها :

« خرجت يوماً وأنا في خدمة » قوم الملك ونظام الدين أباً يعلى أحمد ابن طاهر « أطال الله في الممالى تهذيب المعانى بقائه ، وحرس فى اتفاء المكارم عن المكاره فناء ، وحاط على الأفضل بأسداء الفوادل نعاءه ، وعطف على العلماء بحفظ أيامه وزمانه ، وجَّلَ الدنيا بعزة تكينه فيها ورفعة مكانه » الخ

ولم تكدر تُعرف هذه الألقاب أمثال : قوم الملك ونظام الدين ، وحججة الإسلام ، ونور الملك ، وجمال السلطة ، وبهاء الدولة ، إلا في أيام الدولة السلجوقية . ولست في حاجة إلى إيراد تاريخ أباً يعلى أحمد بن طاهر ، فقد كفانا ماجاه في الكتاب من شعر لابن المعتز ولابن الرومي ولغيرهما من الشعراء والكتاب الذين لم يُعرفوا إلا في القرن الرابع أو في أواخر القرن الثالث ، فما ورد فيه منسوباً إلى ابن المعتز قوله :

إشربَ عَلَى طَيْبِ الزَّمَانِ فَقَدْ حَدَّا
بِالصَّيْفِ مِنْ أَيُّولَ أَسْرَعُ حَادِ
وَأَشْمَنَا بِاللَّيْلِ بَرَدَ نَسِيمِهِ
وَأَفَالَكَ بِالْأَنْدَاءِ إِقْدَامَ الْحَيَا
كَمْ فِي ضَمَاءِ تُرْتُبَهَا مِنْ رَوْضَةِ
وَكَانَمَا كَانَأَ عَلَى مِيعَادِ
وَقُولَهُ :

الآتَرَى بِهَجَاتِ الرَّوْضِ فِي السَّعَرِ
فَوْقَ النَّدَى وَاتْسَاقَ الْوَرْدِ فِي الشَّجَرِ
إِذَا السَّحَابُ سَقَاهَا فِي الدَّجَى خَلَمَتْ

بَعْدَ السَّحَابِ عَلَيْهَا الشَّمْسُ فِي الْبُكْرِ
وَالرَّوْضُ مِنْ زَاهِرِ زَاهِ بِنَفْسِهِ
وَكَامِنِ مِنْهُ فِي الْأَغْصَانِ مُنْتَظِرٌ

حَسْبِي مِنَ الْوَرْدِ تُورِيدُ الْخُدُودِ كَا حَسْبِي مَسَرَّةُ مَحْسُودٍ مِنَ الْبَشَرِ

وَمَا وَرَدَ فِيهِ لَا بْنُ الرُّومِي قَوْلُهُ :
 لَوْلَا فَوَا كُهُ أَيْلُولٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ
 إِذَا لَمَّا حَفِلَتْ نَفْسِي مَمَّا اشْتَمَلَتْ
 يَا حَبَّدَا لَيْلُ أَيْلُولٍ إِذَا بَرَدَتْ
 وَجَمَشَ الْقَرْفُ فِي الْحَلْدَ وَاشْتَمَلَتْ
 وَأَسْفَرَ الْقَمَرُ السَّارِي بِصَفَحَتِهِ
 يَا حَبَّدَا نَقْحَةً مِنْ رِيحِهِ سَحَرَأ
 بَلْ فِيهِ مَا شَيْئَتْ مِنْ شَهْرٍ تَعَهَّدَهُ

وَقَوْلُهُ :

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا قُرُوقُ مَنْ نَظَرَ
 وَاهَا هَا مُصْطَنْعًا لَقَدْ شَكَرَ
 وَالْأَرْضُ فِرَوْضٌ كَافُوفٌ الْحِيرَ
 تَبَرَّجَتْ بَعْدَ حَيَاءَ وَخَفَرَ
 تَبَرُّجَ الْأُشَى تَصَدَّتْ لِلذَّكَرِ

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنْ أَبْنَى الْمُعْتَزُ وَابْنَ الرُّومِي لَمْ يَدْرِكْ وَاحِدًا مِنْهُمَا الْجَاحِظُ وَلَا
 رَآهُ ، وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا الْكِتَابُ قَدْ وُضِعَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْرَّابِعِ وَأَوَّلِ
 الْقَرْنِ الْخَامِسِ . وَالْجَاحِظُ مِنْهُ بَرَاءٌ

٧

كتاب المحسن والأنداد

خُدُعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِهَذَا الْكِتَابِ وَنَسْبُوهُ إِلَى الْجَاحِظِ ، بِلَا بَحْثٍ
 وَلَا تَحْتِيقٍ ، وَمِنْ خُدُعِهِ قَدِيمًا الشِّيْخُ حَمَيْدُ الدِّينُ بْنُ الْعَرَبِيِّ ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ

ينقل عنه في كتابه «محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار». والحقيقة أن الملاحظ يبرا إلى الله منه ومن زيفه عليه. إذ هو كتاب غث سقيم حشى بكثير من الأكاذيب المزوجة بالقليل من أشياء الحقائق. والظاهر أن أحد الوراقين في القرن الرابع لفقه ولم يجد سبيلا إلى ترويجه إلا بأن ينسبه إلى الملاحظ.

ومن الأدلة على براءة الملاحظ منه أنني بينما أقبله وقع نظرى في صفحة ٣٨٨ من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٤ هـ على هذه الأبيات منسوبة إلى ابن المعتز، قال: وقال ابن المعتز:

وَكُنْتُ امْرَأً قَبْلَ حَبْسِي مَلِكٌ
وَقَدِيمٌ فِي السَّجْنِ نِسْجَ التَّكَكَ
وَمَا ذاكَ إِلَّا بِدُورِ الْفَلَكِ
تَكَادُ تُلَاصِقُ ذَاتَ الْحَبْكِ
إِلَمْ تُبَصِّرِ الطَّيْرَ فِي جَوَّهَا
وَقِيدٌ بِرُكُوبِ الْجِيَادِ
إِذَا أَبْصَرَتْهُ خُطُوبُ الزَّمَانِ
فَهَذَاكَ مِنْ حَالِقٍ قَدْ يُصَادُ
أَوْقَعْنَاهُ فِي حِبَالِ الشَّرَكِ
وَمِنْ قَعْرَ بَحْرٍ يُصَادُ السَّمَكِ

قرأت هذه الأبيات فعجبت كيف يروى الملاحظ لابن المعتز وقد مات الملاحظ قبل أن يبلغ ابن المعتز من العمر ست سنين؟ فقد ولد ابن المعتز في شعبان سنة ٢٤٩ ومات الملاحظ في المحرم سنة ٢٥٥ فهل من المقبول أن يروى الملاحظ عنه وهو في هذه السن؟ وهل يتفق عرفا وعادة أن ابن سنتين يقول شعرا؟ على أن نظرة في هذه الأبيات تكفي لنفيها عن ابن المعتز أيضا. لأنها من الضعف والسلق والاسفاف إلى حد كبير. فهي لا تتفق ونفس ابن المعتز، ويعلو أسلوبه عنها. ولأن ابن المعتز لم يسجن فضلا عن يبقى في السجن حتى يتعلم نسج التكك. وحقيقة ذلك أنه لما أقامه رجال الدولة خليفة لم يلبث في دست الخليفة أكثر من يوم وليلة ثم ثار به رجال المقتدر وسكنوا من خالمه فاختفى في دار ابن الجصاص الجوهرى ثم أخذته.

مؤنس الخادم، أحد قواد الدولة المشهورين، فقتلهم ثم سلمه إلى أهله في كسام . فهل يظن أنه وهو مختلف في دار ابن الجصاص ، والطلب مستند عليه ، والزعزع والفزع متملّكان فؤاده ، يفرغ لتعلم نسج التكك ؟ ! فضلاً عن أن يقول الشعر فيها وفي تعلم نسجها ؟ على أنني لم أغير على هذه الأبيات في ديونه . وفي الصفحة ١١٦ رأيت واضح الكتاب يقول : وقال عبد الله بن المعتز « أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نائم » وسبيل هذا سبيل ماسلف . وفي صفحة ١٣٥ يقول : حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان . ولا يصح مطلقاً أن يحدث المخاطب عن ثعلب . وفي صفحة ١٤٢ يقول : وما جاء في الحسن من الشعر قال عبد الله بن المعتز : أنسدني أبو سهل اسماعيل بن علي لأبي الصواعق :

وَمَرِيضٌ طَرْفٌ لَيْسَ يَصْرُفُ طَرَفَهُ
نَحْوَ الْمَدَى إِلَّا رَمَاهُ بِحَتْفَهِ
قَصَدَ الْقَوَى أَتَى عَلَيْهِ بِضَعْفِهِ
ظَبِّيٌّ لَهُ نَظَرٌ ضَعِيفٌ كَلَّا
قَدْ قُلْتُ لَمَّا مَرَ يَخْطُرُ مَايَّسًا
وَالرَّدْفُ يَجْذِبُ حَصْرَهُ مِنْ خَلْفِهِ
يَا مَنْ يُسْلِمُ حَصْرَهُ مِنْ رَدْفِهِ
فَقُلْتَ (يعني ابن المعتز) في هذا المعنى وعلى هذا الوزن :

وَحَيَاةٌ مَنْ جَرَحَ الْفُؤَادَ بِطَرَفِهِ
لَا حَبَّنَ قَصَادِي فِي وَصْفِهِ
قَرَرْ بِهِ قَرَرُ السَّمَاءُ مُتَمِّمٌ
كَالْفُضْنِ يَعْجَبُ نَصْفُهُ مِنْ نَصْفِهِ
إِنِّي عَجِبْتُ لِحَصْرِهِ مِنْ ضَعْفِهِ
مَاذَا تَحْمَلَ مِنْ كَثَالَةِ رِدْفِهِ ؟
هَذَا وَمَا أَدْرِي بِأَيَّةٍ فِتْنَةٍ
أَمْ بِالدَّلَالِ أَمِ الْجَمَالِ أَمِ الضَّيْاً
مِنْ وَجْهِهِ أَمْ بِالْقُفَّا مِنْ خَلْفِهِ
وَلَمْ أَعْتَرْ عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِي دِيُونِهِ

وفي الصفحة ١٤٤ يقول : وقال آخر :

يَا مِلَاحَ الدَّلَالِ وَالْإِعْتِنَاجِ
أَنْتَ زَرْفَنْتَ فَوْقَ خَدَيْكَ صُدْغَا
أَنْتَ أَغْنَتَ الْخَلْقَ عَنْ ضِيَاءِ السَّرَّاجِ
فَعَلَمَتْ مُقْلَتَكَ بِالْقَلْبِ مِنِي فَعْلَةَ الْقَرْمَطِيِّ بِالْحِجَاجِ
يَا هِلَالًا أَنْتُ مِنْهُ بِصَوْءِ جُنْحَ لَيْلٍ مِنَ الظَّلَامِ الدَّاجِ
وقد لفت نظرى في هذه الأبيات قوله « فعلة القرمطى بالحجاج »

فإن هذه العبارة تشير الى وقعة حدثت بعد وفاة الجاحظ بأربعين سنة .
وذلك أن ذِكْرَ وَيَهِ زعيم القرامطة هاجم الحجاج بجيشه سنة ٢٩٤ وفتك
بهم فتكا ذريعا . حتى قالوا إن عدة القتلى كان عشرين ألفا؟ الخ . فكيف يتسى .
للحاظ أن يروى في كتاب له شعراً تذكر فيه حادثة لم تقع إلا بعد وفاته .
بأربعين سنة؟ هذا مالا يقول به عاقل !

والحق أن هذا الكتاب مدسوس على الجاحظ ، وأبو عثمان لا يعرفه .

٨

كتاب اهدايا

قال ياقوت انه مناسب الى الجاحظ قد يعا

الفِصلُ العِشْرُونُ

فِي

ما اخترناه من طرفه ونواذه

للحاظ أخبار شائفة ، وطرف فاتحة ، ونواذر طريفة ، وأحاديث
لطيفة ، وكان مع جده وجلاة مقامه ، وسنى منزلته ، ومع مواقفه المشهورة
في الجدل والنظر ، ومع شدة مجالاته لخصومه وأعداء مذهبة بقوه لسانه ،
ومتانة بيانه ، كان مع هذا كله ميلاً إلى الملحق واللطفاني ، والنكت والطرائف ،
والتندر والعبث ، والسخرية والطبر ، والترويع عن النفس بما لا غيبة .
فيه بالدين ، وإجمال الخاطر بما لا مساس فيه بالمروة ، لا يملى في سبيل تصيد
النكتة الحارة ، وفي تقدير الظرفة الشهية ، أن يروها ولو كان فيها ما يتناول
سمتها ، ويقتصر حلى وقاره ، واقفا من ذلك عند حد الأثر القائل «أجروا هذه
النفوس بشيء من الم Hazel ل تستعين به على الجد » فن ذلك ما حدث به
عن نفسه قال :

١

ذُكِرتُ لِمَتْوَكِلِ لِلتَّأْدِيبِ بعْضُ وُلْدَهُ، فَلَمَّا رَأَى فِي اسْتِبْشُعِ مِنْ نَظَرِي، فَأَمْرَلَ
بِعَشْرَةِ آلَافِ درَهمٍ وصَرْفَنِي . فَغَرَجَتْ مِنْ عَنْهُ ، فَلَقِيتْ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ
وَهُوَ يَرِيدُ الْاِنْصَارَفَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ، فَعَرَضَ عَلَى الْخَرْوَجِ مَعَهُ وَالْأَنْهَادَ
فِي حَرَّاقَتِهِ - وَكَنَا بِسُرْمَانْ رَأَى - فَرَكَبَنَا فِي الْحَرَاقَةِ فَلَمَّا انتَهَيْنَا إِلَى فِيمَ
الْقَاطُولُ نَصَبَ سَتَارَةً وَأَمْرَ بِالْفَنَاءِ . فَاندَفَعَتْ عَوَادَةُ فَقَنَتْ :
كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةً وَعِتَابًَ يَنْقُضُ دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِضَابُ .

لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خُصِّصْتُ بِهَذَا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَجْنَابُ!
وَسَكَتْ . فَأَمْرُ الطَّنْبُورِيَّةَ فَغَتْ :

وَارْحَمْنَا لِلْعَاشِقِينَ
كَمْ يُهْجِرُونَ وَيُصْرَمُونَ
مَا إِنْ أَرَى لِهِمْ مُعِينًا
وَيُقْطَعُونَ فَيَصْبِرُونَ

فقالت لها العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون ؟ وضررت
بيدها إلى الستارة فهتكنها وبرزت كأنها فلقة قر فألقت نفسها في الماء .
وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال ، وبهذه مِذبَّةٌ فائقة الموضع ونظر
إليها وهي تمر بين الماء وأنشد :

أَنْتِ الَّتِي غَرَقْتِنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِنِي

وألقى نفسه في أثرها . فأدار الملاح الحراقة فإذا بهما معتنقان ، ثم غاصا
فم يُرِيَا . فاستعظم محمد ذلك وهاله أمرها ثم قال : يا عمرو ، لتجدثني حديبا
يسليني عن فعل هذين والا الحقتك بهما !

قال : فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك^(١) وقد قعد لامظالم وعرضت عليه القصص فرت بها قصبة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أن يخرج إلى تجاريته فلأنه حتى تُغيني ثلاثة أصوات فعل . فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج إليه فيأتيه برأسه ، ثم أتبع الرسول رسول آخر يأمره بأن يدخل إليه الرجل

(١) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان أحد ملوك بني أمية بالشام ولـي
الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز وذلك في يوم الجمعة ٢٤ رجب سنة ١٠١ هـ
وكان يكـنـى أبا خالد وأمـه عاتـكة بـنـت يـزـيدـ بـنـ مـعـاوـيـةـ، وـكـانـ صـاحـبـ لـهـ
ولـعـبـ وـاسـتـهـارـ، عـلـىـ ماـيـقـولـونـ، وـكـانـ لـهـ جـارـيـاتـ تـسـمـيـ إـحـدـاـهـمـ سـلـامـةـ
وـالـأـخـرـيـ حـابـهـ مـلـكـاـ عـلـيـهـ عـقـلـهـ، وـأـتـأـثـرـاـ بـلـهـ، وـشـاعـ الـظـلـمـ وـالـجـورـ فـيـ أـيـامـهـ.
تـوـفـيـ بـأـرـبـدـ مـنـ أـرـضـ الـبـلـقـاءـ مـنـ أـعـمـالـ دـمـشـقـ سـنـةـ ١٠٥ـ هـ

فأدخله . فلما وقف بين يديه قال : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال : أنت بحملك ، والاتكال على عفوك . فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من نبأ أمينة إلا خرج ، ثم أمر فآخر جت الجارية ومعها عودها ، فقال لها الفتى : غنى :

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلِيلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزَمَّتِ صَرْمِي فَأَجْلِي فَعْنَتِهِ . فقال له يزيد : قل ؟ فقال : غنى :

تَالَّقَ الْبَرْقُ نَجْدِيَا فَقُلْتُ لَهُ يَا إِيَّاهَا الْبَرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ فعنته . فقال له يزيد : قل ؟ فقال : يا مولاي ، تأمرلى برطل شراب ! فأمر له به . فما استلم شرب حتى وشب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات ... !! فقال يزيد : إن الله وإنما اليه راجعون ! أثر الأحمق الجاهل ظن أنى أخرج إليه جاريتي وأردها إلى ملكي ؟ خذوا بيدها واحملوها إلى أهله ، إن كان له أهل ، وإلا فيبعوها وتصدقوا عنه بشمنها . فانطلقوا بها فلما توسطت الدار نظرت إلى حفيرة في وسط دار يزيد ، قد أعدت للهطر ، فخذبت نفسها من أيديهم وأنشدت :

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَيَمُتْ هَكُذا لَا خَيْرَ فِي عِشْقٍ بِلَا مُوتٍ وألقت نفسها في الحفيرة على دماغها فماتت ... !! قال : فسرى عن محمد وأجزل صلاته .

قلت : وأناأشك في صدق هذه القصة من أولاها إلى آخرها ، ولا أستثنى منها إلا خبر دعوة الم وكل المحافظ لتأديب بعض ولده . وأما غير ذلك فإني أراه من وضع المحافظ وتتفيقاته ، ومن منتزعات خياله . على أنه قد ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك أن المحافظ كان له سهم نافذ في وضع القصص

على أنواعها حتى النوع «الtragid» المؤثر ، ذلك الفن الذي هو من مفاجر كتاب أوروبا في هذا العصر

٢

وقال : أتيت أبا الربيع ^{الفنوي} ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم ، ومعي رجل من بنى هاشم ، قلت : أبا الربيع ه هنا ؟ فخرج إلى وهو يقول : خرج إليك رجل كريم ، فلما رأى الماشمي استحيًا من فخره بحضوره فقال : أكرم الناس رَدِيفًا ، وأشرفهم حَلِيفًا^(١) . فتحدها ملِيًّا فنهض الماشمي .. قلت :

يا أبا الربيع ، من خيرُ الخلق ؟

قال : الناس ، والله

قالت : ومن خيرُ الناس ؟

قال : العرب ، والله

قالت : فمن خيرُ العرب ؟

قال : مصر ، والله

قالت : فمن خيرُ مصر ؟

قال : قيس ، والله

قالت : فمن خيرُ قيس ؟

قال : يَعْصُر ، والله

قالت : فمن خير يَعْصُر ؟

قال : غني ، والله

(١) يريد أن أبا مرثد الغنوبي كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حليف حمزة بن عبد المطلب

فقلت : فن خير غَنِي ؟

قال : المخاطب لك ، والله

فقلت : أفأنت خير الناس ؟

قال : نعم ، إِنِّي لِللهِ

فقلت : أيسرك أن تختك بنت يزيد بن المهلب ؟^(١)

(١) هو أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي . أحد أمراء الدولة المروانية، وقائد من قوادها العظام ، شهد مع أبيه المهلب حروب الجبارية من الخوارج فأبلى فيها بلاء حسنا ، وكان أبوه يعتمد عليه في كبريات الواقائع ويقدمه ويؤثره لما كان معروفا به من القوة والشجاعة ومصارعة الأبطال وجودة التدبير ، وكان مع هذا جودا سحاكيما لا يرد سائلا ولا يحرم عافيا . وقد ول خراسان بعدها وسنة ثلاثون سنة ثم عزله عبد الملك بشورة الحجاج لأنّه كان له مبغضاً مع أنّ أخته كانت تحت الحجاج . وكان السبب في بعض الحجاج له خرافة بناء بها أحد المشعوذين إذ قال له : إن الذي يلي إلا مر بعدك يسمى يزيدا . فلم ير أمامه من يليق بذلك إلا يزيد بن المهلب ، فكان ذلك داعيا إلى بغضه له وحبسه وإيه وتعذيبه . ثم هرب يزيد من محبسه وذهب إلى الشام مستشفعا بسلامان بن عبد الملك فشفع له إلى الوليد فغدا عنه وأمنه . ولما أفضت الخلافة إلى سليمان ولاه خراسان فاقتحم جرجان ودهستان وغيرهما من البلاد التي لم تكن فتحت من قبل . ثم أقبل بعثاته يزيد سليمان فبلغه موته فمال إلى البصرة شفاعة عدى بن أرطاة حتى أوثقه وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز فحبسه فهرب من حبسه ، ثم جمع جموعاً وخرج بها على يزيد بن عبد الملك ، فسير إليه الجيوش بقيادة مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وهو بطنى أمية ، فقاتلاه بالعرق من أرض بابل . فات يزيد بالمعركه مختلقاً

قال : لا ، والله
 فقلت : ولك ألف دينار ؟ !!
 قال : لا ، والله
 فقلت : ألفا دينار ؟ !!
 قال : لا ، والله

فقلت : ولك الجنة ؟ !!

فأطرق برأسه ثم قال : على الألا تلد مني ؟ وأنشد :

تَابِي لِأَعْصُرَ أَعْزَاقَ مُهَذَّبَةٍ مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءٍ
 فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ حَتَّمًا لَا مَرَدَهُ فَادْكُرْ حُذَيْفَةَ فَإِنَّهُ غَيْرُ أَبَاءٍ (١)

٣

وقال : دعوت نجارة كان عندي لتعليق باب ثمين كريم ، فقلت له :
 إن إحكام تعليق الباب شديد ، ولا يحسنه من مائة نجارة واحدة ، وقد
 يذكر بالحذق في نجارة السقوف والقباب وهو لا يُكمل تعليق باب على
 تمام الإحكام ، والقباب عند العامة أصعب ، ولهذا أمثل : فمن ذلك أن
 الغلام والجارية يشوبان الجدرى وأتحملن وها يُحكمان الشىء ، وهذا لا يُحکمان
 شىء جنب ، ومن لا علم له يظن أن شىء البعض أهون من شىء الجميع ؟!
 فقال لي : قد أحسنت حين أعلمتني أنك تبصر العمل ، فإن معرفتي بمعرفتك
 تتعنى من التشقيق . فعلقه فأحكم تعليقه . ثم لم يكن عندي حلقة لوجه

(١) هو حذيفة بن بدر الفزارى . وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه
 أسمهم به نسبا ، وذلك أن يعصر أو يعصر هو ابن سعد بن قيس . وهؤلاء بنو
 ريث بن غطفان بن سعد بن قيس .

الباب إذا أردت إصْفَاقَهُ ، فقلت له : أَكْرِهُ أَنْ جُلْسَكَ إِلَى أَنْ يَذْهَب
الْفَلَامَ إِلَى السُّوقِ وَيَرْجِعُ ، وَلَكِنْ اقْبِلْ لِمَوْضِعِهَا ؟ فَلَمَا ثَقَبْهُ وَأَخْذَ حَقَهُ
وَلَلَّاَنِ ظَهَرَهُ لِلْإِنْصَارَافِ وَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ : قَدْ جَوَّدْتُ التَّقْبَهُ وَلَكِنْ
انْظُرْ أَيْ نَحَارٍ يَدْقُقُ فِيهِ الرَّزْزَةَ فَإِنْ أَخْطَأْ بَنْسَرَتَهُ وَاحِدَةً شَقَ الْبَابَ .
فَعَلِمَتْ أَنَّهُ يَفْهَمُ صَنَاعَتَهُ فَهَمَّا تَامَّا

٤

وَقَالَ : قَاتَ لِعِبَادَيِّ الْكَلَابِيَّ : أَيْسَرَكَ أَنْ تَكُونَ هَجِينًا^(١) وَلَكَ
أَلْفَ دِينَارٍ ؟

فَقَالَ : لَا أَحْبَبُ اللَّؤْمَ بَشِّيُّ

فَقَلَتْ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْنَ أُمَّةٍ ؟

فَقَالَ : أَخْزِيَ اللَّهُ مِنْ أَطَاعَهُ !

فَقَلَتْ : نَبِيُّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ وَمُحَمَّدُ أَبْنَا أُمَّةٍ ؟

فَقَالَ : لَا يَقُولُ هَذَا إِلَّا قَدَرِيٌّ

فَقَلَتْ : وَمَا الْقَدْرِيُّ ؟

فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، إِلَّا إِنَّهُ رَجُلٌ سُوءٌ !

قَلَتْ : لَعْلَهُ يَرِيدُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «الْمَعْتَصِمَ» فَإِنَّ أَمَّهُ جَارِيَةً ، وَكَانَتْ
تَسْمَى مَارَدَةً . وَمِنَ الْمُرْعُوفِ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ إِنَّمَا جَاءَ لِأَبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ
جَارِيَتِهِ الْمَصْرِيَّةِ هَاجِرًا . وَمُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ سَلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ ، وَمِنْ هَنَا قَالَ
إِنَّ أَمَّهُمَا أُمَّةٌ

(١) أَهْجِينَ مِنْ أَبْوَهِ عَرَبٍ خَالِصٍ وَأَمَّهُ أُمَّةٌ

وأراد المخاطب زيارة محمد بن عبد الملك الزيات فدخل عليه وقد افتصد
 فقال له : أَدَمُ اللَّهُ صَحْنِكَ ، وَوَصَلَ غَبْطَنِكَ ، وَلَا سَلْبَكَ نَعْمَتَكَ
 فقال له ابن الزيات : مَاذَا أَهْدَيْتَ إِلَيْنَا يَا أَبَا عَمَانَ ؟
 فقال : فَكَرِتَ فِي شَيْءٍ أَهْدَيْتِهِ إِلَيْكَ ، فَإِذَا كُلَّ شَيْءٍ عَنْدَكَ ، فَلِمَ أَرَ
 أَشْرَفَ وَلَا أَطْرَفَ مِنْ كِتَابِ سِيِّبُوِيَّةِ ، بِخَطِ الْكَسَانِيِّ وَعَرَضَ الْفَرَاءِ .
 وَقَدْ اشْتَرَيْتَهُ مِنْ مِيرَاثِ الْفَرَاءِ .
 فقال : وَاللَّهِ مَا أَهْدَيْتَ إِلَيَّ شَيْئًا أَحَبَّ مِنْهُ !

وقال : مَا أَخْبَلْنِي أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَانِ ، رَأَيْتُ إِحْدَاهُمَا فِي الْمَسْكُرِ ، وَكَانَتْ
 طَوِيلَةُ الْقَامَةِ ، وَكَنْتُ عَلَى طَعَامِ ، فَأَرْدَتُ أَنْ أَمَازِحَهَا
 فَقَلَتْ لَهَا : إِنْزِلِي كُلِّي مَعَنَا ؟
 قَالَتْ : إِصْعَدْ أَنْتَ حَتَّى تَرِي الدُّنْيَا !

وَأَمَا الْأُخْرَى فَإِنَّهَا أَنْتِي وَأَنَا عَلَى بَابِ دَارِي قَالَتْ : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ
 وَأَرِيدُ أَنْ تَمْشِي مَعِي ؟ قَمَتْ مَعَهَا إِلَى أَنْ أَتَتْ بِي إِلَى صَانِعِ يَهُودِي وَقَالَتْ
 لَهُ : مِثْلُ هَذَا ؟ ! وَانْصَرَفَتْ . فَسَأَلَتْ الصَّانِعُ عَنْ قَوْهَا قَالَ : إِنَّهَا أَنْتَ
 إِلَّا بِفَصٍّ وَأَمْرَتِي أَنْ أَنْقُشَ لَهَا عَلَيْهِ صُورَةً شَيْطَانًا ! فَقَلَتْ لَهَا : يَا سَتِي
 مَا رَأَيْتَ الشَّيْطَانَ ؟ ! فَأَتَتْ بِكَ وَقَالَتْ مَا سَمِعْتَ ؟ !

وَقَالَ : سَأَلَنِي بَعْضُهُمْ كِتَابًا بِالْوَصِيَّةِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِيِّ ، فَكَتَبْتُ
 لَهُ رِقَّةً وَخَتَمْتَهَا ، فَلِمَ خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عَنْدِي فَضَّلَّهَا فَإِذَا فِيهَا :

«كتابي إليك مع من لا أعرفه ، ولا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحذك ، وإن رددتلم أذمك »

فرجع الرجل إلى قلت له : كأنك فضضت الورقة ؟

قال : نعم !

قلت : لا يضرك ما فيها فإنه عالمة لي إذا أردت العناية بشخص ؟ !!

قال : قطع الله يديك ورجليك ولعنك !

قلت : ما هذا ؟ !!

قال : هذا عالمة لي إذا أردت أنأشكر شخصاً !

٨

وقال : كان رجل من أهل السواد^(١) يتسيع ، وكان ظريفاً . قال ابن عم له : بلغى أنك تبغض عَلِيًّا ؟ والله لئن فعلت لتردن عليه الحوض يوم القيمة ولا يسقيك !

قال : والمحوض في يده يوم القيمة ؟

قال : نعم

قال : وما هذا الرجل الفاضل يقتل الناس في الدنيا بالسيف ، وفي الآخرة بالمعطن ؟ !!

فقيل له : أنتوله هنا مع تشيمك ودينك ؟ !!

قال : والله لا تركت النادرة ولو قتلتني في الدنيا ، وأدخلتني النار في الآخرة !!!

(١) أهل السواد هم قلاحو أرض العراق وزراعها

٩

وقال : نزلت على صديق لي فلم آكل عنده لحم ، فعَرَضْتُ له فقال :
 إِنِّي لِأَكْثُر مِنَ الْحَمْ مِنْذْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ « إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ الْبَيْتَ الْحَمَّ » .
 قلت : يا أخى ، إنما أراد البيت الذى تؤكِل فيه لحوم الناس بالغيبة ؟ ! ..
 فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم !

قلت : وهذه إحدى معايب الملاحظ وتلاعبه بالكلام حتى يصرفه عن
 وجهه ، فإن الحديث متواتر على الصحة . ومهما يكن من شئ فهى من
 ألطاف النكات

١٠

وقال : أتيت منزل صديق لي فطرقت الباب فخرجت إلى جارية سندية :
 قلت : قولى لسيدى : ألملاحظ بالباب ؟
 فقالت : أقول الجاحد بالباب ؟ -- على لفتها !
 قلت : لا ، قولى له : ألمدق بالباب !
 فقالت : أقول : أحلقى بالباب ؟
 قلت : لا تقولى شيئاً . ورجعت !!

١١

وقال : رأيت أربعة أشياء لم أر مثلهن :
 رأيت سائلاً يسأل في الخام ، ويأخذ مواعيد من فيه إلى أن يخرجوا !
 ورأيت معلماً يعلم الصبيان القرآن ، والصبايا الغناء !
 ورأيت حجاماً بالكوفة يحجم بنسائه إلى الرجعة لشدة إيمانه بها !^(١)

(١) الرجعة : هي عقيدة قوم كانوا يقولون بأن الإنسان بعد وفاته
 لا بد عائد إلى هذه الدار ، طال الزمن أو قصر . وكان السيد الحيرى الشاعر

ورأيت حمالين يحملون جنازة فكلما أعيوا وضعوا عن رؤسهم إلى أن
بلغوا شفير القبر !

١٢

وقال : كان يحضر إلىَّ رجلٌ فصيبح من العجم . قلت له : هذه
الفصاحة ، وهذا البيان ، لو ادعى في قبيلة من العرب لكنك لا تُناظِع
فيها ؟ فأجاني إلى ذلك . فعملت أحفظه نسبا حتى حفظه وهذه هذَا .
قلت له : ألاَّن لا تَتَّه علينا ؟ فقال : سبحان الله ! إنْ فعلت ذلك فأنا
إذا دعى ؟ !!

١٣

وقال : جاءني يوماً بعض الثلة فقال : سمعت أن لك ألف جواب
مُسْكَن ، فلمني منها ؟
قلت : نعم

قال : إذا قال لي شخص : يا زوج القحبة ، يا ثقيل الروح ، أى شئ
أقول له ؟

قلت : قل له : صدقت ؟ !!

١٤

وقال : وقفت أنا وأبو حرب على قاصٍ فأرددت الولع به ، قلت لمن
حوله : إن هذا رجل صالح لا يحب الشهرة . فتفرقوا عنه . فنظر إلىَّ وقال:
حسبك الله ؟ إذا لم يجد الصياد طيراً كيف يعد شبكته ؟ !

يقول بهذا القول ، فجاءه رجل يسأله أن يقرضه مائة دينار على أن يردها إليه
بعد الرجعة ، فقال له السيد : ومن يضمن لي أنك لن تعود حماراً ؟ !!

١٥

وقال : مَرِضَ عَلَىٰ بْنُ عَبْيَدَةَ الرِّحَانِيَّ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عَائِدَا وَقَلَتْ
لَهُ : مَا تَشْتَهِي يَا أَبَا الْحَسْنِ ؟ قَالَ : عَيْنُ الرَّقَبَاءِ ، وَأَلْسُنُ الْوُشَاهِ ، وَأَكْبَادِ
الْحَسَادِ !

١٦

وقال : مَا غَلَبْنِي أَحَدٌ قَطْ إِلَّا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ :
فَأَمَا الرَّجُلُ فَإِنِّي كُنْتُ مُجْتَازًا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَإِذَا بِرَجُلٍ قَصِيرٍ
بَطِينٍ كَبِيرٍ الْهَامَة طَوِيلٌ الْأَحْيَاء مُؤْتَزِرٌ وَبِيْدِهِ مَسْطٌ يَمْسِطُهَا . فَقَلَتْ فِي
نَفْسِي : رَجُلٌ قَصِيرٌ بَطِينٌ أَلْحَى ! فَاسْتَزَرَ رِيْتَهُ ، فَقَلَتْ : أَيْهَا الشَّيْخُ ، لَقَدْ
قَلَتْ فِيْكَ شِعْرًا ! فَتَرَكَ الْمَسْطَ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ : قَلْ . فَقَلَتْ :
كَأَنَّكَ صَعْوَةً فِي أَصْلِ حُشْرٍ أَصَابَ الْحُشْرَ طَشٌّ بَعْدَ رِشٍّ^(١)
فَقَالَ : إِسْمُ جَوابِ مَا قَلْتَ . فَقَلَتْ : هَاتِ ! فَقَالَ :
كَأَنَّكَ جُنْدِبٌ فِي ذِيلِ كَبْشٍ تَدَلَّلُ هَكَذَا وَالْكَبْشُ يَمْشِي^(٢)
وَأَمَا الْمَرْأَةُ فَإِنِّي كُنْتُ مُجْتَازًا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَإِذَا أَنَا بِأَمْرَتَيْنِ ،
وَكُنْتُ رَاكِبًا عَلَى حَمَارٍ ، فَضَرَطْتُ الْحَمَارَ ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى : وَيْ !
حَمَارُ الشَّيْخِ تَضَرَطْ !! فَفَنَّطَتْ قَوْلَهَا فَقَلَتْ لَهَا : إِنَّهُ مَا حَمَلْتُنِي أَنْتِي قَطْ إِلَّا
ضَرَطْتَ . فَضَرَبَتْ يَدِهَا عَلَى كَتْفِ الْأُخْرَى وَقَالَتْ : كَانَتْ أَمْ هَذَا مِنْهُ
تَسْعَةُ أَشْهُرٍ فِي جَهْدٍ جَهِيدٍ ؟ !!

١٧

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنِ إِسْحَاقَ : قَالَ لِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، وَنَحْنُ بِمَغَادِدَ :

(١) الصَّعْوَةُ : عَصْفُورَةٌ صَغِيرَةٌ كَثِيرَةُ الصَّفَرِ . الْحُشْرُ : بَيْتُ الْخَلَاءِ .
الْطَّشُ : الْمَطْرُ الْكَثِيرُ . الرِّشُ : الْمَطْرُ الْخَفِيفُ .
(٢) الْجُنْدِبُ : الْجَرَادَةُ

أَلَا ندخل عَلَى عُمَرِ بْنِ جَحْشَ ؟ فَقَالَ : مَا لَهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ إِذَا
اَنْصَرْتَ إِلَى خُرَاسَانَ سَأْلُوكَ عَنْهُ ؟ فَلَوْ دَخَلْتَ إِلَيْهِ وَسَمِعْتَ كَلَامَهُ ؟ فَدَخَلْنَا
عَلَيْهِ قَدْمَنَا طَبْقَا عَلَيْهِ رَطْبَ، فَتَنَاهَلْتُ مِنْهُ ثَلَاثَ رَطْبَاتٍ ثُمَّ أَمْسَكْتُ، وَمَرَ
فِيهِ إِبْرَاهِيمُ، فَأَشَرْتَ إِلَيْهِ أَنْ يَمْسِكَ . فَرَمَقَنِي الْجَاحِظُ وَقَالَ لِي : دَعْهُ يَافِي
فَقَدْ كَانَ عَنِّي بَعْضُ إِخْرَانِي فَقَدَمْتُ إِلَيْهِ الرَّطْبَ فَامْتَنَعَ خَلْفَتُ عَلَيْهِ فَأَبَى
إِلَّا أَنْ يَبْرُقْسَمِي بِثَلَاثَةِ رَطْبَةٍ !

١٨

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدَّيَّالِ الْمَحْدُثُ : حَضَرَتُ وَلِيَهُ حَضَرَهَا الْجَاحِظُ ، وَحَضَرَتْ
صَلَةُ الْعَصْرِ وَمَا صَلَى الْجَاحِظُ ، فَلَمَّا عَزَّمْنَا عَلَى الإِنْصَارَفِ قَالَ الْجَاحِظُ
لِرَبِّ الْمَنْزَلِ : إِنِّي مَا صَلَيْتُ لِذَهْبِ أَوْ لِسَبِّ أَخْبَرْكَ بِهِ ! فَقَيِّلَ لَهُ : مَا أَظَنْ
أَنْ لَكَ مَذْهَبًا فِي الصَّلَاةِ إِلَّا تَرْكَهَا !

١٩

وَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءُ : كَانَ الْجَاحِظُ يَأْكُلُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ فَجَاؤُ
بِالْفَالُوذْجَةَ ^(١) ، فَتَولَّ مُحَمَّدُ بْنَ عَمَّانَ الْجَاحِظَ . وَأَمْرَأُنَّ يُجْعَلُ مِنْ جَهَتِهِ مَارِقُ مِنْ
الْجَامِ ، فَأَسْرَعَ فِي الْأَكْلِ فَتَنَظَّفَ مَا بَيْنَ يَدِيهِ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيَّاتِ : تَقْشَعْتَ
سَمَاؤُكَ قَبْلَ سَمَاءِ النَّاسِ ؟ !! فَقَالَ الْجَاحِظُ : لَأْنَ غَيْمَهَا كَانَ رَقِيقًا !

٢٠

وَقَالَ يَعْوِتُ بْنُ الْمَزْرَعَ : سَمِعْتَهُ — يَعْنِي الْجَاحِظَ — يَقُولُ : رَأَيْتَ
رَجُلًا يَرْوُحُ وَيَفْدُو فِي حَوَائِجِ النَّاسِ فَقَلَتْ لَهُ : قَدْ أَتَعْبَتَ بِذَلِكَ بِدْنَكَ
وَأَخْلَقْتَ نِيَابَكَ ، وَأَعْجَفْتَ بِرِذْنَكَ ، وَقَتْلَتَ غَلَامَكَ ، فَالَّذِي رَاحَةٌ وَلَا قَرَارٌ

(١) الفالوذجة: هي الفالوذ، وهي حلواء تعمل من الدقيق والماء
والعسل. بالوذة.

فلا اقتصدت بعض الاقتصاد ! فقال : سمعت تغريد الأطياف فاطربته طربى لنغمة شاكر أوليته معروفاً، أو سعيت له في حاجة !

٢١

وقال الماجحظ : نسيت كنيتي ثلاثة أيام فسألت أهلي : لماذا أكُن ؟
قالوا لي : أبو عثمان !

٢٢

ومن أطرف ما يروى في هذا الباب ما تحدث به أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب قال : مات عندنا بالأنبار فلان . وأسماء . وكان عظيم النعمة ، وافر المروءة^(١) كثير الثياب . وكان لكثرتها يجعل كل فن منها في عدة صناديق . فكانت دراريده الدِّيقيمة^(٢) مفردة ، والدراريع الديبياج مفردة ، وكذلك القُمص ، والسراويات ، والجباب ، والطيلانس والعائم . قال : وكان له بنو عم وأم ولد^(٣) قد تزوجها ، فلما مات أخرجت جميع آلاته وقماته وثيابه إلا اليسر ، من الدار ، فخابتة . وذهب عليها صناديق السراويات فلم تخرجها ، فباء بنو العم فختموا على الخزائن ، فلما انقضت أيام المصيبة فتحوها فوجدوها أخلٍ من فؤاد أم موسى . فاصموها

(١) المروءة : هي كمال الرجلية ، وهي آداب نفسية تحمل مراعاتها الإنسان على التزام محاسن الأخلاق ومجيل العادات ، والظهور أمام الناس بحسن السمع ونظافة الثياب وتخييرها حتى لا تنبو العين عن شيء منها .

(٢) الديقيمة نسبة إلى بلد مصرية كانت بين الفرما وتيس ، وكانت مشهورة بصنع الثياب والعائم من رقيق النسيج وتوسيتها بالذهب ، وقد تبلغ قيمة الذهب في العامة الواحدة خمسة دينار سوى الحرير والغزل .

(٣) أم الولد : هي الجارية التي كانت تتحذل للتسري حتى إذا حلت أعتقت وعقدت عليها

إلى قاضي البلد ، فلم تقطع الخصومة . فدخلوا الحضرة^(١) فتظلموا ، فأشخصت وحملت إلى القاضي أبي جعفر بن الهاشمي — ووُقِّعَ إليه بالنظر فيها بينهم على طريق المظالم^(٢) — فخسروا عنده وأخذوا سائلهم عن دعواهم ، وهي منكرة جميعها فقالوا له : أينما القاضي ، فلأن أنت أعرف الناس ببرهاته وثيابه وما كنت تشاهده له ، وكله كان في يدها له ، وساعة مات ختمنا خزانة ، وهي كانت في الدار ، ولما فتحناها لم نجد له فيها إلا عدة صناديق فيها سراويلات ، وقطعاً يسيرة من ثيابه ! فأين مضى هذا ومن أخذه ؟ وما السبب في عظم السراويلات وقلة الثياب ؟ ! قال : فأقبلت الجارية محتجدة كأنها قد أعدت الجواب ، فقالت : أعز الله القاضي ، أما سمعت ماحكمه المحافظ من أن رجلاً كان يُعشق المهووين فجمع منها مائة هاون ؟ ! هذا كان يُعشق السراويلات ... ؟ ! قال : فضحك القاضي أبو جعفر وانقض المجلس من غير شيء فما استنصفو منها بعد ذلك !

(١) الحضرة : هي عاصمة الملك ، ويراد بها هنا بغداد

(٢) كانت محاكم المظالم في العهد القديم أشبه بالمحاكم المدنية الآن ، مع خارق كبير بين صفات من كان يتولى النظر في تلك المظالم ، وبين من يتولى المحاكمات المدنية الآن .

الفصل الحادى والعشرون

في

شذور من كلامه

ليس في الإمكان حصر ما ذهب من كلمات الجاحظ مذهب الأمثال،
ولا مسار منها مسیر الشمس ، فإن كتبه ورسائله قد حفلت بهذا النوع
من الكلام ، وحشدت بهذا الضرب من القول الموجز والبيان المعجز ، وإذا
فاتنا استقصاء ذلك فلن يفوتنا الإلماع إليه، وإيراد شذور منه، فمن ذلك قوله:

١

يحب للرجل أن يكون سخيا لا يبلغ التبذير ، وشجاعا لا يبلغ الهوج
ومحترا لا يبلغ الحين ، ومضيا لا يبلغ الفجحة ، وقوالا لا يبلغ الهدار ، وصوتا
لا يبلغ العى ، وحلينا لا يبلغ الذل ، ومنتصرأ لا يبلغ الظلم ، ووقوراً لا يبلغ
البلادة ، ونافذاً لا يبلغ الطيش

٢

ليس جُهد البلاء مَدَّ الأعناق وانتظار وقع السيف ، لأن الوقت
قصير، والحين مفمود . ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلأة ، وتطول المدة ،
وتعجز الحيلة ، ثم لا تعدم صديقاً مؤيناً ، وابن عم شامتا ، وجاراً حاسداً ،
وولياً تحول عدوا ، وزوجة متخلفة ، وجارية مسبعة، وعبد يحفوك، ولدأ ينهرك

٣

وقال مرة للسدرى : إذا كانت المرأة عاقلة طريقة كاملة كانت قحبة ؟

فقال السدرى : وكيف ؟ !!

قال : لأنها تأخذ الدرام ، وتعتم بالناس والطبيب ، وتحتار على عينها من تريده ، والتوبة معروفة لها متى شاءت !

فقال السدرى : فكيف عقل العجوز ؟

قال : هي أحمق الناس وأقلهم عقلا

٤

كل عشق يُسمى حبا ، وليس كل حب يسمى عشقا . لأن العشق ..
اسم لما فضل عن المحبة ، كما أن السرّفَ اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسم
لما قصر عن الاقتصاد ، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس ، والهوج ،
اسم لما فضل عن الشجاعة

٥

وقال : تسمة موجودة في تسعة . أخلفة في الصم ، والهوج في الطوال ، ..
والعجب في القصار ، والنبل في الربعة ، والملاحة في الحول ، والذكاء في
الخُرس ، والحفظ في المُيَان ، والتقل في المور ، والنشاط في المُرج !

٦

وقال : أربعة أشياء مسوخة : أكل الرز البارد ، والني .. في الماء ، والقبل ..
على النقاب ، والغِنَام من وراء الستار !

٧

وقال : أجمع الناس على أربع : أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى ، ..
ولا أبغض من أعور ، ولا أخف روحًا من أحول ، ولا أقود من أحدب

٨

وقال : إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ : مَا تَرَكَ الْأُولُ لِلآخَرَ شَيْئًا ! فَاعْلُمْ أَنَّهُ
ما يَرِيدُ أَنْ يُفْلِحَ .

٩

وَقَالَ : مَنْ أَلْفَ قَدْ اسْتَهْدَفَ ، فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدْ اسْتُظْرَفَ ؟ وَإِنْ
أَسَاءَ فَقَدْ اسْتَقْدَفَ

١٠

وَقَالَ أَبُو زَيْدَ الْبَلْخِيَ : مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْجَاحِظُ : عَقْلُ النَّشْيِيْعِ مُشْغُولُ ،
وَعَقْلُ الْمُتَصْفَحِ فَارِغٌ !!

١١

وَقَالَ الْجَاحِظُ : مَنْ حَفِظَ مَا لَهُ فَقَدْ حَفِظَ الْأُكْرَمَيْنِ : الدِّينَ ، وَالْعِرْضَ

١٢

وَقَالَ : إِنْدِرُ مِنْ تَأْمِنَ ، فَإِنْكَ حَذَرُ مِنْ تَحْافَ

١٣

وَقَالَ : إِنْ تَهِيَّاً لَكَ فِي الشَّاعِرِ أَنْ تَبْرُهُ وَتَرْضِيهِ ، وَإِلَّا فَاقْتُلْهُ !!!
قَلْتَ : إِنَّ الْجَاحِظَ ، مِنْ أَجْلِ بَغْضِهِ لِشَارِبِ بَرْدٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى نَهْجِهِ
مِنَ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَهَاجُونَ الْمُتَكَامِلِينَ وَرِجَالَ الْمُعْتَزَلَةِ ، يَقُولُ هَذِهِ الْفُوْلَةُ
وَيَحْرِضُ بَهَا مِنْ طَرْفِ خَفِيَّ كُلَّ ذِي نَفْوذِ وَسُلْطَانِ عَلَى اغْتِيَالِ الشَّعْرَاءِ !!
وَهُلْ فِي الْإِمْكَانِ إِرْضَاهُ كُلَّ شَاعِرٍ وَقَطْعَهُ لِسَانَهُ بِالْمَطَايَا وَالْهَبَاتِ ، فِي كُلِّ وَقْتٍ
وَفِي كُلِّ آنَ ؟ ! هَذَا مَا لَا يُسْتَطِيعُهُ إِنْسَانٌ ، كَائِنًا مِنْ كَانَ ! وَلَكِنَّهُ كَانَ لِبَقًا
فِي تَحْرِيَضِهِ ، لَطِيفًا فِي حَثَّهِ وَإِعْيَازِهِ . وَقَدْ أَذْكَرْتُنِي هَذِهِ الْكَلِمَةُ كَلِمَةً أُخْرِيَّ
قَرِيبَةً الشَّبَهِ مِنْهَا سَمِعْتُهَا مِنَ الشَّيْخِ عَلَى يُوسُفَ (١) رَحْمَهُ اللَّهُ ، فِي بَعْضِ حَدِيثِ

(١) هو الكاتب الرابع القدير، والصحفي المصري الماهر المقطوع النظير، الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد، ومفتخرة الصحافة المصرية.

كان لي معه وهي قوله : « صاحب الكتاب كحامل العقرب لا يدرى متى تلده » فقلت له : ولم اختصت الكتاب بهذا دون غيره ؟ فقال : لأنَّ الكتاب الأديب أشد فطنة وأدق ذهنا وأسرع التفاناً وأكثر تقديرًا لـأحوال الناس ومرامي أغراضهم ، من سواه ، فهو إن أرضيته وقت بطالبه ، رضي عنك وقال فيك خير ما يعلم ، وإن أغضبته وقصرت في إبلاغه أمانيه ، ثار بك وقال فيك شر ما يعلم وما لا يعلم . وما الكتاب في هذا العصر إلا خلفاء الشعراء في العصر الأول . فقلت له : إن الرضا عند الإحسان ، والسطح عند الإساءة ، طبيعة في الجبلاة الإنسانية ، وغريزه في كل ما ذرأ الله من خلق ، أما سمعت قول الشاعر :

أَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْأَسَانَ مَوْكِلٌ^١
بِمَدْحِ كَرَامٍ أَوْ بِذَمِّ لَثَامٍ؟

قال : نعم . ولكن الشعراء والكتاب أشد إحساساً وأرق عاطفة وأنفذ نظراً أو أكثر عرفاناً بمقادير أنفسهم ، من كل من عداهم .

بل أحد مفاحر مصر في عهدها القريب . ولد بقرية بلصورة ، وتلقى علومه بها على الشيخ حسن الهواري ، ثم حضر إلى القاهرة وتحققت بالازهر . وكان يقول الشعر يمدح به بعض الكبار واستدراراً للعواصفهم . ثم صبت نفسه إلى الكتابة في الصحف ، فشارك الشيخ أحمد ماضي في تحرير جريدة الأدب ، وبعد قليل استقل بها . ثم أنشأ جريدة المؤيد ، وفيها ظهرت براءته ، وذاعت شهرته وانتشر صيته في أقطار الأرض . وصار المؤيد بحق جريدة العالم الإسلامي . وما زالت تدفع بهمته وتسمى بهمواهه إلى أن أصبحت خشى الجانب من المسلمين والأمراء ، ومن في طبقتهم ، فأهدوا إليه نياشين الفخار ، ومنحوه رب الاعتبار . ثم صاهر بيت السادات العريق في الحسب ، وصار شيخاً للسادات الوفائية . وكان له في المؤيد جولات قلم كانت تقيم السلطنة العثمانية وتقعدها ، وترضيها وتسخطها . وكان المؤيد مدرسة تخرج بها الكثير من فحول الكتاب وأكابر الأدباء الذين يقودون الحركة الفكرية ، ويقطبون على زمام النهضة القلبية . في هذا العصر . توفي بالقاهرة سنة ١٣٣٣ھ ١٩١٣ م.

الفصل الثاني والعِشرون

في

نبذ من شعره

يندر في البلغاء من تستوى له الإِجادة في الصناعتين فيجمع بين بلاغة النثر، وبراعة الشعر. وهو إذا جتمعاً بلبلغ قلماً تساوياً في درجات البيان ، وطبقات التبيان . ولاشك في أن المحافظ قد بلغ في الكلام المنشور النزوة: العليا في طبقات الفصاحة ، ومعارج الإِبانة، ومراقي البلاغة، حتى صار إماماً في أسلوبه ، وحتى تقاررت دون بلوغ غايتها هم الكتاب الذين جاءوا من بعده . ومع هذا فقد كان في شعره يتظالم وراء الطبقة الوسطى من الشعراء . وكان ربما استعان بشعر غيره بين يدي حاجته ولا يرى في ذلك بأساً . وقد تظهر دخلته في هذه الاستعانة ولا يخشي قول أحد ، لأن له من لسانه وقایة ، ومن بيانه حياة . على أنه ليس في إمكاننا أن نترك هذا الكتاب دون أن ثبت فيه ما عثّرنا عليه من شعره ، إن صحت رواية الرواية أن الشعر له :

١

روى الرواية أنه قال في أبي الفرج نجاح بن سلمة قصيدة يسألها فيها إطلاق رزقه . ولم يبق منها إلا قوله :
 أقام بدار الحفظ راضٍ بحفظه
وذوا الحزم يسرى حيث لا أحد يسرى^(١)

(١) يريد بدار الحفظ: الاقامة على الفقر والرضا به. وأن الراضى بهذه الحالة غير حازم ولا بعيد الهمة ، وأما الحازم فهو بعيد الهمة كثير النشاط

يَطْلُبُ الرَّضَا شِبَابًا يَسِيرًا مُهَوَّبًا
 وَدُونَ الرِّضا كَأسًا أَمَرُّ مِن الصَّبَرِ^(١)
 سَوَاءٌ عَلَى الْأَيَامِ صَاحِبُ حُنْكَةٍ
 وَآخَرُ كَاب لَا يَرِيشُ وَلَا يَرِى^(٢)
 خَضَعَتْ لِبَعْضِ الْقَوْمِ أَرْجُونَوَاللهُ
 وَقَدْ كُنْتُ لَا أُعْطِي الدَّنَيَا بِالْقَسْرِ^(٣)
 فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ يَبْذُلُ بَشَرَةً
 وَيَعْمَلُ حُسْنَ الْبِشَرِ وَاقِيَةً الْوَقْرِ^(٤)
 رَجَعْتُ عَلَى ظَلْعِي وَرَاجَعْتُ مَزْلِي
 فَصَرِّحْتُ حَلِيقًا لِلدرَاسَةِ وَالْفِكْرِ^(٥)

والحركة، لا يرضيه الدون من العيش ، ولكنه ما يزال معينا بعظام الامور .
 وهو بهذا يعارض قول الشاعر :

يُقِيمُ الرَّجَالُ الْأَغْنِيَاءِ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَّا
 (١) يعني مع هذا فان الرضا ليس بالشيء الهين اليسير

(٢) صاحب الحنكة ! هو المحرب للامور . والكابي : هو الفر الغمر المغلل . لا يريش ولا ييري : هذا مثل عربي يضرب له لا خير فيه ولا اغناه عنده

(٣) يريد أنه على شمه وإيانه قد دفعته الحاجة إلى قصد بعض الناس ، وقد ظن في الساحة والكرم ، خضع له ليستنزل سحائب جوده . مع أنه كان لا يتسامح مع نفسه أن يذل لأحد أو يذعن لدنيه إلا إذا قهر عليها

(٤) يريد أنه لما رأى الناس الذين قصدتهم في حاجته ليس عندهم إلا الحسن اللقاء والابتسام في وجه قاصدهم وأنهم يجعلون ذلك وقاية لا موارهم وهذا الصنف من الناس هو الذي عناه المتني بقوله :

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ الْلِسَانِ فَلَا كَانُوا لَا جَمِودٌ
 (٥) يريد أنه لما رأاه على تلك الحال التي وصفها في البيت السالف عاد على نفسه باللامة ولزم منزله وانكب على الدرس والمطالعة والتفكير . ولا تحسين أن الجاحظ كان فقيراً معدماً فقد كانت له موارد رزق غامرة ، غير أنه على ما يظهر كان قد وقع في ضيقة مالية اضطرته إلى قول مقال . ووصف ما وصف . أو أن هذا القول كان منه على طريق بمحاراة الشعراء في الاحتيال على الكرماء وخداع الأجواد

وَشَأْوَرْتُ إِخْوَانِي فَقَالَ عَلَيْمُهُمْ
 عَلَيْكَ الْفَتَى الْمُرْتَى ذَا الْخُلُقِ الْفَمْرِ^(١)
 أُعِيدُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ قَوْلِ شَامِتِ:
 أَبُو الْفَرَاجِ الْمَأْمُولِ يَزَّهَدُ فِي عَمْرِ وَ^(٢)
 كَا كَانَ دَهْرًا فِي الرَّخَاءِ وَفِي الْيُسْرِ^(٣)
 أَخَافُ عَلَيْكَ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ
 وَذَوَالُو دَمَنْ حَوْبُ الْفُوَادِمَنَ الدَّعْرِ^(٤)
 فَإِنْ تَرَعَ وُدُّي بِالْقَبُولِ فَأَهْلُهُ
 لَا يَعْرِفُ الْأَقْدَارَ غَيْرُ دُوَى الْقَدْرِ^(٥)

٢

قالوا : وقال في أحمد بن أبي دؤاد :

وَعَوِيصٌ مِنَ الْأُمُورِ بَهِيمٌ
 غَامِضٌ الشَّخْصُ مُظْلِمٌ مَسْتُورٌ^(٦)
 قَدْ تَسْنَمْتَ مَا تَوَعَّرَ مِنْهُ
 بِلِسَانٍ يَزِينُهُ التَّحْبِيرُ^(٧)
 مِثْلُ وَشْنِي الْبُرُودِ هَلَّهُ لَهُ النَّسِيجُ وَعِنْدَهُ الْحِجَاجُ دُرُّ نَثِيرٌ^(٨)
 حَسَنُ الصَّمَتِ وَالْمَقَاطِعِ إِلَيْهِ نَصَّتَ الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ^(٩)
 مُمَّ مِنْ بَعْدُ لَحْظَةٍ تُورِثُ الْيُسْرَ وَعَرَضُ مُهَذَّبٍ مَوْفُورٌ^(١٠)

(١) الخلق الفمر : يعني الخلق العظيم

(٢) ععرو : هو الجاحظ نفسه

(٣) وهذا البيت يحقق ما ظنناه من أنه كان يحاول خدعه

(٤) الفواد المنغوب : الواهي الضعيف

(٥) هذا هو بيت القصيد

(٦) العويص : الصعب . والبهيم : المظلوم المست俾م الذي لا معارف له ولا أعلام

(٧) تسنم : ركب . ما توغر : ما صعب واستعصي

(٨) يعني بكلام هو بلاغته وفصحته وقوته ما في معانيه من حجتوه ما في الفاظه من رقة، كأنه البرود الملوثة الرقيقة النسيج . الحجاج : الجدل والمناظرة

(٩) نصتوا : تسمعوا

(١٠) ما أجل المعنى الذي تضمنه هذا البيت ! فهو يقول إنه لحظهم لحظة

وما كتبه إليه ، ولعلها من الآيات الماضية:

لَا تَرَانِي وَإِنْ تَطَّاولْتُ عَمْدًا
بَيْنَ صَفَيْهِمْ وَأَنْتَ تَسِيرُ^(١)
كُلُّهُمْ فَاضِلٌ عَلَىٰ بَعْلٍ
وَلِسَانِي يَزِينُهُ التَّخْيِيرُ^(٢)
فَإِذَا ضَمَّنَا الْحَدِيثَ وَبَيْتَ
وَكَانَى عَلَىٰ الْجَمِيعِ أَمِيرٌ^(٣)
رُبَّ حَصْمٍ أَرَقَ مِنْ كُلَّ رُوحٍ
وَلَفْرٌ طِالِدٌ كَيْكَادُ يَطِيرُ^(٤)
فَإِذَا رَامَ غَايِي فَهُوَ كَبِيرٌ مَبْهُورٌ^(٥)

دروى يومت بن المزرع أن الجاحظ قال يهجو الجماز . وتروى لعبد الصمد ابن العذل :

نَسَبَ الْجَمَازَ مَقْصُوٌ رُّوْلِيْهِ مُنْتَهَاهٌ
تَنْتَهِي الْأَحْسَابُ بِالنَّاسِ وَلَا يَمْدُو قَفَاهُ
يَتَنَاجَى مَنْ أَبُو الْجَمَازِ فِيهِ كَاتِبَاهُ
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ أَبُو الْجَمَازِ إِلَّا مَنْ يَرَاهُ

أزاحت عنهم العسر ، وأحلت بهم السر ، دون أن يراق لهم ماء وجه ، أو يلهم عرض

(١) من هذا البيت يتضح أن الجاحظ قد جمع إلى دمامه الخلق قصر القامة

(٢) يريد أنهم أكثر منه مala ولكنهم أحلى منهم لسانا

(٣) يعني أنه حينما يكون معهم في بيت ويحرى بينهم الحديث سادهم وأنه عليهم أمير حسن بيانه وجيل افتاته

(٤) يعني أن خصمه مهما أتوى من خفة الروح ورقة سحر البيان ومن الذكاء الخارق كان كما وصفه في البيت التالي

(٥) يعني أن خصمه مع ما هو عليه من الصفات التي أبانها في البيت الماضي لن يبلغ شاؤه ولن يصل إلى غايته

وروى له أبو العينا هذه الأرجوزة في الخضاب :

زُرْتُ فَتَاهَ مِنْ بَنِي هَلَالِ
فَاسْتَعْجَلْتُ إِلَيْهِ بِالْسُّوَالِ :
مَا لِ أَرَاكَ قَانِي السَّبَالِ^(١)
كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي حِرَيَالِ^(٢)
مَا يَنْتَغِي مِثْلُكَ مِنْ أَمْثَالِ !؟
تَنَحَّ قُدَّامِي وَمِنْ حِيَالِي

وقال في فضل العلم والعلماء :

يَطِيبُ الْعَيْشُ أَنْ تَلْقَى حَكِيمًا غَذَاهُ الْعِلْمُ وَالنَّهُمُ الْمُصِيبُ
فَيُكْشِفَ عَنْكَ حَبْرَةً كُلَّ جَهَلٍ وَفَضَلُّ الْعِلْمِ يَعْرُفُهُ اللَّهِيْبُ
سَقَامُ الْخِرْصِ لَيْسَ لَهُ شَفَاءٌ وَدَاهُ الْجَهْلِ لَيْسَ لَهُ طَبِيبٌ

وفي رواية الخطيب البغدادي أن أبو العينا قال : قال إبراهيم بن رباح :
أتاني جماعة من الشعراء فأناشدني كل واحد منهم ، وكل يدعى أنه مدحني
بهذه الأبيات :

بَدَا حِينَ أَثْرَى بِإِخْوَانِهِ فَفَلَلَ عَنْهُمْ شَبَّةَ الْعَدَمِ^(٣)

(١) قان السبال : مصبوغ الشاربين باللون الأحمر

(٢) يريد أن حمرة شاريته كمن شرب خمرا أو عب فيه فأثر لون الخمر
في شاريته

(٣) فلل شباء العدم : أذهب عنهم حدة الفقر

وَذَكْرُهُ الْحَزْمُ صَرْفُ الزَّمَا
فَقِيْ نَصَهُ اللَّهُ بِالْمَكْرُمَا
إِذَا نِعْمَةً قَصْرَتْ عَنْ يَدِ
وَلَا يَنْكُتُ الْأَرْضَ عَنْ دَسْوَا

(١) نَفَبَادَرَ قَبْلَ اِنْتِقالِ النَّعْمَ

تَفَازَّجَ مِنْهُ الْحَيَا بِالْكَرَمِ
تَنَازَّلَهَا بِمَرْيَلِ الْهَمِّ

قال : وكان اللاتي منهن ، وأحبها له . ثم آخر من جاءني المباحث
وأنما إلى الأهواز ، فأعطيته عليها ، ثم كنت عند ابن أبي دؤاد فدخل علينا
المباحث فالتفت إلى ابن أبي دؤاد فقال : يا أبا إسحق ، قد امتدحت بأشعار
كثيرة ما سمعت بشيء وقع في قلبي وقبلته نفسى مثل أبيات مدحنى بها
أبو عثمان ؟ ثم أشذنها بحضورته « بدا حين أخرى بإخوانه » فقلت : وجد
أيدك الله مقلا ! . . . قال : وعجبت من عمرو وسكته ، ولم أذكر من
ذلك شيئاً . . .

٨

وقال في إبراهيم بن رباح :

وَعَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يُصلِحُ أَمْرَهُ
رَحِيبُ بَحَالِ الرَّأْيِ مُنْبَلِحُ الصَّدَرِ
فَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْوَلَايَةَ سُبَّةً
عَلَيْهِ فَإِنَّهُ بِالْوَلَايَةِ ذُو خَبَرٍ
فَقَدْ جَهَدَهُ بِالسُّؤَالِ وَقَدْ أَبَى
بِالْمَجْدِ إِلَّا أَنْ يَلْجُ وَيَسْتَشْرِي (٢)

٩

وقال في الخضاب :

إِنْ حَالَ لَوْنُ الرَّأْسِ عَنْ حَالِهِ فَقِيْ خِضَابِ الرَّأْسِ مُسْتَمْتَعَ (٣)

(١) في رواية : وذكره الدهر . وما أثبتناه أفضل

(٢) يلتج ويستشير : يبالغ في شأنه في الكرم

(٣) في رواية . فقي خضاب المرء

هَبْ مَنْ لَهُ شَيْبٌ لَهُ حِيلَةُ فَا الَّذِي يَحْتَالُهُ الْأَضْلَعُ^(١)

١٠

وَرَوَى أَبُو الْحَسْنِ الْبَرْمَكِيُّ لَهُ :
وَكَانَ لَنَا أَصْدِقَاءٌ مَضَواً تَفَانَوا جَمِيعًا وَمَا خَلَّدُوا
تَسَاقَوا جَمِيعًا كُؤْسَ الْمَنْوِ نِفَاتَ الصَّدِيقِ وَمَاتَ الْمَدُو

١١

وَمَا رَوَى لَهُ وَهُوَ مَرِيضٌ :
لَئِنْ قُدِّمْتُ قَبْلِي رِجَالٌ فَطَالَاهُ
وَلَكِنْ هَذَا الدَّهْرُ سَأَلِي صُرُوفُهُ فَتُبَرِّمَ مَنْقُوضًا وَتَنْقُضَ مُبْرَمًا

(١) وفي رواية :

هَبْ أَنْ مَنْ شَابَ لَهُ حِيلَةُ فَا الَّذِي تَحْنَى لَهُ الْأَضْلَعُ
وَالَّذِي أَبْتَاهَ أَجْوَدُ



الفِصْلُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونُ

فِي

هجو الشعرا له

ليس بدعاً أن يوجد في قاله الشعر من يعرض للجاحظ بالمجو، ومع هذا فلم يهجه منهم إلا من لا خطر له ولا شأن من الشعراء، أما ذوا الأخطار، منهم وأصحاب الأقدار فيهم ، فقد عرفا منزلته ، وأدركوا مكانته ، وصارت الأممية الكبرى التي يصبو إليها الشاعر منهم هي أن يذكره الجاحظ في بعض كتبه، ولو من طريق النقد والملاحظة ، أو التندر والماكرة ، فإنه يضمن بذلك أن يتعدد ذكره في الآفاق ، ويبلغ صيته السبع الطياب .

١

يروى أن صديقه أبا كريمة البصري قال يعاتبه ويقرره :

لَمْ يَظْلِمْ اللَّهُ عَمْرًا حِنَّ صَرَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَوَى آدَابِهِ عَارِي
بَنَتْ جِبَالَ وَصَالِي كَفَهُ قُطِعَتْ لَمَّا اسْتَغْنَتْ بِهِ فِي بَعْضِ أَوْطَارِي
فَكُنْتُ فِي طَلَبِي مِنْ عِنْدِهِ فَرَجَّا كَالْمُسْتَغْيَثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
إِلَيْيِ اُعِيدُكَ وَالْمُتَادُ مُحْتَرِسٌ مِنْ شُؤُمَ عَمْرٍ وَبَعْزَ الْخَالِقِ الْبَارِي
فَإِنْ فَعَلْتَ حَفْظٌ قَدْ ظَفِرْتَ بِهِ وَإِنْ أَبَدَتْ قَدْ أَعْلَنْتُ أَسْرَارِي

٢

وقال بعض خصوم المعزلة يهجوه :

لَوْ يُمْسِخُ الْخِنْزِيرُ مَسْخًا ثَانِيًّا مَا كَانَ إِلَّا دُونَ قُبْحِ الْجَاحِظِ

رَجُلٌ يَنْوِبُ عَنِ الْجَحِيمِ بِنَفْسِهِ وَهُوَ الْقَدَّى فِي كُلِّ طَرَفٍ لَا حِظٌ
٣

وقال المجاز في رده عليه :

يَا فَيْ نَفْسُهُ إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ تَائِفَةٌ
لَكَ فِي الْفَضْلِ وَالْتَّرَهُدِ وَالنُّكْسِ سَابِقَهُ

٤

وقال فيه :

قَالَ عُمَرُ وَمُفَاعِرًا: نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ
قُلْتُ: فِي طَاعَةِ رَبِّكَ أَبْلَيْتَ ذَا النَّسْبِ



الفصل الرابع والعشرون

في

مرضه وما قيل في سببه . وموته

كان ابتداء مرض المخاطف في أواخر عهد الخليفة جعفر التوكل على الله العباسى، أى في سنة ٢٤٧ هـ . والظاهر أنه لم ينقطع عن الكتابة والتأليف طوال مدة مرضه ، مما يدل على أنه كان على جانب عظيم من قوة البناء ، وشدة الأسر ، ومتانة الأعصاب ، وحضور الذهب ، وقوة العقل . ولا عبرة بما وصف به نفسه ، أو بما وصفه به غيره ، من شدة وقع المرض عليه . فمن البديهى أن ذلك قد كان في أول وقع الاصابة به ، أوفى أواخر أيامه واقتراب أجله وتداوى ساعته . ومع هذا فن الثابت أذ لم يتمت حق وقعت عليه أجlad الكتب ققطعت أنفاسه . وقد ظل مفلوجاً عانياً لأعوام مجرّمة . من سنة ٢٤٧

إلى سنة ٢٥٥ وإليك ما قبل في ذلك :

١

نقل ابن أبي أصيبيعة^(١) من خط ابن بطلان^(٢) الطبيب: أن أبا عثمان

(١) هو موقف الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، عرف بـ ابن أصيبيعة، أحد أفضال العلماء في القرن السابع. وقد ألف كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» برسم خزانة أمين الدولة ابن غزال وزير الملك الصالح بن الملك العادل صاحب دمشق . توفي بصرحد سنة ٦٦٨ هـ.

(٢) هو أبو الحسن المختار بن عبد وس . وقيل عبدون . المعروف بـ بطلان . طيب ماهر ، ومنطق فاضل ، وكاتب بارع . نشأ ي بغداد نصرايانا . ثم رحل إلى الجزيرة والموصل وديار بكر ، وأقام بحلب زمنا ، وكان له فيها

الماحظ ويونا بن ماسويه^(١) اجتمعا — في ظن ابن بطلان — على مائدة إسماعيل بن بليل^(٢) (قلت: الصواب أنهما اجتمعا على مائدة أحمد بن أبي دواد) وكان في جملة ما قدم مَضِيرَةً بعد سمك ، فامتنع يوحننا من الجمع بينهما ، فقال له أبو عثمان : أيها الشيخ ، لا يخلو أن يكون السمك من طبع اللبن أو مصادله ، فإن كان أحدهما ضد الآخر فهو دواء له ، وإن كانا من طبع واحد فلنحسب أنا قد أكلنا من أحدهما إلى أن اكتفينا؟ فقال يوحننا : والله ما لي خبرة بالكلام ، ولكن كل يا أبا عثمان واظر ما يكون في غد . فأكل أبو عثمان ، نصرا لدعواه ، ففلج في ليلته ! فقال : هذه والله نتيجة التفاسحال.

شأن ، ثم وفد على مصر ولقي بها ابن رضوان الطيب المصري وجرت بينهما مناظرات وجادات . وله من الكتب « دعوة الأطباء » وهو كتاب طريف . ورحلته بدون منها الشيء . الكثير في بطون الكتب . توفي بدير أخذه لنفسه بانطاكية بعد أن ترهب زمنا سنة ٤٤٤ هـ

(١) هو أبو زكريا يوحننا بن ماسويه . طبيب سرياني ، خدم الرشيد بطبته . وتولى له ترجمة كتب الطب القديمة ، وظل في خدمة الخلفاء العباسين إلى أيام المتوكل . وكان ذا جاه عظيم ، وقدر جليل . وكان له مجلس يحضره العلماء والتلاميذ للبحث والنظر . وكان به ضيق صدر وحدة تخرج به إلى الكلمة النادرة والملحة المضحكة . وكان سلويه يصفه بالفضول ويحذر من الاعتماد على ما يصفه من الأدوية . ومن عجيب كلامه قوله لأن حمدون الدنس ، وقد عبّث به : لو كان مكان ما فيك من الجهل عقل وقسم على مانتحفساء لكان كل واحدة منه أعقل من أرسطوطاليس؟ . توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ

(٢) هو أبو الصقر إسماعيل بن بليل أحد وزراء المعتمد الدين جعفر لهم السيف والقلم . وكان يسمى الوزير الشكور . وكان كريما متجملا يتسب إلى بني شيبان ، وكان يغمز في نسبة . وقد مدحه الشعراء مثل البحترى وابن الرومي ثم هجاج ابن الرومي فألْفَخَش . قُبض عليه المعتمد وعلى أسبابه وحبس إلى أن مات في حبسه سنة ٢٧٨ هـ

وقال أبو معاذ عبد الله الخوئي المطهّب : دخلنا بسر من رأى على عمرو بن بحر المحاط نعوده وقد فلّج ، فلما أخذنا مجالسنا آتى رسول التوكيل فيه . فقال : وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ، ولعب سائل ؟ ثم أقبل علينا فقال : ما تقولون في رجل له شِقان : أحدهما لو غرز بالمسالٰ ما أحسن ، والآخر يمر به الذباب فَيُغُوثُ . وأكثروا أشكوه الثانون . ثم أشندنا أبياتاً من قصيدة عوف بن محلم الخزاعي^(١) قال أبو معاذ : وكان سبب هذه القصيدة أن عوفاً دخل على عبد الله بن طاهر^(٢) فسلم عليه عبد الله فلم يسمع ، فأعلم ذلك . فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة ارتجالاً — فأنسده : يا ابنَ الْذِي دَانَ لِهِ الْمَسْرِقَانَ طَرُّاً وَقَدْ دَانَ لِهِ الْمَغْرِبَانَ^(٣)

(١) هو أبو محلم عوف بن محلم الخزاعي . أحد أفراد الأدباء الرواة الفهماء ، وكان شاعراً بليغاً ونديماً مظريفاً ، وكان عارفاً بالتوادر والأخبار وأيام الناس . اختصه طاهر بن الحسين بمنادته ومسامرته ، ثم اصطفاه عبد الله بن طاهر لنفسه وطالت صحبته له ، وكان لا يكاد يفارقه في سفر ولا حضر . وله فيه

شعر جيد ونوار حسنة . مات سنة ٢٢٠ هـ

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر ، كان أميراً جليلًا على الهمة ذات شهامة وصرامة وإقدام ، وكان سيداً نبيلًا سخياً كريماً . ولد الخليفة المأمون فيما ولاده من الأعمال الديار المصرية . وللشاعر ، فيه مدائح ولهم إيمان . وكان مع هذا شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً وأديباً بارعاً . وله حروب ومشاهد كان الظفر فيها دائمًا في جانبه . وما يسمى مصر بالعبدلاوي ، وهو البطيخ الأصفر ، إنما ينسب إليه ، لأنّه ، على ما قيل ، هو الذي جاء به من خراسان وزرعه مصر ، وكان يستطيعه في إبانه . وكان واسطة عقد الأسرة الظاهرية التي كان العباسيون يتكلون إلى أفرادها القيام بعظام الأمور وكبار

المهام في الدولة . توفي بمرو سنة ٢٣٠ هـ

(٣) دان : خضع وأتم بأمره . ويروى بدل الشطر الثاني (وأكثر الأمر به المغربان)

إِنَّ الْمَتَّاينَ - وَبُلْغَتْهَا -
قدَّأَخْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانَ (١)
وَبَدَلَتْنِي بِالشَّطَاطِ اِنْجَنَا
وَكُنْتُ كَالصَّدَّةِ تَحْتَ السِّنَانَ (٢)
وَبَدَلَتْنِي مِنْ زَمَاعِ الْفَتِي
وَهِمَّيْ هُمَّ الْجَبَانِ الْهِدَانَ (٣)
وَقَارَبَتْ مِنِي خُطَا لَمْ تَكُنْ
مُقَارَبَاتِي وَثَنَتْ مِنْ عِنَانَ (٤)
وَأَنْشَأَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى
عَنَانَةً مِنْ غَيْرِ نَسْجِ العَنَانِ (٥)
وَلَمْ تَدْعُ فِي لِسْتَمْتَعْ إِلَّا لِسَانِي وَبَحَسْبِي لِسَانَ (٦)
أَدْعُو بِهِ اللَّهَ وَأُنْتِي بِهِ
عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصَبِّيِّ الْمَهْجَانِ (٧)
قَدْ هِمْتُ بِالْأُوْطَانِ وَجَدَّا بِهَا
وَبِالْمَغَانِ أَيْنَ مِنِيَ الْمَغَانِ (٨)

(١) بلغتها : بلغت إليها، يعني سن الثمانين . وهو دعاء محظوظ

(٢) الشطاط : اعتدال القدر مع الطول والاستقامة . الصدة : فناة الرمح المستوية الطول بلا تتفيف

(٣) الزماع : بادرة الفتولة والنشاط والمضام في الامر . الهدان : الأحقن . التقليل

(٤) يعني أن طول السنين قاربت خطوه وثبت عنانه أي أخذت من حدته .

(٥) العنانة : السحابة . يشير إلى أن بصره قد ضعف ونزل الماء . بعينيه حتى أصبح لا يكاد يرى الأشياء . إلا وكأنه ينظر من وراء سحابة

(٦) يعني أن فصحته وبيانه هما اللذان أبقاهما له الدهر دون سائز مزاياد ، وحسب من نادمه بهما من متعة

(٧) المصبى : المنسوب إلى مصب . لأنَّه عبد الله بن طاهر بن الحسين . ابن مصعب بن زريق . المجان : الرجل الكريم الحبيب . ويروى (صنع) الأُمِيرُ الْمُسْتَيْرُ الْمَهْجَانُ)

(٨) المغانى : الديار . ويروى : وهمت بالآوطان وجداها ، والغوانى . أين مني الغوان ()

قرَّبَانِي بَأْبَى أَنْتُمَا مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفَارِ الْبَنَانِ^(٢)
 وَقَبْلَ مَنْعَائِي إِلَى نِسْوَةِ أُوطَاهَا حَرَّانَ وَالرَّقَّانَ^(٢)
 سَقَى قُصُورَ الشَّادِيَّاَخَ الْحَيَاَ منْ بَعْدِ عَهْدِي وَقُصُورَ الْمَبَانِ^(٣)
 فَكُمْ وَكُمْ مِنْ دَعْوَةِ لِي بِهَا أَنْ تَخْطَّاَهَا صُرُوفُ الزَّمَانِ^(٤)
 قلت : الاجماع على أنه لم يبرح البصرة منذ مرض ، ولهذا فإني أجده في
 رواية أبي معاذ ضعفاً !

٣

وفي خبر يموم بن المزمع أن المتكفل ، في السنة التي قُتل فيها ، وجه
 إلى الماجحظ أن يُحمل إليه من البصرة ، وقد سأله الفتح بن خاقان ذلك ،
 فوجده لا فضل فيه ، فقال لمن أراد حمله : ما يصنع بأمرىء ليس بطائل ،
 ذي شق مائل ، ولعب سائل ، وفرج باطل ، وعقل زائل ، ولون حائل ؟

٤

قال يموم : ودخل إلى خالٍ أنسٌ من البصرة من أصدقائه في العلة
 التي مات فيها ، فسألوه عن حاله فقال :

(١) قبل اصفار البنان : يعني قبل أن يدركني الموت . لأن البنان
 لاتصرف إلا بالموت

(٢) قبل منعائي : قبل أن أدنى إليهم ويلغthem خبر موتي . حران : مدينة
 عظيمة كانت حاضرة ديار مصر فتحت في عهد عمر بن الخطاب على يد الفاتح العظيم
 عياض بن غنم . ومنها الحرانيون الصابئون الذي كان لهم شأن في الطب والفلسفة
 والعلوم على عهد الدولة العباسية . الرقان ، متنى الوجهة : وهي بلدة قريبة من
 حران . ولعلها كانت منازل عوف بن ملجم

(٣) قصور الشاديّاَخ : هي قصور كانت لعبد الله بن طاهر في قريته
 الشاديّاَخ من أرباض نيسابور . الحيا : المطر . ولعل قصور المبان كانت
 أيضاً لـ طاهر بن الحسين

(٤) صروف الزمان : مصائبه وجوانبه

عَلِيلٌ مِنْ مَكَانِينِ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالَّذِينَ
ثُمَّ قَالَ : أَنَا فِي هَذِهِ الْعَلَةِ الْمُتَنَاقِضَةِ إِلَيْهِ يُخْوِفُ مِنْ بَعْضِهَا التَّلْفُ ،
وَأَعْظَمُهَا نِيَفَ وَتِسْعَوْنَ سَنَةً — يَعْنِي عُمْرَهُ . قَالَ : وَكَانَ يُطْلِى نَصْفَهُ الْأَيْنَ
بِالصَّنْدَلِ وَالْكَافُورِ لِشَدَّةِ حَرَارَتِهِ ، وَالنَّصْفُ الْآخَرُ لِوَقْرَضِ الْمَقَارِبِ مَا شَعَرَ
بِهِ مِنْ خَدْرَهُ وَبِرْدَهُ .

٥

وَقَالَ بَعْضُ الْبَرَامِكَةِ الْعَالَمِ : كَنْتُ تَقْدِيرُ السَّنَدَ فَأَقْتَلَتْ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ،
ثُمَّ اتَّصَلَ بِي أَنِي صُرِفْتُ عَنْهَا ، وَكَنْتُ قَدْ كَسِيتَ بِهَا ثَلَاثَيْنِ أَلْفَ دِينَارٍ ،
فَشَحِشْتُ أَنِّي يَفْجَأَنِي الصَّارِفُ فَيُسْمِعُ بِعِكَانِ الْمَالِ فَيُطْبَعُ فِيهِ ، فَصَنَعْتُهُ عَشْرَةَ
آلَافَ إِلَهِيَّلْجَةً ، وَلَمْ يَلْبِسْ الصَّارِفُ أَنِّي ، فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ وَانْخَدَرْتُ إِلَى
الْبَصْرَةِ ، فَخَبَرْتُ أَنَّ الْجَاحِظَ بَهَا وَأَنَّهُ عَلِيلٌ بِالْفَالْجِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ قَبْلَ
مَوْفَاتِهِ ، فَصَرَّتْ إِلَيْهِ فَأَفْضَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِ لَطِيفِ قَرْعَتِهِ ، فَغَرَجَتْ إِلَى جَارِيَّةِ
صَفَرَاءِ فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَلَّتْ : رَجُلٌ غَرِيبٌ وَأَحَبُّ أَنْ أَسْرِيَ بِالنَّظَرِ
إِلَى الشَّيْخِ . فَبَلَغَتْهُ الْخَادِمُ مَا قَلَّتْ ، فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ : قَوْلِي لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ
؟ شَقْ مَائِلٌ ، وَلَعَابٌ سَائِلٌ ، وَلَوْنٌ حَائِلٌ ؟ قَلَّتْ لِلْجَارِيَّةِ : لَا بَدْ مِنَ الْوَصْوَلِ
إِلَيْهِ ! فَلَمَّا بَلَغَتْهُ قَالَ : هَذَا رَجُلٌ قَدْ اجْتَازَ الْبَصْرَةَ وَسَمِعَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَحَبُّ
أَنْ أَرَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ فَأَقْوَلُ قَدْ رَأَيْتَ الْجَاحِظَ . ثُمَّ أَذْنَ لِي فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِ ، فَرَدَ رَدًا جَيْلًا وَقَالَ : مَنْ تَكُونُ أَعْزَكَ اللَّهُ ؟ فَأَنْتَسِبْتُ لَهُ . فَقَالَ :
رَحْمَ اللَّهِ تَعَالَى أَسْلَافُكَ وَآبَاءُكَ السُّمَحَاءُ وَالْأُجُودُ ، فَلَقَدْ كَانَتْ أَزْمَانُهُمْ
رِيَاضُ الْأَزْمَنَةِ ، وَلَقَدْ أَنْجَبَ بَهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، فَسَقَيَا لَهُمْ وَرَعِيَا . فَدَعَوْتُ
لَهُ وَقَلَّتْ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَتَشَدَّنِي شَيْئًا مِنْ شِعْرِكَ ؟ فَأَنْشَدَنِي :

لِئَنْ قُدِّمْتَ قَبْلِي رَجَالًا مَسَيْتُ عَلَيْ رَسْلِي فَكُنْتُ الْمُقْدَمًا
وَلَكِنَّهُذَا الدَّهْرَ ثَانِي صَرُوفَهُ فَتَبَرِّمَ مَنَقُوضًا وَتَنْقُضَ مُبَرَّمًا

ثُمَّ نَهَضَتْ فَلَمَّا قَارَبَتِ الدَّهْلِيزَ قَالَ : يَا فَتِي ، أَرَأَيْتَ مَفْلُوجًا يَنْفَعُهُ
الْإِهْلِيلِجُ ؟ قَوْلَتْ : لَا ! قَالَ : فَإِنَّ الْإِهْلِيلِجَ الَّذِي مَعَكَ يَنْفَعُنِي ، فَابْعَثْ إِلَيَّ
مِنْهُ . قَوْلَتْ : نَعَمْ ! وَخَرَجَتْ مُتَعْجِبًا مِنْ وَقْوَفَهُ عَلَى خَبْرِي مَعَ كَتَمَانِي لَهُ ،
وَبَعْثَتْ إِلَيْهِ مَائَةً إِهْلِيلِجَةً .

قَوْلَتْ : إِذَا صَحَّتْ هَذِهِ الرَّوَايَةُ فَقَدْ يَظْهُرُ أَنَّ الْجَاحِظَ سَقَطَ خَبْرَ الْإِهْلِيلِجِ
مِنْ فَلَتَاتِ لِسَانِ الْبَرْمَكِيِّ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ ، أَوْ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَالَمَ كَذَّا يَصْنَعُونَ
فِي أَمْوَالِهِمْ خَوْفًا مِنَ الْمَصَادِرَاتِ ، وَإِلَّا فَالْجَاحِظُ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنِ ادْعَاءِ
عِلْمِ الْغَيْبِ أَوِ الشَّعْوَذَةِ .

٦

وَشَكَا يَوْمًا لِطَبِيبِ عَلَتِهِ قَوْلَ : قَدْ اصْطَلَحْتَ الْأَضْدَادَ عَلَى جَسْدِي ،
إِنْ أَكَلْتَ بَارْدًا أَخْذَ بِرْجَلِي ، وَإِنْ أَكَلْتَ حَارًا أَخْذَ بِرَأْسِي !!

٧

وَقَالَ أَبُو الْعَيَّاسِ الْمَبْرَدُ : عُدْتُ الْجَاحِظَ فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ : أَنَا مِنْ جَانِي
الْأَيْسِرِ مَفْلُوجٌ فَلَوْ قُرُضَ بِالْمَقَارِيْضِ مَا عَلِمْتُ ، وَمِنْ جَانِي الْأَيْمَنِ مُنْقَرَسٌ^(١)
فَلَوْ مَرَبِّي الْذَّبَابُ لَأْتَ ، وَبِي حَصَّةٌ لَا يَنْسِرُحُ لِبَوْلِ مَعْهَا ، وَأَشَدُ
مَاعْلَى سُتُّ وَتَسْعَوْنَ — يَعْنِي عُمْرَهُ .

٨

وَقَالَ أَبُو طَاهِرٍ : صَرَتْ إِلَى الْجَاحِظِ وَمَعِي جَمَاعَةٌ ، وَقَدْ أَسْنَ وَاعْتَلَ فِي
آخِرِ عُمْرِهِ ، وَهُوَ فِي مَنْظَرَةٍ لَهُ ، وَعِنْدَهُ ابْنُ خَاقَانَ جَارِهُ ، فَقَرَعُنَا الْبَابُ فَلَمْ
يَفْتَحْ لَنَا وَأَشْرَفْ مِنَ الْمَنْظَرَةِ وَقَالَ : أَلَا إِنِّي قَدْ حَوَقْلَتُ وَحَمَّلْتُ رُمَيْحَ

(١) مُنْقَرَسٌ : مَصَابٌ بِالْنَّقَرَسِ ; وَهُوَ داءُ الْمَفَاصِلِ ، وَيُسَمَّى بِالْعَرَبِيَّةِ : الرَّثِيَّةُ

أبي سعد ، وسقط الغنم^(١) فما تصنون بي ؟ !! سلموا سلام الوداع ؟ فسلمنا .
وأنصرفنا .

وما زال في علته هذه إلى أن وقعت عليه مجلدات العلم فقضت عليه .
رحمة الله . وذلك في نهاية سنة ٢٥٥ هـ و ٨٦٨ م

ولمّا مات وصل نعيه إلى قصر الخليفة في بغداد فأسف الخليفة المعتز
بإله^(٢) عليه أشد الأسف ، وقال ليزيد بن محمد المهلي^(٣) : يا يزيد ، ورد
الخبز بموت الجاحظ ؟ ! فقال : لاً مير المؤمنين طول البقاء ، ودوم النماء . . !!
ورثاء أبو شراعة القيسى^(٤) بقوله :

(١) حوقلت : استمدّت القوة من الله تعالى وأكثرت من قول لا حول
ولا قوة إلا بالله . لتابع المرض . رميح أبي سعد : هو رجل من العرب أسن
وحيث ظهره السنون فكان يستعين بالعصا . قيل لكل من شاخ : أخذ رميح .
أبي سعد . سقط الغنم : كنابة عن الانحناء هرما ، لأنّ ساق الغنم يكثّر
من طأطأة رأسه وقويس ظهره .

(٢) هو أبو عبد الله المعتز بن المتوكل على الله الخليفة العباسى ولد .
سنة ٢٣١ وتولى الخلافة سنة ٢٥٢ وخليمه الأتراك سنة ٢٥٥ هـ ومات في
هذه السنة . وله أحداث وغيره مع أخيه المستعين وغيره .

(٣) هو أبو خالد يزيد بن محمد المهلي : كان أدبياً شاعراً متفتاً . وكان
من أحسن نداماء الملوك والخلفاء . . نادم المتصّر وهو ولد عهد . ثم نادم
المتوكل ومن بعده إلى المعتز . وكان ذات حظوة لديهم وإثار . وقعت بينه وبين
عبد الصمد بن المعدل مشادة ومهاجة . وكان حسن السمر حلوا الحديث صاحب .
أخبار غزير الرواية بارع النادرة . وكان له مجلس بسر من رأى يحضره .
أفضل الأدباء وأكابر الشعراء .

(٤) هو أبو شراعة أحد بن محمد بن شراعة القيسى البكري البصري . شاعر من
شّعراء الدولة العباسية حيد الشعر جزله . وكان على تبديه في طبعه ولفظه .

فِي الْعِلْمِ لِلْعُلَمَاءِ إِنْ يَتَفَهَّمُوهُ مَوَاعِظُ
 وَإِذَا نَسِيْتَ وَقَدْ جَعَلْتَ عَلَى عَلَيْكَ الْحَافِظُ
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ الظَّرْفَ دَهْرًا مَا حَوَاهُ الْلَّاْفِظُ
 حَتَّى أَقَامَ طَرِيقَةً عَمَرُو بْنُ بَحْرٍ الْجَاحِظُ
 ثُمَّ اَنْقَضَ أَمْدُ بِهِ وَهُوَ الرَّئِيسُ الْفَائِظُ^(١)

فضيحاً بليغاً صاحب سائل وخطب، وكانت به لوثة وهو جمع سخاء وكرم.
 وكان يجود بما ملكت يده وما وسعته قدرته حتى ما كان يلقي شيئاً. وكان
 صديقاً لابراهيم بن المديري لا يكاد يفارقه في سائر أحواله ولا يمنعه حاجة يسألها
 إليها. ولا يشفع لأحد في شيء إلا شفعة. ولهم معه وهم غيره من الكتاب والولاية
 أخبار وأحاديث ونواذر حسان. مات في النصف الثاني من القرن الثالث للمigration
 (١) الفائظ : المائت . يقال : فاظ فلان، أي مات

الفصل الخامس والعشرون

في

خصائص الجاحظ وميزاته

١

كان الكتابُ، إلى ما قبل ظهور الجاحظ ، يمانيون متقارين ، في ضروب من العلوم ، وصنوف من الآداب ، وألوان من المعارف ؛ فكان كل واحد منهم يصرف همه وَ كُدْهُ، ويبذل قوته وجده، في الاختصاص بالضرب الواحد أو الضرب بين من أنواع العلوم ، أو يقف نفسه على الصنف أو الصنفين من طرائق الآداب ، أو يتوجه نحو الشعبة وما ينالها من ألوان المعارف . كأن يعد نفسه لأن يكون كاتبا في ديوان الخراج ، أو متسللا في ديوان الإنشاء ، أو يقوم بمحاجة بعض الأمراء ، أو يكون في أسباب أحد الوزراء . على أن يمازج هذه المؤهلات التي أعد نفسه بها ، شئ مما يدور حول عمله أو يتصل به من المعارف العامة . وكان إذا سمت همة أحدهم به إلى التطلع إلى شيء من العلوم والتوسيع في بعض الفهوم ، مما يكون كالشيبة والخلية إلى جانب صناعته التي اتسم بها ، فلا يكاد يudo في ذلك حد الشدّ، وتناول الأطراف ، دون التعمق والتحقق والنفوذ . اللهم إلا القليل منهم من كانوا يتسامون إلى الوزارة ، ويتطلعون إلى الصدارة ، أو من يرون الزيادة في المرفان زيادة في القدر والجاه ، وفي استئمام آلة التجمل والتشفف سببا إلى الكمال . وكانت المادة التي يكتون بها معارفهم ، ويرثون بها معلوماتهم ، لا تكاد تخرج عن حد الحفظ لكتاب الله الكريم ، وما ثبت لديهم من أحاديث نبيه ، صلوات الله عليه ، واستظهار الجيد من كلام الخلفاء الراشدين

وخطبهم الجامعه ، ولا سيما خطب الإمام على ورسائله البليغة وكلماته البارعة . مضافا إلى ذلك القطعة الصالحة من الشعر الجاهلي ، وكلام الأعراب في بواديهم ، والإسلام بفطنهن ومقاؤلاتهن في نواديهم . بعد أن يكونوا أحكموا أبواب النحو والصرف ، وعرفوا أساليب اللغة واشتقاق ألفاظها وإجاده التعبير بها . أما إذا أضاف أحدهم إلى ذلك كله شيئاً من العلوم والأداب التي استُخدِّمت في المعرفة العربية : كالمنطق والفلسفة، ووقف على حركات الفلك وأصول الهندسة ، وعلم من الطب ووظائف الأعضاء كفايته ، وشدة من الموسيقى وضوابط النغم غايته ، عدَّغرَة شادخة في جبين أهل الصناعة ، وصار إماماً يُرجع إليه في عظام الأمور ، ويُعتمد عليه في تصريف جلائل الشؤون . أما الحساب والجبر وما إليها فكان لابد منها لكاتب المراج وعامل الصدقات ، وصاحب ديوان الضياع والنفقات ، وللقائم على المظالم والمؤامرات

٣

فلمَ ظهر الجاحظ واستحكمت له مواهبه ، لم تقف به همته عند إحدى تلك الفيالات التي بلغ إليها أكابر الكتاب من تقدمه أو عاصره . فإيشاً أن يتخصص كما تخصصوا ، ولم يُرُد أن يتميز بالأنواع التي بها تميزوا ، بل حمل نفسه على أن يبزهم جميعاً ، وأن يجعلهم يستذدون وراء خطوه إذ يمشي على مهل . فثاء ، أن يكون صدره دائرة معارف تحيط بأكثر ما عرف من علوم الإنسانية وأدابها حتى عهده . وأنت إذا رأدْتَ نظرك في ثبتَ ما خلَّفَ من مصنفات ؟ أخذك الدَّهَشُ ، وتعلَّك العجب ؟ لا إنك تراه لم يكدر يترك عالماً معروفاً في زمانه لم يضع فيه مؤلفاً . ولم يدع فناً لم يكتب فيه مصنفاً ، وقد يكون هذا المصنف أو ذاك المؤلف ، رسالة موجزة ، وقد يكون سفراً متعدد المصاحف والأجزاء . على أنك إذا قرأت له كتاباً ، أو تصفحت له رسالة ، فيما أجري فيه قلمه من شعب العرفان ، حسبت أنه الواضع لهذا العلم أو ذاك

الفن الذى تردد نظرك فيه ، وخرجت منه ملؤ النفس قوى اليقين بأنه قد لا يحسن سواه . وقد يلمزه بعضهم بأنه كان كثير الاستطرادات ، كبير التهافت على الاستشهادات ، يحشد بها كتبه ، ويفخم بها أسفاره ، ولو لا هذا لكان أقل مما هي عليه . ! وليس الحال كذلك ، ولا الأمر على ماذهب إليه ذلك اللامز ، ولكن هذا الحال، إن دل على شيء ، فإنا يدل على سعة اطلاع الجاحظ . وعلى تبحره في معارفه؛ وعلى حفول صدره بشئ المسائل والمعلومات على أن هذا النوع من مؤلفاته الكبار إنما وضعه ليكون مدرسة للطلابين ، ومعلمة للدارسين . وهل كان العالم الإسلامي ، بسائر أقطاره ونواحيه، إلا جامعه يلقى فيها الجاحظ دروسه وثقافاته على طلابها بواسطة مؤلفاته !! وهذاما كان يطلع له كتاب ، على أي بلدى أي صقع ، إلا بادر العلماء إلى نسخه ومناقلته ، وعقد المجالس لتفهمه ومدارسته . وإلتقدم الملوك والأمراء إلى تزيين مخالفهم بالنظر فيه ، وترديد عباراته ومعانيه ، وتجهيز خزاناتهم بمحظه والتتحقق به . ولقد حاول كثير من العلماء وأهل الأدب تلخيص بعض كتب الجاحظ وتحريدها بما بها من الاستطرادات ، وما حوت من الاستشهادات ، فكانت تذهب منها تلك الروح التي يحس بها القارئ ، متلازمة من تحت كل كبة ، وفي خلال كل فقرة ، وكانت تتلاشى تلك الاطياف الجاحظية الساحرة التي يستشعرها الناظر المتصفح متجلية متوثبة في اطراد المعانى وتسلسل الأفكار . فنهم من كان يعدل عن التلخيص غيره على هذه الاطياف ، واستبقا ، لتلك الروح . ومنهم من كان يمضى في تلخيصه ، فيخرج وإذا بالملخص في يده جنة هامدة .

٣

وهل وقفت عبقرية الجاحظ عند حد إتقان المعارف العامة والثقافات الشائعة على تنوعها حتى عهده ؟ كلا ، فما كانت همه تعرف شيئاً من الحدود في العرفان ؟! من أجل هذا عرضَ لكثير من المسائل التي لم يفكر فيها أحد

غيره، وفتح للناس أبواباً كثيرة في أمور شتى لم يكن من تقدمه من العلماء والكتاب وأهل الأدب يحسبونها مما يدخل في صنوف الآداب . فكان من بين كتاب العربية أول من بحث في طبائع الأشياء كالحيوان والنبات والمعادن ، وأقام أركان بحثه واستقرأه على المشاهدة والتجربة والاختبار . ورحل في سبيل تحقيقه العلمي والطبيعي إلى كثير من الأقاليم والأقطار . وهذه الطريقة هي مخربة علماء أوروبا وأمريكا وإنجلترا في هذا العصر . وهو أول من كتب رسالة ملؤها السخرية والاستخفاف، وحشوها الجدل المزوج بالمزلل ، وسداها الافتنان في الأسئلة المبهمة ، ولحمتها التعجيز في المحن المكشطة ، كرسالته إلى صديقه أحمد بن عبد الوهاب الثقفي التي دعاها « التربيع والتدوير » فهي بكر في شأنها ، فريدة في باهها . وقد حذنا الكتاب من بعده جذوه فيها ، وترسموا خطاه في أغراضها ومعانيها : فوضع أبو بكر الخوارزمي^٢ الكاتب رسالته إلى أبي الحسن البديهي^٣ ، ووضع أبو الحسين أحمد بن فارس على ضوئها أصول فن المقامات ، وعنه أخذه أبو الفضل بديع الزمان المهدناني^٤ ، ثم توسع فيه أبو القاسم الحريري وذهب فيه كل مذهب ، كما أنثأ ابن زيدون^٥ بمن رساناته على هذا النهج . ودرج الكتاب من بعدهم في هذا الباب .

٤

وهو أول من شفَّ له الحجاب فرأى في مخالفات العامة وعاداتهم ، وفي تقاليدهم ومعاملاتهم ، وفي أحadiثهم وأسمائهم ، فنا يستروح الخاصة به ، ويرى العلية^٦ فيه جاماً من كدهم في جدهم ، كما رأى فيما تصالحوا عليه من التعبير عن خوالج نفوسهم ، وما تنبض به قلوبهم من الأماني والأمال ، ما يصح تقيده والتفككه به ، والاعتبار بوجوه العبرة فيه ، والاستفادة مما

قد يفيد من نواحيه . وهو أول من استباح لنفسه التندر بالأصدقاء . والإخوان ، تارة بالتلطيخ وذكر الصفات ، وأخرى بالتصريح وإبانة السمات . قيد عليهم أنفاسهم ، وخلد غرائب أطوارهم وعجائب تصرفاتهم ، وشواذ أغراضهم ، وعرض لاخذهم بأغلاطهم وفلتان ألسنتهم ومساوي أعمالهم . وقد يجا به من شاء منهم بالنقد واللذع والتجریح ، غير عابئ بتعبرهم ، ولا معتد بلاتهم . وماذا كان يبلغ منه هذا العتب ، أو يصيبه من هذا اللوم ؟ إن ما أورته من قوة الحجة ، وما اختص به من براعة البيان وعزّة البرهان وشدة الاسن كفيل برد عادية العادي وسطوة المهمجم . وهو أول من وضع كتابا في فكرة من الفكر أوفى رأى من الآراء . ثم تقضه بكتاب آخر . توسعًا منه في البلاغة ، وتقينا في البراعة . أو رجوعاً إلى مظنة الحقيقة التي قد يكون استبهم عليه سبليها في أول الأمر ، وإشاراً للصواب . ولم يكن هذا النوع من المؤلفات التي يراجع نفسه فيها ، يعدو صنف الآراء والنحل والأهواء . وهو أول من ألف في الأمور المتناقضة ، وأقام سوق الجدل بين الأشياء وال الحالات المتعارضة ، وابتدع من المعانى مالا يُطنّ أن يحتمل إلا المعنى الواحد ، فقد قالوا إنه صنع رسالق « مفاخرة المسك والرّماد » وأنت تسائل نفسك : ماذا عسى أن يكون في الرماد من معانى الافتخار ، حتى يدل بها على المسك ، وينافره بيئتها وشواهدها ؟ ! وهو أول من وضع الكتب والرسائل في المعانى والأغراض الغريبة عن متناول أفكار الكتاب . كقوله في طبائع « البخلاف » وفي « حيل اللصوص » وفي أحوال « المُكَدِّين » وفي أصحاب العاهات الخلقية : كالحول والعور ، والمرجان ، والبرصان ، وكذلك في ذوى العاهات الخلقية : كالسكيرين ، والزنادة ، والطفيلين ، والقصاب ، وفتیان السوء .

وقد عَزَّبَ الرأى عن بعضهم حينما اطلع للجاحظ على بعض هذه..
الكتب فغمره في دينه ، ورماه في اعتقاده ويقينه ، وظن أنه رجلاً متساهلاً
في حقوق الله قبله ، متسامحًا في أوامر رب ونواهيه ، وربما أجراء بعض
خصومه مجرى، الزناقة وأهل الإلحاد، حتى يقولوا عليه أقاويل فيما يخطر له ببال..
ولا ورد منه في خاطر . وكيف يصدق فيه قول هؤلاء الخصوم الذين لا يريدون
وجه الله في خصومتهم ، وهو أول من وضع كتاباً أقام فيه الحجة التي لا تندفع ،
والبرهان الذي لا يرد ، على أن نظم القرآن معجز؟! حتى صار هو بوضعه هذا الكتاب-
إماماً في أمر الدين وفي صحة العقيدة ، وحتى قال بعض الأفضل : إن ..
الدليل على إعجاز القرآن إيمان الجاحظ به ... !! والحق الذي لا مراء فيه ..
هو أن الجاحظ كان قوى الإيمان ، ولكن إيمان الراسخين في العلم ..
الثابتين في الفهم . وكان شديد الاعتقاد ، ولكن اعتقاد الخاصة من ..
العارفين . فما كان يرى في السلف ما يراه غيره من التقديس ، ولا يعتقد
فيهم ما يعتقد العامة وأشباه العامة من العصمة والتنتزه . فليس عنده ..
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الصحابة والتابعين ومن تلاميذه من ..
تحب له العصمة من الخطأ والزلل ، أو من بعدَ به طبعه عن مواطن الخطأ ..
وما هم ، في الحق والواقع ، إلا من أبناء آدم ، ركب في طيائتهم ما ركب ..
في طيائمه أبناء هذا الشيخ كافة ، من المطامع والشهوات . فخائز عليهم كل ما يجوز ..
على الناس جميعاً من نوازع الشر ، وفواجل الخير ، ودوافع الفضل ، وعوامل ..
النقص . وكل ماتتعلق به النفس البشرية من مطالب هذه الحياة ..

بارزة في كل ما أُجْرِي به قلمه ونضحت به قريحته . فإذا تناولت لهأى كتاب أو أية رسالة ، وأخذت في القراءة والمذاكرة والتصفح ، لاتثبت أن ترى هذه الشخصية القوية مطلة عليك من خلال السطور ، ومن بين حروف الكلمات . فلا تزال معها في سحر مطرب ، وحديث معجب ، حتى تضع الكتاب من يدك . ومن مزاياه في أسلوبه الذي تفرد به ، ذلك الطابع الخاص الذي استثار بكل كلمة من كلماته ، وشاع في كل جملة من جمله وعباراته ، وذلك أنه يسط لك العبارة ويرفق من حواشيه حتى لتظن أنه قد أسف بها ، وأنه هبط عن مستوى البلاء في تحبيرها ، فإذا تأملتها فضل تأمل ، ثم حاولت احتذاءه فيها ، رأيته منك في ذؤابة الثريا وفي مناط العيوق . وهذه ميزة قد اختص بها من بين جميع الكتاب ، حتى إنه صار بها رأس مذهب في الأدب ، كما هو رأس مذهب في القائد . فيقال في الأساليب العربية ، إذا كانت قد بلغت أعلى طبقات البلاغة ، وأسمى منازل البيان ، وكانت واضحة المعاني ، سهلة الألفاظ ، تقية الكلمات : هذه عبارة جاحظية . ويقال في الرسالة جمعت حُر الكلام إلى التبسيط في المعانى ، وكانت كثيرة الافتنان ، آخذة فيها الموضوعات بعضها بذوائب بعض ، يتنقل فيها القارىء من فن إلى فن ، ومن لون إلى لون ، ومن معنى مولد إلى معنى مبتكر : هنا أدب جاحظي . وله في هذا المذهب أنصار وأتباع ، وتلاميذ وأشياخ ، ظهر منهم رجال كانوا في أعصارهم أئمة البلاغة وزعماء الفصاحات ، وفحول البيان . وكان منهم الأمراء والوزراء ، والساسة والكتاب ، والساسة والرؤساء ، وما من كاتب منذ عهد الماجحظ إلى الآن إلا ولما جحظ في عنقه منه معقودة ، أو يد مبوسطة ، أو قمة سابقة . ولقد صدق القاضي الفاضل في قوله : « مامنا معашر الكتاب إلا من دخل من كتب الماجحظ الحاره ، وشن عليها الغاره ، وخرج وعلى كتفه منها كاره »

أما خصائصه النفسية ووجهات نظره في الحياة ، فقد كان على ما ظهر منه ميلاً بطبيعة إلى التخلل من القيود التي تتف بأمثاله ونظراته من معاصريه عند مقتضيات التقاليد وموجيات العادات . فيو لم يشاً اتخاذ زوجة تشاركه بأداء الحياة وضرأها ، بل انصرف إلى اتخاذ الجواري والفتيات يتسرى بهن بما تطيب بها نفسه ، ويصبو إلهاها حسه ، يمسكها ما استقام أمرها معه ثم هو في حل من أن يتركها في خدمته وقضاه إربته ، أو إذا شاء دفعها إلى السوق وجاء بغيرها . والسوق هن زاخرة ، والأموال لديه حاضرة . وقد كان عقلاً ، فلم يعرف أنه ولد له ولد ، أو أعقب ذرية مدى حياته الطويلة . ولست على رأى القائلين بأن العباقة من أصحاب الدعوات العامة أو الخاصة وزعموا الأمة وعظماء الناس من القادة والرؤساء ، وال فلاسفة والحكماء ، وأكابر أهل الأدب وخول العلماء — من صرفوا جهودهم الجباره وتفوقوا على من عداهم في القيام على ما اختصوا به ووقفوا قواهم ومواهفهم عليه من جلائل الأعمال وعظائم الأمور في الحياة العاملة أو المفكرة — قلما ولدوا الأولاد أو أعقبوا الذرية . وإن جاء أحد من هؤلاء بأولاد أو أعقب له أخلاقاً فقلما جاءوا صالحين للحياة :

ويذهب أصحاب هذا الرأي في تأييد رأيهم إلى ضرب الأمثال والاستشهاد بأسماء بعض هؤلاء العظماء ، حتى ليكادون يحملون المقام طباعاً في هذا النوع الممتاز من الناس . ولكنني أحسب أن المقام لم تختص به طائفة من الناس دون غيرها ، رقت هذه الطائفة أو دنت ، سمت على سائر الطوائف الإنسانية أو حبت معها في مدارج الحياة . ولا هو طبيعية في طبقة منهم عارض في سواها . وما هو إلا أمر شائع فيهم على السواء . وأنت إذا لمسته في العالية

والحاماً ، وجدته ظاهر الأثر في السفلة والعامه ، مقيساً بنسبه ومقاديره .
والأصل في الإنسان أن يكون ولوداً ، ما استوى خلقه وحسن تقويه وتم
تركيبه . وما العُقم إلا عارض يحدّثه التقص في تركيب بعض الأعضاء
وعدم انتظامها في تأدية وظائفها .

وقد يكون هذا التقص حاصلاً على التخلق والتسلكون . وقد يأتي حادث الباب
من الأسباب الظاهرة أو الباطنة . والناس في هذا سواسية لا يمتازون
فيه عظيم على حقير ، ولا يختص به كثيرون دون صغير . والقائلون باختصاص
العباقرة بمن بين الناس كافة ، حينما رأوا العُقم ظاهراً فيهم ، ظنوه وفقار عليهم
وحسبوه من دلائل بطولتهم ، ومن علامات نبوغهم ، ومن آيات ظهر
العبرية في مواهبهم ، مع أنه لاصلة هناك بين العُقم وبين السمو في معارج
الكمال البشري . وما الأمر في واقعه إلا أن العظماء من ذوي الموهب والأخطر
في كل أمة وفي كل جيل ما هم إلا أفراد ظاهرون ، وشرذمة قليلون .

وما مثل العظماء في أمّهم وأجيالهم إلا كالنارة في وسط المحيط الفاسد
تترامي أشعّتها اللامعة إلى الآماد فتجذب إليها أنظار السفار من كل صوب
لتكون لهم أمناً من غواصي الأقدار ، وما تكاد تقع العيون على أنسوائهما
أو تطلع هى على الحائزين بلا لائئها حتى تشيع منها في النفوس شائعة الطمأنينة
والآمن والسلام ، ولا تثبت أخيلة التفكير أن تتجه نحو دخيوط النور المسترسلة
من ذواقيها بختلف الألوان الآخذة بمعاقد الأبعار . فإذا افتقدوها في ليلة
دامسة ، وقد أصابها شيء من العطب الذي لا يُسلم عليه شيء في الوجود ، دفعهم
ما في صدورهم لها من إعجاب وإجلال ، إلى التظني بأن هذا الغريب من
المعاطب قلماً أصاب إلا نوع المنار ، وأنه من علامات ما فيها من رفعة وهداية
وازدهار . ومع هذا فإذا يكون قدر هذه الشكاة إذا هى قيست بما يكتنفهم .

أمواج كالجبال ، وأثاباج كالهضاب ؟ ! لاشك أنها في جانب ذلك كله لأنكاد تعد شيئاً مذكوراً . على هذا ترى العظيم في أمره وكل حالاته الطبيعية أو العارضة تعلن عن نفسها حتى لتوهم بعض ذوى التفكير أنها خاصة به وبكل عظيم مثله ، وإنها علامة عظمتهم وامتيازهم على الناس ، وذلك بخلاف ما إذا بدت تلك الحالات في عوام الناس وأغمارهم ، فهى على كثرةها فيهم وارتفاعها نسبتها بينهم ، لا يكاد يُعَنْ بها ، ولا يعمل حساب لشأنها ، ولا يلتفت إلى ما تحدث فيهم من آثار .

من أجل ذلك لا أرى مانعاً من القول بأن المباحث لم يلد لنقص كان به كما يعروه هذا النقص العقائد من الناس كافة ، وذلك بالرغم مما كان معروفاً به من قوة البنية وتماسك الخلق وشدة النية ، حتى ان الفالج حينما وقع به لم يخل بيته وبين التفكير والكتابة والتأليف . . . ! على أنني لم أقف له على رأى في علة إعراضه عن التزوج واكتفائه بالتسري . وهل كان يوجب الزواج أو كان يذهب إلى الامتناع عنه ! غير أن حالته التي درج عليها طوال أيام حياته تُبَيِّنُ عن أنه كان يؤثر التسرى ويرى فيه متعة ، كما يُخال أنه كان يرى في الزواج ربة .

٨

وكان المباحث يرى الاستمتاع بعلاء الحياة وأطايها ، ويطمع في أن ينال منها ما يمكن أن تصبو إليه أوسع النفوس البشرية أمالاً وغاية ، على أن يكون ذلك في حدود التعقل والإتزان ، مع التحفظ والتستر والابتعاد عن مواطن الشبه ، حتى لا تُهْمِز المروءة ولا تُهْمِز الكرامة . ولهذا لم يَرُد ولم يُرَأْ وأن أحداً من خصومه استطاع أن ينال من سمعته أو يطعن فيه بما يمحط من قدره

وكرامته . وقد كان خصوصه من قوة الاسن وشدة اللدد واضطfan الحفظ على أقوى جانب وأعظم منعة . فما قيل عنه أنه قارف إما أو ارتكب جرما أو اجترح ذنبنا . ولقد كان يعجب بأبي نواس ^(١) ويرى فيه قدوة في تناول متع العيش ، وفي مباشرة أسباب العيش والجهون ، إلا أنه كان يأخذ في اسمحها ، ويترك له أسمجها ، وينتاب من أفضلها في أعطاف النعم .

والحق أن عصر الملاحظ كان عصر الاستمتاع بكل ما تفتح به النفس الانسانية من أمنى وأمال ، ومن خير وشر ، ومن نقص وفضل ، ومن علم وجهل ، ومن استقامة واستهتار ، ومن نسك وفتاك ، ومن تقية واسترسال ،

(١) من أطرف ما يروى أن الملاحظ كان يقول : لا أعرف شعرا
يفضل قول أبي نواس :

ودار ندامى عطلوها وأدخلوا بها أثر منهم جديد ودارس
صاحب من جر الرقاق على الثرى وأضفاث ريحان جنى ويا بس
وابس حبس بها صحي خدلت عدهم وإلى على أمثال تلك لخابس
 ولم أدر من هم غير ما شهدت به بشرق سا باط الديار البساس
أقنا بها يوماً ويوماً وثانياً ويوماً له يوم الترحل الخامس
ندار علينا الراح في عسجدية جتها بأنواع تصاویر فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها مهی تدریها بالقصى الفوارس
فللخمر مازرت عليه جیوبها وللله ما دارت عليه القلانس
قال الملاحظ : فأنشدتها أبا شعيب القلال فقال : يا أبا عثمان ، لو نقر
هذا الشعر لطن . قلت : ويلك ما تفارق الجوار والخزف حيث كنت !!
قال الملاحظ : وقد أخذ أبو نواس قوله :

ولم أدر من هم غير ما شهدت به بشرق سا باط الديار البساس
من أبي خراش المذلي :
ولم أدر من ألق عليه قيصه سوى أنه قدسل عن ماجد محض

ومن إيمان وإلحاد ، ومن خطل وسداد . فكانت بغداد في ذلك الدهر ، أشبه بلندن وبارييس ونيويورك وبرلين وروما مجتمعين في هذا العصر ، فيها نزعات العقول ، ومراث الأرواح ، ومرايا العيون ، وشهوات النفوس ، وخلجات القلوب . غير أن الجاحظ كان يتناول شهوات نفسه ، وزناعات عقله ، ولذائذه قلبه ، في تعقل وتلطيف واتزان .

٩

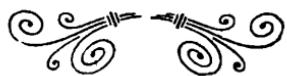
وكانت بالجاحظ أناية ، فكان يرى نفسه حقيقة بأن يستأثر بكل مافي الحياة من متع وجاه عريض ، ولا يرى غيره أحق بشيء منها ، فما لجأ إليه ذو حاجة إلا جعل لسانه حائلا دون قضائها ، ولا استعان به مستعين إلا كوى قلبه بحمر الخذلان . حتى لقد هبّى من خاصة أصدقائه على هذه الحالة . شر هجا ، ولأدري كيف كان كذلك وهو الذي ملأ كتبه بذكر الأجواد والسمحة ؟ وهلا كانت له قدوة حسنة بأحمد بن أبي داود ومكارمه التي غمرت كل رأيم وغاد ؟ والتي روى هومنها ما يحمله فوق أنداده من حضر وباد ؟ ! الظاهر أن تتبعه حركات البغاء واستطلاعه طبائعهم ، واستقصاءه أعمالهم وأقوالهم قد أثر فيه ذلك الأثر . والنفوس بفطرتها نزاعة إلى النقاد ، سريعة إلى اكتساب الرذائل .

١٠

وكان على ما يظهر ميالاً إلى المصانع والمداراة ، فكان يرى إرضاء العامة وأشباه العامة بما لا كلفة عليه فيه ؟ وإلا فما هذه الأحاديث التي ملأ بها كتبه ، والتي لا يمكن أن يظن ظان أن مثل عقل الجاحظ في قوة تركيبه وصحة تكوينه يتقبلها على أنها سليمة من الشوائب بعيدة من الأكذار ؟ أنا لا أرى لذلك .

من تعليل إلا إنه ربما كان يرمي بروايتها وحشد كتبه بها إلى مصانعة العامة وترضيهم عنه . لعله كان يقصد بروايتها إلى جانب أبحاثه الفائقة في العلوم والمذاهب والأداب ، أن تكون وسيلة إلى جذب النفوس إلى هذه الأبحاث والاستفادة منها في ظلها وتحت كنفها . وكل الرأيين جائز ومقبول حتى يقوم الدليل على صحة أحدهما ونفي الآخر .

هذا ما ارتأينا من خصائص الجاحظ ، وهي بلا شك شذور من مزاياه . أما الالمام بالله من صفات ، أو استيعاب ماله من مناقب وسمات ، خامر فوق متناول الأيدي والأقلام .



وقفة

يقول حسن بن أحمد بن محمد السندي، بعد حمد الله على توفيقه وشكره على عنایته التي شملنا بها منذ قدر لنا الوجود في هذه الدنيا : الى هنا أمسك من عنان القلم الذي جرى بنا في هذا الشوار ، من التحدث في أدب الماحظ ، والى هنا توقف به بعد أن جرينا به في هذا المضمار ، من الكلام في شؤون الماحظ . وقد كنا وعدنا في مقدمة الكتاب أن نثبت في نهايته فصلاً قائماً برأسه يحوي ما وقع اختيارنا عليه من رسائله ومقالاته وأرائه ومروياته . وإن نذيله بما عثرنا عليه من آثاره التي لم يسبق لها عهد بالنشر والذيع بالطبع . غير أنني رأيت أن أفرد هذا كله في سفر خاص باسم .

رسائل الماحظ

أجعله ملحقاً بهذا الكتاب ومتمهلاً . لأنني رأيت أن فصلاً واحداً يفرد له في هذا الكتاب لا يكفي لاستيعاب ذلك كله . والله الموفق إلى الصواب

حسن السندي

القاهرة في { ١٣٥٠ / ربيع الثاني سنة ١٩٣١ }

المصادر والمراجع

كتاب الحيوان	المجاخط	طبع مصر	سنة ١٩٢٦-١٩٢٧
كتاب البيان والتبيين	«بشرنا عليه»	»	»
كتاب البخلاء	»	»	»
مجموعة رسائل	»	»	»
ثلاث رسائل	»	»	»
تأويل مختلف الحديث	ابن قتيبة	»	»
مروج الذهب	المسعودي	»	»
الاغاني	أبو الفرج الاصلباني	»	»
الامالي	أبو على القاتلي	»	»
الامالي	السيد المرتضى	»	»
الامالي	الزجاجي	»	»
إعجاز القرآن	الباقلاني	»	»
الملل والنحل	الشهرستاني	»	»
الفرق بين الفرق	البغدادي	»	»
الأنساب	السعistani	»	لندن
الانتصار	الحياط	»	مصر
سرح الميون	ابن نباتة المصري	»	»
معجم الادباء	ياقوت	»	»
وفيات الاعيان	ابن خلkan	»	»
فوات الوفيات	الصلاح بن شاكر الكتبى	»	»
شرح لامية المجم	الصلاح الصدفى	»	»
طبقات الاطباء	ابن أبي أصييعه	»	»
زهر الآداب	ال المصرى	»	»
أخبار الحكماه	القطنی	»	»

طبع مصر	السيوطى	بغية الوعاء
»	»	حسن الحاضرة
دائرۃ المعارف البريطانية جزء ١٥ نمرة ١٢٦ الطبة ١١ سنة ١٩١١	عبد الرحيم العابسى	معاهد التصيص
طبع مصر	ابن قبیة	المعارف
»	ابن سلام	طبقات الشعراء
»	أبو زيد	النوادر
بيروت	الخطيب البغدادي	تاريخ بغداد
» مصر	المرزبانی	الموشح
»	ابن النديم	الفهرست
أبو بكر محمد الحسن الزيدی نسخة فتوغرافية بدار الكتب	طبقات اللغوین والنحاء	طبقات اللغوین والنحاء
» مصر	ابن طباطبا	الفخرى
بيروت	ابن العبری	تاريخ مختصر الدول
» مصر	المحضر في أخبار البشر أبو الفدا	المحضر في أخبار البشر أبو الفدا
»	الفصل في الملل والاهوا و النحل ابن حزم	الفصل في الملل والاهوا و النحل ابن حزم
جزء بن الحسن الاصفهانی	تاریخ سُنی ملوك الارض	تاریخ سُنی ملوك الارض
شہاب الدین احمد الابشیری	المستطرف	المستطرف
ابن السبک	طبقات الشافعیة	طبقات الشافعیة
محمد صدیق حسن خان ہادر	خیثہ الاکوان	خیثہ الاکوان
نوقل نعمة الله نوغل	سوستہ سلیمان	سوستہ سلیمان
منسوب لابی زید البلخی	البدہ والتاریخ	البدہ والتاریخ
أولطهر بن طاهر المقدس	شرح نهج البلاغة	شرح نهج البلاغة
ابن أبي الحدید	كتاب الوزراء والكتاب	كتاب الوزراء والكتاب
لابی عبد الله الجھسیاری	الروض الانف	الروض الانف
» مصر	السبیل	الألفاظ الفارسية المعرفة
»	أدی شیر	»
بيروت		

طبع مصر	الشهاب الحفاجي	شفاء الفليل
»	منسوب للجاحظ.	التاج
»	»	الحسن والأنداد
» مصر	رغبة الآمل من كتاب الكامل السيد بن على المرصفي	كتاب الحرثاج
»	لابي يوسف القاضي	نيسير الوصول
»	ابن الديبع الشيباني	المواعظ والاعتار
»	نقى الدين المقربى	معجم البلدان
»	ياقوت	مجلة المقبس
» دمشق	كرد على	نزهة الالبا . في طبقات الادب ابن الابناري
» مصر	للمؤلف حسن السندي	شرح المفضليات
الجواهرالمضيق في طبقات الحنفية أبو الوفاء القرنوى المصرى	طبع الهند	مقابل الطالبين
مقابل الطالبين	لابي الفرج الاصفهانى	فتحي البدان
» مصر	للبلاذرى	الفصول المختارة
»	لعيid الله بن حسان	الخين إلى الأوطان
طبع مصر	منسوب للجاحظ.	سلوة الحريف
» الاستانة	»	الأصابة
» مصر	لابن حجر	الأحكام السلطانية
»	للهاوردى	تاريخ الأمم الاسلامية
»	الحضرى	خزانة الأدب
»	البغدادى	

وهذا بخلاف مطالعات شتى في دواوين التاريخ وأسفار الاخبار وكتب الادب
ذهب عن الذاكرة عدها وإحصاؤها

فهرس

كتاب أدب الماحظ

صنعه المؤلف

عدد

- ١ الفهرس الأول بأسماء أعلام الرجال والنساء
- ٢ « الثاني » الكتب والأسفار
- ٣ « الثالث » الشعوب والأجناس والفرق والأشياء
- ٤ « الرابع » البلدان والأماكن والبقاع
- ٥ « الخامس في الترجم و التعليقات والحواشى
- ٦ « السادس في فصول الكتاب و مواده

الفهرس الأول

في أعلام الرجال والنساء

ابن الزيات - محمد بن عبد الملك الزيات	ابن اياس ٧٩ ابن بطلان ١٨٨ و ١٨٧	الآمدي - أبو القاسم - الحسن بن بشر
ابن زيدون ١٩٩	ابن التلميذ الطبيب ٧٢	الشيخ ابراهيم الاحدب ٥٤ ، ابراهيم الخليل عليه السلام ١٦٥ و ١٥٠
ابن سناء الملك - السعيد هبة الله - أبو القاسم بن الرشيد ١٣١	ابن تيمية - احمد بن عبد الحليم الحراني ٥٢ ابن الجصاص الجوهري ١٥٦	ابراهيم بن رباح - أبو إسحاق ١٨٣ و ١٨٢
ابن سينا - أبو على الحسين ٨٢	ابن حزم الاندلسي - على	ابراهيم بن سيار - النظام
ابن عبد الله ٥٠ و ٤٤ و ٤٨ و ٤٥	ابن احمد بن سعيد - أبو محمد ١٤١ و ١٤٠ و ٤٠ و ٤١	ابو اسحق ١٧ و ٢٣ و ٢٩ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦
ابن الحنفية ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥	ابن حدون النديم ١٨٨	ابراهيم بن العباس الصولى ٣٢
ابن المدبر - ابراهيم - احمد	ابن الحنفية - أبو القاسم - محمد بن علي ٩٦ و ٤٩	ابراهيم الفزارى المترجم ٢١
محمد	ابن خلدون ١٢٦	ابراهيم بن محمود ١٧١ و ١٧٠ و ١١٧
ابن المعز - عبد الله بن المعتز	ابن خلukan - احمد بن ابراهيم ٢٠	ابراهيم بن المدبر ١٩٥ و ١١٧
ابن مقصوم - محمد بن الحسن	ابن دريد الازدي - محمد	ابراهيم بك المولى الحنفى ١٤٢
العطار - أبو بكر ٧٥	ابن الحسن - أبو بكر ٧٦	ابن أبي صبيحة ١٤٣ و ١٤٢
ابن مندويه الاصفهانى -	ابن الروانى - أبو الحسين	ابن أبي الدطاب - محمد بن عبد الله ٢٩
أبو على - احمد بن عبد الرحمن ١٤٣	أحمد بن يحيى ١٠٧ و ١٠٥	ابن أبي الذيل المحدث ١٧١
ابن ناعمة الحصى - عبد المسيح بن عبد الله الحصى	أبي رضوان الطيب المصرى ١٣٧ و ١٢٠ و ١٠٩	ابن أبي نجح المحدث ١٥١
٨٥ و ٨٣	محمد بن احمد ٨٢	ابن الاخشاد - أبو بكر -
ابن النديم - أبو الفرج - محمد بن اسحق ٤٣ و ٤١ و ١٨	ابن رضوان الطيب المصرى ١٨٨	احمد بن على الاخشيدى
١٣٨ و	ابن الرومي ١٥٤ و ١٥٥ و ١٨٨	ابن اسحق - محمد بن اسحق
		صاحب السيرة ٧٦
		ابن الاعرابي

أبوالحسين—عبد الرحيم بن ١٠٧	سيار العقسى يمومت بن المزرع	٢٨٥	abin وهيل ابوأحمد—طلحة بن الم وكل
١٣٧ و ١٠٩ و ١٠٨	أبوالحارود—زياد بن المنذر		الموفق
أبوحنيفة الدينورى—احمد	البعدى	١٠٣	أبواسحق—ابراهيم بن رباح
ابن داود ٦٦٦	أبو جمفر محمد بن جرير		أبواسحق—ابراهيم بن سيار
أبوحنيفه النعمان بن ثابت الامام ٢٨ و ٥٥ و ٦١ و ٦٩	الطبرى	٩٦	— النظام
١٠٣ و ١٠٠	أبو جعفر—محمد بن عبدالله		
أبو حيان التوحيدى ١٨ و ٥٨	الاسكافي	١٣٥	أبو بكر—احمد بن على—
٧٣ و ٥٩ و ٦١ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٥	أبو جعفر المنصور ٢١ و ٢٧	٧٤ و ٤٠	الأخشيدى
أبوخراس الهمذلى ٢٠٦	أبو جعفر بن البهلوان القاضى		أبو بكر احمد بن على—
أبوخلف—سلام بن يزيد الأندلسى ٧٠	أبو حامد—محمد بن محمد الطوسى—الفزالي		الخطيب البغدادى
١٦٢	أبو حذيفة بن عتبة الانصارى	١٤٣ و ١٣١	أبو بكر—محمد بن زكرياء—
أبوركريبا—يحيى بن زياد— الفراه	أبو حذيفة—واصل بن عطاء		الرازى الطيب
أبوزيد.أحمد بن سهل البلخى ١٧٦ و ٦٧ و ٨٦ و ٦٧	أبو حرب	٢٩ و ٢٤	ابوبكر—عبدالله بن أبي داود
أبوزيد—سعيد بن أوس الانصارى ٢٨	أبوالحسن—سعيد بن مسدة	١٠٠ و ٩١ و ٩٠	ابوبكر الصديق
أبو سعيد—الحسن بن عبد الله—السيرافى ٦١	— الاخفش	١٢٢ و ١٢١ و ١٠٣	
٦٦	أبوالحسن—علي بن امساعيل		أبو بكر الصولى
أبوسعید . عبد الملک بن قریب — الاصمعی ٦٦	الاشعري	١٧٠	أبو بكر—محمد بن اسحق
أبو سليمان المنطقي ١٩٤ و ٤٦	أبوالحسن البديهى	١٩٩	أبو بكر—محمد بن الحسن
٢٠٦	أبوالحسن البرمكى	١٨٤	الطار—ابن مقسم
١٥٧	أبوالحسن—علي بن عيسى		أبو بكر—محمد بن الحسن—
١٩٣	الرماني		ابن دريد الأزدى
	أبو الحسن المداتى—على		أبو بكر—محمد بن الطيب
	ابن محمد	١٣٠	— الباقلانى
	أبوالحسين—أحمد بن فارس		ابو بكر—محمد بن العباس
	أبوالحسين—أحمد بن يحيى		— الخوارزمى ١٩٩ و ٩٦
	— ابن الروندى		أبو بكر—محمد بن موسى بن

أبو الفتح — أبو على بن أبي القراء	٨٧٨٥	أبو العباس احمد بن يحيى — نطلب
أبو القاسم . عمرو بن قلم	١١٠٥	أبو العباس السفاح ٢١
الفقيهي الكانى	١١٩١	أبو العباس — محمد بن يزيد
البغدادى — ابن النديم	١٣	المارد ١٩٣٥
أبو الفرج . نجاح بن سلمة	١٣	أبو عبد الله بن أبي بكر
أبو ذكريمة البصري	١١٥	الزير بن بكار
أبو لؤلؤة . فیروز	٢١	أبو عبد الله — محمد بن عمرو
أبو محمد — عبد الله بن حمود	٦٦	أبو عبيدة معمر بن المتن
الزيدي الاندلسي	٧٦	١١٣٥
أبو محمد — عبد الله بن مسلم		أبو العتاهية ٤٧
ابن قتيبة		أبو عنان — عمرو بن بحر
أبو محمد — علي بن احمد بن سعيد		الجاخط
أبو حملم محمد بن سعد السعدي		أبو عنان المازني ١١
الشيباني	٥٨	أبو على بن أبي قرة — أبو قرة
أبو مرند الفنو	٦٢	أبو على الجبائى ٩٨
أبو معاذ عبد الله التخوى		أبو على — الحسين بن عبد الله
أبو منصور . عبد القاهر	١٩١٦	— ابن سينا
ابن طاهر البغدادى		أبو على — احمد بن الرحمن
أبو منصور محمد بن احمد	١٣٦٥ و ١٣٠١ و ١٠٧	إبن مندوه الاصفهانى
الأزهري	٥٣	أبو على — عبد الرحمن
أبو موسى الأشعري	٩٨	اليسانى — القاضى الفاضل
أبو النجم — هلال الأنبارى		أبو على القالى ١٢٦
العارضى — الجاخط		أبو عمر بن الجباب ١٢
الثانى		أبو عيسى الوراق — محمد
		ابن هرون
		أبو العيناء . محمد بن القاسم
		اليامى ٢٧ و ٣٨ و ٧٦
		و ١١١٦ و ١٧١١

أبونصر محمد بن طرخان -	أحمد بن عبد الخيلم - ابن تيمية الحراني	أرسسطو و٢٢ و٧٧ و٨٢ و٨٥ و١٣٠ و١٨٨
أبو نواس ٢٠٦ و٢٠٧ -	أحمد بن عبد الرحمن -	أسامة بن زيد بن حارثة ١٢٢
أبو هاشم بن الجبائى ٤١ -	أبو على - بن مندوية الاصفهانى	اسحق بن ابراهيم الموصلى ١٣١
أبوهاشم - عبدالله بن محمد ٩٦ -	عبد الله	الاسكافي . أبو جعفر محمد بن ابن الحنفية ٩٦
أبو الهدىيل العلاف ٢٣ و١٧ و٦٩ -	أحمد بن عبد الوهاب ١٢٧	إسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ١٦٥
أبو هريرة ٢٥ -	أحمد بن علي - نقى الدين -	إسماعيل باشا الحديوى ١٤٢
أبوهفان البصرى - عبدالله ٧٥ و٣٩ -	أحمد بن على - أبو بكر -	إسماعيل بن بلال ١٨٨
ابن احمد المزرمي ٧٥ و٣٩ -	الاخشيدى	إسماعيل بن على: أبو سهل ١٥٧
أبو الوليد - محمد بن احمد -	أحمد بن على - أبو بكر -	إسماعيل بن غزوان ٤٦
ابن رشد	الخطيب البغدادى	الاسوارى - عمرو بن قائد
أبو يعقوب الحريمى الشاعر ١١١ -	أحمد بن فارس - أبوالحسين	أشجع السلمى الشاعر ١١١
أبويعلى - احمد بن طاهر ١٥٤ -	الشيخ احمد ماضى ١٧٧	الاشعري - أبوالحسن -
أبو يوسف القاضى صاحب	أحمد بن محمد بن عمر - شهاب	على بن إسماعيل
أبي حنيفة ٢٨ -	الدين - الحفاجى	الاصمعى - أبو سعيد -
أحمد بن إبراهيم - ابن خلkan	أحمد بن المدبر ١١٧	عبد الملك بن قریب ٩٢
أحمد بن أبي داود ١١٠ و٣٣ -	أحمد بن هلال الابيارى	و ١٢٢ و ١٦٣ و ١٦٣
١١١ و ١٢٥ و ١٢٥ و ١٨٠ -	أحمد بن يحيى - ابوالحسين	أعشى باهلة ١٢
١٨٣ و ١٨٨ و ١٨٣ -	- ابن الروانى	أفلاطون ١٣٦ و ٨٥ و ٨٢
أحمد بن الحسين - أبوالفضل	أحمد بن يحيى - أبوالعباس -	٨٤
١٤٥ و ٤٤ -	تعلب	الللاحقى ١٢٢
أحمد بن داود - أبوحنيفة	الاخشيدى - أبو بكر -	أم أيمن - بركة ١٢٢
الندنورى	أحمد بن على	أم رسول الله ١٢٢
أحمد ذكى باشا	الأخفش - أبو الحسن -	أميمى بن أبيى الصلت ٥٠ و ٥٠
أحمد بن سهل - أبو زيد	سعید بن مساعدة	أميمى بن قلع القفيمى ١٠
البلخي - جاحظ خراسان	الامين العبami	أمين افندى الخانجى ١٩
أحمد بن طاهر - أبويعلى	اردشير بن بابلk ٤٣ و ٥٠	أمين الدولة ابن غزال ١٨٧
		٣٢ و ٤٣

الباحث الثاني - أبو حيان	٢٤٣٢ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٠	أنس بن مالك الصحابي
التوحيدى - ابو الفضل	٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩	انس بن مدرك الحنفى
ابن العميد - أبو القاسم	٤٠ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥	أمين بن عبيد الانصارى
محمد بن عزيز المارضى	٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠	باغر التركى
جاحظ خراسان - أبو زيد	٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥	الباقلانى - أبو بكر - محمد
احد بن سهل الباعن	٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠	ابن الطيب ٥٤ و ٥٥ و ٥٦
جاليوس	٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨	١١٧
٨٢	٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣	البحترى الشاعر ٧٦ و ١٨٨
جيرائيل بن بختشوع	٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨	بركة - أم أين
جلال الدين عبد الرحمن	٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٥ و ٨٧	بره بنت أدبن طابخة
السيوطى	٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٥ و ٩٧	بره بنت مر بن أدبن طابخة
البهاز - أبو عبد الله - محمد بن	٩٦ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥	٧٩ و ٧٨
عمرو و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠	١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩	بشار بن برد ١٧٦
١٨٦	١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣	بطليموس صاحب المخطى ٢٢
جنادة بن عوف الفقىمى أبو	١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧	البلغى - أبو القاسم -
ثعامة	١١٩ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٤	عدالله بن احمد بن محمود
١٠	١٢٥ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٣٠	الكىوى
جهنم بن صفوان الترمذى	١٣١ و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٥	بقراط : أبو الطب ٨٢
١٣	١٣٦ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠	البيهقي ٤٥
جاجز بن عوف الازادى	١٤٢ و ١٤٤ و ١٤٦ و ١٤٨	تأبطة شرا - ثابت بن جابر ١٣
الحارث بن أسد المحاسى	١٤٩ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٥	نقى الدين احمد بن على -
١٥٣	١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩	المقرىزى ١٠٧
الحاكم المحدث	١٦٠ و ١٦١ و ١٦٦ و ١٦٧	ثابت بن جابر - تأبطة شرا
٤٥	١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤	ثابت بن قرة الصابى والحرانى
١٦٠	١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤	٦٢ و ٥٦ و ٦٥ و ٦٧
حبابة	١٧٦ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠	ثعلب - أبو العباس - احمد
١٦٠	١٨١ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٦	ابن يحيى
حبيب بن فهريز - عبدىشوع	١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٨٧	الجاحظ ٤٥ و ٥٥ و ٩٠ و ١١٠ و ١٣
٨٥	١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤	و ٢٢ و ٢٠ و ١٧ و ١٥ و ١٤
الحجاج بن محمد بن حماد	١٩٩ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨	حذيفة بن بدر الفزارى ١٤
٢٩	٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٠٦	حذيفة بن عبد بن فقيم -
ابن سلہ	٢٠٨	القلمنس ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٩

الحسن بن عبد الله — أبو	الخطيب البغدادي — أبو بكر	زهير بن أبي سلمى الشاعر ١٠٠
سعيد — السيرافي	أحمد بن على	زياد بن الأاصر ٩٣
الحسن بن بشر — أبو القاسم — الأمدي	الخفاجي — احمد بن محمد	زياد بن النذر العبدى — أبو الجارود
الحسن البصري ٦٤٦٥ و ٦٦٥	خفاف بن ندبة ١٢	زيد بن حارثة ١٢٢
٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧	الخليل بن احمد ٥٩ و ٦٠ و ٦١	زيد بن علي زين العابدين ٩٥
١٠٤	١١٤	سلمان بن مقلع مولى أبي حذيفة ١٠٢ و ١٠٣
الحسن بن خلاد القاضى .	خاليل بن أبيك — صلاح الدين الصഫى	سبان وائل ٦٤
١٨	الحسن بن سهل ٣٦ و ٨٣	السرى ١٧٤ و ١٧٥
الحسن بن علي أبي طالب ١٢٠ و ١٢٢	خوارزم شاه ١٨	السرى بن عبد ويه ٢٩
الحسن بن عمرو النجاشى . أبو محمد	الخوارزمى — أبو بكر — محمد بن العباس	سعد بن أبي وقاص ٢١
الحسن بن عبد الله — أبو	الحياط — عبد الرحيم بن محمد — أبو الحسين	سعید بن أوس — أبو زيد الانصارى ٢٢
الحسن بن محمد الانبارى ، الدارقطنى ٤٥	داود بن عمر بن هيرة ٤٣	سعید بن التلبيذ ٢٢
أبو على ١٧٢	داود النبي عليه السلام ١٢٢	سعید بن مسعوده — أبو الحسن الاخفش ٣٦ و ٣٣
الحسن بن موئى النخمي ١٣٥	عبد بن علي الحزاعى ١٥١	السعيدة به الله — أبو القاسم ٤٧ و ٤٦
الشيخ حسن الموارى ١٧٧	ذكرويه القرمطى ١٥١	ابن الرشيد — ابن سناء الملوك ٨٢ و ١٥
الحسين بن وهب ١١٣	ذوالرئاستين — الفصل بن سهل	سلامة ١٦٠
الحسين بن عبد الله — أبو	الرازى الطيب — أبو بكر	سلمان ١٦٠
علي — ابن سينا	محمد بن زكريا	سلمان عمر والخامس الشاعر
الحسين بن علي بن أبي طالب ١٢٢	الرمانى — أبو الحسن على	٤٧ و ٤٦
حفى بك ذا صاف ٧٩	ابن عيسى ٧٣	سلمويه الطيب ١٨٨
حزة بن عبد المطلب ١٦٢	الزبير بن بكار — أبو عبدالله	السليلك بن السلامة ١٢
حزين بن اسحق العبادى ٨٤	ابن أبي بكر ٧٨	سلیمان بن داود عليه السلام ١٢٢
خاقان أبو الفتح ٣٠	زبيبه أم عنترة ١٢	سلیمان بن برمل ١٦٣
خالد بن برمك ٣٢	زفر بن الحارث ١٢	خالد بن عبد الملك المروزى ٨٥
المتحم	الرمخنرى ١٨١	سلیمان بن عبد الملک ١٦٣

منصور البغدادي	ابيك - الصفدي	سلام بن يزيد - أبو ختف
عبد اللطيف بن يوسف	٦٦ و ٨٣ و ١٤١	الأندلسي
البغدادي الطيب ١٣١	صول تكين	ستان الحصى ٤٨
عبد الله بن إياض ٩٣	الشيخ طاهر الجزائرى ١٥٣	سهل بن هرون ٣٥ و ٣٧ و ٤٣
عبد الله بن أبي اسحق	طاهر بن الحسين ٣٢ و ١٨٩	٤٤
الحضرمي . أبو بحر ٦٤	طفيان جارية ال جمفر ٤٧	الهيلى الاندلس - أبو
عبد الله بن أبي داود السجستاني .	طلحة - أبو أحمد - الموفق	القاسم - عبد الرحمن
— أبو بكر	ابن التوكل	ابن عبد الله ٧٨
عبد الله بن احمد المهزمى -	عائشة أم المؤمنين ٤٨ و ٤٩	السيد الحميرى الشاعر ١٦٨
أبو هفان البصري	عاتكة بنت يزيد بن معاوية	السيد بن على المرصفي ٢٩
عبد الله بن أ Ahmad بن محمود	١٦٠	السيرافى - أبو سعيد -
- أبو القاسم البعلبكي الكعبى	عامر بن عبد قيس ٦٤	الحسن بن عبد الله
عبد الله ابن خازم السالمى ١٢	عبداد بن حذيفة الفقىمى ١٠	سيف بن ذى يزن ٩٧
عبد الله بن حمود الزيدى	١٢١ و ١٢١ و ١٢٢	النافى - محمد بن ادريس
— أبو محمد الاندلسى	العباس بن سعيد الجوهري ٨٤	شابة المحدث ١٥١
عبد الله بن الزبير ٩٢	العباس بن عبد المطلب ١٢٢ و ١٢١ و ١٢١	شجاع أم التوكل ٣١
عبد الله بن طاهر و ١٨٩ و ١٩١	العباس بن الوليد ١٦٣	شمس الدين - محمد بن
عبد الله بن عباس ٤٩ و ١٢٤	السلطان عبد الحميد ١٤٢	ابراهيم بن ساعد
عبد الله بن محمد بن الحنفية	عبد الرحمن بن عبد الله - أبو	الانصارى ١٤٤
— أبو هاشم	القاسم - السهيلى	العنقرى الازدى ١٣
عبد الله بن مسعود الصحابى ٤٢	الأندلسى	شهاب الدين - أحمد بن
عبد الله بن مسلم - ابو محمد	عبد الرحيم البىسانى - أبو	محمد بن عمر - الخفاجى
— ابن قتيبة	علي - القاضى الفاضل	١١٩ و ١٢٩ و ١٣٩
عبد الله بن المعتز و ١٥٤	عبد الرحيم بن محمد - أبو	الشهرستانى - أبو الفتح -
١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧	الحسين الحياط	محمد بن عبد الكريم
عبد الله بن المدقع . روزبه ٨٥ و ٤٣	عبد الصمد بن العذل ٤٦	الصالحين العادل الابوبي ١٨٧
عبد المسميع بن عبدالله الحصى .	١٩٤ و ١٨١ و ٤٧	صالح بن هلال الانبارى ١١٧
— ابن ناعمة الحصى	عبد المزيز بن مروان ١٢٢	صلاح الدين الابوبي .
	عبد القاهر بن طاهر - أبو	السلطان ٧٥
		صلاح الدين - خليل بن

١٦	عمر بن عيسى — أبو الحسن	عبدالملك بن قریب — أبو
١٦	— الرمانى	سعید — الاصمعى
١٢	علي بن محمد — أبو الحسن	عبد الملك بن مروان
١٢	المدائى	١٦٣ و ١٢٢
١٠	علي بن يحيى المتنجم الديم —	عبدان الحوى — أبو معاذ
١٠	أبو الحسن ٣١ و ٥٨ و ٥٩	عبيد الحزرجي الانصارى
١٠٩	الشيخ على يوسف صاحب	١٢٢
١٩١	المؤيد	عبيد الكلاوى ١٦٥ و ٥٨
١٩١	عمر بن الخطاب ١٠ و ١٢	عبيد بن حسان صاحب
٤٣	عيسى بن علي العباسى	الفصول المختارة ١٣٢
—	١٢٠ و ٢١ و ٦٢ و ٦٥ و ٦٧	عبد شيوخ — حبيب بن فهريز
٨٢	١٠٣ و ١٢٠ و ١٢١	عتبة بن غزوan الصحابى ٢٠
٧٩	الغورى سلطان مصر	عثمان بن عفان ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٣ و
٦	الفارابى — أبو نصر محمد	عدى بن أرطاة ١٦٣
٨١	بن طرخان ٨١	عاصد الدولة بن بويه ٥٤
١٢٢	فاطمة الزهراء بنت رسول الله	علي بن أبي طالب ١٧ و ٥٥ و ٤٦ و ١٧
١٢٢	أبو عثمان	١٢١ و ١٢٠ و ٩٨
١٤٢ و ٣٢ و ٣٠	عمر و بن الحمق الخزاعى ١٧	١٣٤ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٢
١٤٦ و ١٤٩ و ١٤١	عمر و بن حممة الدوسى ١٦	١٩٧ و ١٤٠ و ١٣٥
١٥٢ و ١٥٧ و ١٥١	عمر و بن سعيد الاكبر ١٦	علي بن أحمد بن سعيد ٦٧
٦	عمر و بن سيدا الشدق ١٦	— أبو محمد — ابن حزم
٦	عمرو بن الشريم ١٦	الأندلسى
٦	عمرو بن العاص ١٦	علي بن ابي اغيل — أبو الحسن
٦	عمرو بن عبد مناف — هاشم	— الاشمرى
٦	عمرو بن عبد العامرى ١٦	علي بن عيدة الرحىجى ٦٧
١٥١	عمرو بن عيد شيخ المعرلة	١٧٠ و ٦٨ و
٦٤	فرقد ٦٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦	علي بن عيسى الاسطرلابى ٢١
٦٤	فرازة جد الجاحظ ١١ و ٩٧	— أبو القلمس
١٣	عمرو بن قائد الاشوارى ١٧	
٤٣	عمرو بن قلع الفقيمى الكنانى	
	— أبو القلمس	

فیشاغور من	٨٢
القاضی أبو يوسف صاحب	٦٣
أبی حنیفة	٦٤
القاضی الفاضل - أبوعلی-	٦٥
عبد الرحیم الیساني	٦٦
٢٠٢ و ٧٥	٦٧
قتاده بن دعامة السدوی	٦٨
- أبو الخطاب ٩٧ و ٦٣	٦٩
فہم بن جعفر بن سليمان ٤٧	٧٠
قلع بن عباد الفقیی ١٠	٧١
القاسم - حذیفة بن عبد	٧٢
بن فقیم ١٠	٧٣
الکسائی	٧٤
کسری	٧٥
الکعی - أبو القاسم - عبد	٧٦
الله بن أحبد بن محمود البخنی	٧٧
المأمون العباسي ٢٣ و ٣٢ و ٥٣	٧٨
محمد بن اسحاق - أبو الفرج	٧٩
- بن النديم	٨٠
محمد بن اسحاق - أبو بکر	٨١
محمد بن اسحاق صاحب السیرة	٨٢
الدکتور محمد بدرا ١٠٥	٨٣
محمد بن الحسن العطار -	٨٤ و ٦٧ و ٣٦ و ٨٥
أبو بکر - ابن مقصم	٨٥ و ١٢٢ و ١٣٣ و ١٨٩
محمد بن درید الأزدی	٨٦
محمد راغب الطباخ الحلی	٨٧
عليه وسلم ٤٦ و ٢٥ و ٢٤	٨٨
محمد رسول الله صلی الله	٨٩
أبو بکر . یوت بن المزرع	٩٠
محمد بن المذبر ١١٧	٩١
أبو العیناء	٩٢
محمد بن القاسم الیامی -	٩٣
محمد بن منصور بن زیاد	٩٤
فی المسکر ١١١	٩٥
محمد بن عاصی ٤٤ و ٤٣	٩٦
محمد بن درید الأزدی	٩٧
محمد بن الحسن - أبو بکر -	٩٨
ماردة أم المقصم	٩٩
مالك بن أسماء الفزاری	١٠٠
المنتی	١٠١
التوکل على الله العباسی	١٠٢
ابن زیید ٢٩ و ١٩٣	١٠٣
البلحی	١٠٤
محمد بن حماد - الفزاری	١٠٥
محمد بن عمر - أبو عبد الله -	١٠٦
الجماز	١٠٧
محمد بن محمد الطویل -	١٠٨
محمد بن سلم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦	١٠٩
محمد بن عاصی ٧٨ و ٧٩ و ٨٠	١١٠
أبو حامد	١١١ و ١٢١ و ١٢٢
أبی حنیفة	١١٢ و ١١٩
أبی حماد	١١٣ و ١٤٢
أبی حماد	١١٤ و ١٤٩
أبی حماد	١١٥ و ١٥١
أبی حماد	١١٦ و ١٤٩
أبی حماد	١١٧ و ١٤٩
أبی حماد	١١٨ و ١٤٩
أبی حماد	١١٩ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٠ و ١٤٩
أبی حماد	١٢١ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٢ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٣ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٤ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٥ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٦ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٧ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٨ و ١٤٩
أبی حماد	١٢٩ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٠ و ١٤٩
أبی حماد	١٣١ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٢ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٣ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٤ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٥ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٦ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٧ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٨ و ١٤٩
أبی حماد	١٣٩ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٠ و ١٤٩
أبی حماد	١٤١ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٢ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٣ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٤ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٥ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٦ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٧ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٨ و ١٤٩
أبی حماد	١٤٩ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٠ و ١٤٩
أبی حماد	١٥١ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٢ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٣ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٤ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٥ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٦ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٧ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٨ و ١٤٩
أبی حماد	١٥٩ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٠ و ١٤٩
أبی حماد	١٦١ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٢ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٣ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٤ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٥ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٦ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٧ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٨ و ١٤٩
أبی حماد	١٦٩ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٠ و ١٤٩
أبی حماد	١٧١ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٢ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٣ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٤ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٥ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٦ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٧ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٨ و ١٤٩
أبی حماد	١٧٩ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٠ و ١٤٩
أبی حماد	١٨١ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٢ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٣ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٤ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٥ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٦ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٧ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٨ و ١٤٩
أبی حماد	١٨٩ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٠ و ١٤٩
أبی حماد	١٩١ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٢ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٣ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٤ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٥ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٦ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٧ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٨ و ١٤٩
أبی حماد	١٩٩ و ١٤٩
أبی حماد	٢٠٠ و ١٤٩
أبی حماد	٢٠١ و ١٤٩

- | | | | | |
|---------------------|--------------------------|-----------------------------|-----------------------------|-----------------------------|
| ٢١ | نوبخت المنجم | العتصد العباسى | ٤٠ و ١١٧ | محمد بن الطيب - أبو بكر - |
| ٥١ | المعتمد على الله العابسى | نوح عليه السلام | ٧٥ | الباقلاني |
| ١٣٢ | نور الدين بك مصطفى | ٦٧ و ١١٨ | ١٢٥ | محمد بن هرون . أبو عيسى |
| ١٣٩ | ١٣١ | معمر بن الأشعث | ١٢٥ | الوراق |
| ١٦٥ | هاجر أم اسماعيل | المغيرة بن شعبة | ٢١ | محمد بن زيد . أبو العباس - |
| ١٦٦ | هاشم بن عبد مناف . عمرو | مقاتل بن سليمان الخراسانى | | البرد |
| ١٦ | ١٠٠ | الازدي | ٠ | شحود بن عزيز العارضى |
| ١٨٨ و ٣٢ و ٢٨ | هرون الرشيد | المقدار العابسى | ١٨ | أبو القاسم |
| ١٢ | ٧٢ | المقتفى | ١٥٥ | حيي الدين بن العردى |
| ٤٠ | ٤٠ | المكتفى العابسى | ١٢١ | حيصة بن مسعود الصحابى |
| ١٢ | ١٢ | منظر بن وهب | ١٢١ | مرجليلوت الانجليزى |
| ١٢ | ١٩٤ و ٣١ | المتصر العابسى | ١٢ | مروان بن الحكم |
| ٥٧ | ١٠٣ | المهدى العابسى | ١٢٢ و ١٢ | مزبد المدنى . أبو سحق |
| ٣٢ و ٣١ | ١٦٣ و ٩٢ | المهلب بن أبي صفرة العابسى | ٦٤ | الستعين بالله |
| ٩٥ و ٩٤ و ٦٣ | ١٥١ و ١٥٠ | موسى عليه السلام | ١٩٤ | المسعودى المؤرخ |
| ١٠٤ و ١٠٣ و ٩٧ و ٩٦ | ٤٠ | موسى بن سيار الاسوارى | ٤٢ | ١٢٢ و ١٢١ و ١١٦ و ٥٩ |
| ١٥١ | ١٠١ و ١٠٣ و ٩٧ و ٩٦ | الموفق طلحة بن أحد بن | ١٣٤ و ١٢٥ و ١٢٨ و ١٢٥ و ١٢٤ | وكيع بن الدورقية |
| ١٢ | ١٥٦٧ | التوكل | ١٤٠ و ١٣٨ | مؤنس الخادم القائد |
| ١٦٣ | ١٥٧ | الوليد بن عبد الملك | ١٦٣ | سلمة بن عبد الملك |
| ٤٦ | ٤٦ | المولى الحلى - ابراهيم بك - | ١٠٣ | مسيلمة الكذاب |
| ٩٧ | ٩٧ | وهب بن منه | ١٢٠ | مصعب بن الزير |
| ٤٤ | ٣٣ | ياقوت الرومى | ١٩٠ | مصعب بن ذريق |
| ٦٨ و ٦٦ | ٩٢ | نافع بن الأزرق الحنفى | ١٣ | مطر بن أوفى |
| ١٢٥ و ١١٦ | ٧٤ و ٧٤ | نجاح بن سلمة - أبو الفرج | ١٢ | معاوية بن أبي سفيان |
| ١٥٨ و ١٤٥ | ١٢ | نجدة بن عامر الحنفى | ١٢ و ١٧ و ٩٨ | ندبة أم خفاف السلمى |
| ٢ | ١٢ | يجي بن زياد - أبو | ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ | النصر بن كنانة |
| ١٢٠ | ١١٩ و ٧٩ و ٧٨ | زكريا - الفراء | ١٩٤ | المعز بالله |
| ١٦٠ | ١٢٠ | النظام - ابراهيم بن سيار - | ٣٣ و ٣٠ | المعتصم العابسى |
| ١٦١ و ١٦٣ | ١٦٥ و ١١٧ | أبو سحق | ١٦٥ و ١١٧ | النعمان بن ثابت . أبو حنيفة |

يزيد بن محمد المهمي	١٩٤	يعقوب بن اسحق الكندي	٨٣ و ٨٥	يوحنا بن البطريرق	٧٨
يزيد بن المهاب	٢٢	الفيلسوف	١٢٦		
أبو خالد	١٦٣				
أبو خالد . هرون بن		يموت بن المزرع	١١ و ٤٧	يوحنا بن ماسويه	١٨٨
٢٨				يوشع بن نون زعيم يهود	١٧١ و ١٨١
				خير	١٢١



الفهرس الثاني في أسماء الكتب والأسفار

كتاب آل ابراهيم بن المدبر	كتاب أخلاق الامم. لا ^ب ي زيد	كتاب أخلاق الامم. لا ^ب ي زيد
في المكابنة للجاحظ	الباعي	الباعي
كتاب اى القرآن. للجاحظ	كتاب أخلاق الشطار.	كتاب اى القرآن. للجاحظ
رسالة إلى أبي الريح وجوابه.	للجاحظ	رسالة إلى أبي الريح وجوابه.
كتاب الابل. نسب للجاحظ	كتاب أخلاق الفتيان	كتاب الابل. نسب للجاحظ
للجاحظ	وفضائل أهل البطالة.	للجاحظ
كتاب إعجاز القرآن. للباقلاني	للجاحظ	كتاب إعجاز القرآن. للباقلاني
٥٦ و ٥٤	١٥٠ و ١١٨	١١٧ و ١١٧
كتاب أفعال الطبائع. للجاحظ	كتاب الأخوان . للجاحظ	رسالة إتم السكر. للجاحظ
١٢٠	١١٨	كتاب إحالة القدرة على الظلم.
كتاب افتخار الشتاء والصيف.	كتاب أدب الكاتب . لابن قديمة	كتاب الاحتجاج لنظم القرآن.
للجاحظ	١٢٦	للجاحظ
كتاب أقسام العلوم. لا ^ب ي زيد	كتاب الارتعاطيق	كتاب أحدونة العالم. للجاحظ
الباعي	كتاب الاستبداد والمعاورة	١١٨
٦٧	في الحزب. للجاحظ	كتاب الأخبار وآيات النبوة.
كتاب أقسام فضول	كتاب استطالة الفهم. للجاحظ	للجاحظ
الصناعات ومراتب التجارات.	١١٩	١١٨ و ١٠٨
للجاحظ	كتاب الاستطاعة وخلق	كتاب الأخبار وكيف تصح -
١٢٠	الآفعال. للجاحظ	كتاب الأخبار وآيات النبوة
كتاب أقليدس	كتاب الأسد والذئب .	كتاب اختصار كتاب الحيوان.
٢٢	للجاحظ	للغدادي
كتاب الامالي. لابن الاعرافي	رسالة في استنجاز الوعد.	كتاب اختيار السيرة. لا ^ب ي زيد
٧٦	١١٩	الباعي
كتاب الأمالي والذيل	كتاب الاختصار والمرأب	كتاب الاصادة. لابن حجر
والتوادر. للقالى	للجاحظ	٤٨ و ١٨١
١٢٦	١١٩	والصناعات. للجاحظ
كتاب الاماية على مذهب	كتاب الاصادة. لابن حجر	
الشيعة . للجاحظ		
١٢٠		
و ١٢٧		

كتاب البستان.للفتح بن خاقان	كتاب امامية بن أبي سفيان .للحاجظ
١٠٠	١٢٠
كتاب تفضيل صناعة الكلام.	كتاب إمامية ولد العباس .
للحاجظ ١٣٤ و ١٢٨ و ٥٥٩	للحاجظ ١٣٤ و ١٢١
١٣٨	رسالة في امتحان عقول الـ أولياء.للحاجظ
كتاب تفضيل صنعة الكلام-	كتاب الأمثال.للحاجظ
كتاب تفضيل صناعة الكلام	كتاب الأمصار.للحاجظ
كتاب التفكير والاعتبار .	كتاب الامل والمأمول .
للحاجظ ١٢٨	للحاجظ ١٢٤
كتاب تقرير مذاهب الشيعة .	كتاب أمير المؤمنين معاویه
للحاجظ ١٢٧	ابن أبي سفيان في الانتصاف من على بن أبي طالب وشیة الرافضة.
كتاب تقرير المتنزلة.للكعبی	للحاجظ ١٢١
٤٢	كتاب الناج.منسوب لـ الحاجظ
كتاب تنبیه الملوك والمکايد.	كتاب الانتصار .لـ الخیاط
منسوب لـ الحاجظ ٤٤	لـ ١٣٧ و ١٠٧
١٥٢	كتاب الانس والسلوة.
كتاب التهذیب فی اللغة .	لـ ١٢٥
٥٣	كتاب الانواع .لاب حینیة
لـ لازھری	الـ دینوری
٦٠	لـ ١٢٥
كتاب التوحید.لـ الخیل	كتاب الاـ وفاـقـ والـ رـیاضـیـاتـ.
١٣٢	لـ ٦٧
رسالة التربیع التدویر .ثلاث رسائل.لـ الحاجظ	كتاب البخارى .لـ تراـکـیـبـ
١٣٩ و ١٣٣	الـ اـصـوـاتـ لـ الخـیـلـ
جريدة الآداب.لـ الشیخ علـى	كتاب البخلاء.لـ الحاجـظـ
١٧٧	لـ ١٢٨
كتاب تصحیح الاخبار - یوسـفـ	كتاب تـفـاحـ لـ الحاجـظـ
كتاب الاخبار و اثبات	كتاب تـفـاحـ لـ الحاجـظـ
جريدة أبو زید .لـ المویـلـیـ	كتاب تـفـاحـ لـ الحاجـظـ
١٤٢	كتاب تـفـاحـ لـ الحاجـظـ
كتاب تصویب علـیـ فـیـ تـحـکـیـمـ	كتاب تـفـاحـ لـ الحاجـظـ
الـ حـکـیـمـ .لـ تـحـکـیـمـ	كتاب تـفـاحـ لـ الحاجـظـ
٦٢ و ١٧	كتاب تـفـاحـ لـ الحاجـظـ

رسائلة المؤيد . للشيخ على يوسف ١٧٧ و ١٧٦	رسالة الخلبة . للباحث على الشهاب
جريدة مصباح الشرق . للمولى حمودي ١٤٢	كتاب الحذير إلى الأوطان .
كتاب جهرة الملوك . للباحث ١٢٩	رسالة في ذم البدع . منسوب للباحث
الجوابات . للجوابات ١٢٦	كتاب حيل المكدين .
كتاب الجوابات . للجوابات ١٢٩	كتاب حيل اللادوص .
كتاب جوابات كتاب المعرفة . للباحث ١٢٩	رسالة في ذم النبيذ . للباحث
كتاب الجواد . للجواد ١٣٢	كتاب حيوان لارسطو .
كتاب الجواد . للجواد ١٣٢	رسالة في ذم الزنا .
كتاب خبر الواحد . للباحث ١٣٢	كتاب حيوان . للباحث
كتاب الجوادر الصبية ٥٠	رسالة في ذم الورقة .
رسالة في ذم الحساد والحسود . ١٢٩	كتاب خصومة الحول العور .
كتاب الحجر والنبوة . للباحث ١٢٩	كتاب الرد على من أخذ في كتاب الله . للباحث
كتاب حذف عطارة . للباحث ١٢٩	كتاب خلق القرآن . رسالة في الرد على الجهمية .
كتاب الحجاب . للحجاب ١٢٩	كتاب الرد على من زعم أن
كتاب الحجارة . للحجارة ١٢٩	كتاب الرد على من زعم أن
كتاب دعوة الأطباء . لابن بطلان ١٢٨	كتاب الرد على المشبهة .
كتاب الحجارة في ثبات النبوة . للباحث ١٢٩	كتاب الدلائل والاعتبار على
كتاب الحزم والعزم . للباحث ١٢٩	كتاب الحجارة . منسوب
كتاب حسن المحاضرة . للسيوطى ٨٠	كتاب دلائل النبوة . للباحث
كتاب حكاية قول أصناف الزيدية . للباحث ١٣٠	كتاب الرد على اليهود .
كتاب حكمتى على أن الإمامة فرض . للباحث ١٣٢	كتاب الدلائل على أن الإمامة فرض . للباحث
رسائلة البدع . للباحث ٥٤	رسائلة البدع . للباحث

كتاب الصيد والجواز. لابن أبي طبقات الأطباء . لابن أبي	٦
ابن خاقان	٣١
أصيحة	١٨٧
كتاب طبقات المغنين. للمجاحظ	
كتاب غشن الصناعات. للمجاحظ	
١٣٦	١٣٤
رسالة غفر السودان على طلاق المجالس. للشهاب	
اليفسان. للمجاحظ	
١٢٧	١٣٩ و ١٢٩ و ١١٩
كتاب الطفليين. للمجاحظ	
١٤٢ و ١٣٦	١٣٤
كتاب العالم وأباهل. للمجاحظ	
كتاب غفر عبد شمس ومخزوم.	
للمجاحظ	١٣٤
١٣٦	
كتاب العباسية . للمجاحظ	
كتاب شفر هاشم وعبد شمس.	
للمجاحظ	
١٣٦	١٣٤ و ١٢٣
كتاب العثمانية . للمجاحظ	
رسالة في فرط جهل الكندي.	
للمجاحظ	١٣٤ و ١٤١
كتاب الفرق بين الفرق .	
للمجاحظ	
١٣٦	١٣٥
كتاب العرب والعجم .	
للمجاحظ	
١٣٠ و ١٠٥ و	١٣٥
كتاب العرب والموالي .	
للمجاحظ	
١٤١ و ١٣٩ و ١٣١	١٣٥
كتاب فرق ما بين الجن	
والإنس. للمجاحظ	
١٣٧	
كتاب العرجان والبرصان.	
للمجاحظ	
١٣٥	١٣٥
رسالة في العشق والنساء.	
وأجلن. للمجاحظ	
١٣٧	
كتاب الفرق بين النبي والمتى.	
للمجاحظ	
١٣٧ و ٧٤	١٣٥
رسالة في المفو والصفح .	
للمجاحظ	
الفصل في الملل والأهواه	
للمجاحظ	
١١	١٣٥
كتاب علمه كشوف الشمس	
والليل. لابن حزم	
الفصول الختارة . لميد الله	
بن حسان ١١٩ و ١٣٢ و ١٣٣	٨٥
كتاب فضيحة المترفة . لابن	
كتاب الراؤندي ١٢٠ و ١٢٧	
كتاب في فضل اتخاذ الكتب.	
للمجاحظ	٧٦ و ٥٩
كتاب عيون الآباء في	
كتاب الصوالحة. للمجاحظ	١٣٤
رسائل الخوارزمي	٩٦
كتاب رغبة الآمل من كتاب	
الكامل . للمرتضى	
كتاب روح الحيوان . لابن	
سناء الملك	١٣١
كتاب الررض الانف .	
للسبيلى	٧٨
كتاب ريحانة الالمى . للشهاب	
الخفاجي	١١٩
كتاب الزرع والنخل .	
للمجاحظ	١٣٣ ، ٣٤
كتاب السلطان وأخلاق أهله.	
للمجاحظ	١٣٣
كتاب سلوة الحرير بمناظرة	
الشتاء والحرير . منسوب	
للمجاحظ	١٥٣
كتاب السنديهند	٢٢
كتاب سيبويه ١٦٦ ، ٧٦	
رسالة الشارب والمشروب .	
للمجاحظ	١٣٣
شرح الشفا. للشهاب الخفاجي	
كتاب شفاء الغليل . للشهاب	
الخفاجي	١١٩
كتاب الصراحه والهجنه .	
للمجاحظ	١٣٤
كتاب صناعة الكلام .	
للمجاحظ	١٣٤
كتاب الصوالحة. للمجاحظ	

كتاب نقض الطب.للحاجظ	منتخبات البيان والتبيين	١٢٦	مجمع الادباء . لياقوت .
١٤٢	منجم القرآن.للحاجظ	١٩	ارشاد الاربيب إلى معرفة
الرد على كتاب نقض الطب.	رسالة في من يسمى من	١١٦	الأديب ١٩ و٤٤
١٤٣	الشعراء عمرا . للاحاظ	١٩	مجمع البلدان . لياقوت
رسالة في نقض كتاب نقض	١٤٣	١٤١	كتاب المعرفة.للاحاظ
كتاب المال والنجل.للشہرستاني	١٥٠	١٤١	« المعلمین »
كتاب ابن مندویه	١٨	٢٢	« المفازی والسیر وأخبار
كتاب نوادر الحسن.للاحاظ	١٠٧	المبدأ.لابن اسحق	»
١٤٤	د. الموازنۃ.للامدی	١٨	د. المفیین والفناء والصنعة.
كتاب النوادر — كتاب	د. الموازنۃ والاعتبار	١٤١	للاحاظ
الأمالی والذیل والنواودر	للمقریبی	١٤١	د. مفاخرة السک والرماد.
لأمی على القالی	رسالة في وثبی حرب	١٤٣	للاحاظ ١١٤ و ١٤١
كتاب التوامیس . للاحاظ	الصفار البصری.للاحاظ	٢٠٠	« المقايسات ١٧ و ١٨ و ٦٢ و ٦٤
١٤٤	١٤٣	٧٤ و ٦٤	» مقاالت الاسلامین.
رسالة الهاشمية.لابن المقفع	رسالة في المیراث . للاحاظ	١٠٧	للاشعری
٤٣	١٤٣	٥٣	« مقامات البیدع
الرسالة الهاشمية للاحاظ	كتاب الناشی والمتلاشی .	٦٦	د. الملح والطرف للاحاظ
١٣٨ و ٥٩	للاحاظ	٦٦ و ٦٧	د. الملوك والامم السالفة
كتاب الرسائل الهاشمية	د. النبات . لابی حنفیة	١٤٢	والباقي للاحاظ
١٣٣	الدينوری	١٤٢	رسالة مناقب الترك.للاحاظ
كتاب الهدایا . نسب للاحاظ	د. الترد و الشطرنج.للاحاظ	١٤٢	كتاب مناقضة الجاحظ
١٥٨ و ٤٤	د. النصرانی والیهودی .	١٤٣	فضیلۃ الكلام.لرازی
كتاب وجوب الامامة.	للاحاظ	١٤٣	للاسکافی
١٤٤	د. التعز . للاحاظ	١٤٠ و ١٣٥	رسالة الیتیمة للاحاظ
كتاب الوعد والوعيد	كتاب نظم القرآن . لابی زید	١٤٢	
للاحاظ	البلخی	٦٧	
كتاب وفيات الأعيان وأباء	كتاب نظم القرآن —	١٤٦ و ١٣٦ و ١٤٢ و ١٢٧	
أبناء الزمان . لابن خلکان .	كتاب الاحتجاج لنظم القرآن		
٢٠	كتاب الوقف والابتداء		
كتاب نقض كتاب العثمانی.	كتاب نقض كتاب العثمانی.		
٧٦	للاحاظ		
كتاب الکلام لرازی			
١٤٤			
رسالة الیتیمة للاحاظ		١٣٨	

الفهرس الثالث

في الشعوب والاجناس والدول والفرق والأشياء

آل أبي طالب	٢١	نغلب	١٢	الرافضة	٦٤٠ و ١٠٣
آل الأهم	٤٣	تيم قريش	١٤	و ١٢١	١٣٢ و ١٢١
آل جمفر	٤٧	تثور ابن الزيات	١١٠	الراوندية	١٠٣ و ١٢٢
آل المدبر	١١٧	ثيف	٥٠	الرجعية	١٦٨
الاباضية	١٠٢ و ٩٣	المجاھطية الدينية	١٠٤	الروم	١٢١ و ١٠٣
الاخناف	٥٠	المجاھطية الأدبية	١٨	رثي بن عطفان	١٦٤
الازارقة	٩٣ و ٩٢	الجارودية	١٠٣	الزكانية	٩١
الاسبان	٧١	الجبرية - المجرة	٥١ و ١٣٥	الزنادقة	١٠٥ و ٢٠١
الأشعرية	٩٨ و ٥٤	الجهمية	١٠١	زعج البصرة	٦٧ و ٨٥
أصحاب المزيلة بين المزليين	٩٤	الحبشة	٩٧	الزيدية	٤٦ و ٩٥ و ٩٢ و ١٠٢
الاعزال - المزيلة	٩٤	الخشوية	٥١ و ٢٥ و ٢٤	١٣٢ و ١٣٠ و ١٠٣	و ١٧٧
الاكاسرة	٢١	الحامه	٥١ و ٤٨	السدات الوفائية	
الامامة	١٠٣ و ١٠٢	بني خزاعة	١٧	السريان	١٠٣
بنو أمية	١٢١ و ١١٣ و ١١٢	الخلفاء العباسيون	٢١	بنو سعد	٥٨
و ١٦٣ و ١٦١ و ١٦٠	أبو خلف كاب زيدة	٧٠	السلطانة العثمانية	١٧٧	
أهل الرأى	٦٩	الخوارج	٩٣ و ٩٢ و ٦٣ و ١٤	سلام كاب القراد	٧٠
أهل الربدة	٩١	الخوارج المحكمة	٩١	بنو سالم	١٢ و ٢٨ و ١١٧
أهل السنة	٩٥ و ٤٦	دولة آل عباس - الدولة	١١ و ١٤ و ٥	الشافعية	٥٠
أهل السواد فلاحو العراق	١٦٧	العباسية	١٢٥ و ٨٥ و ٦٧	الشعوبية	١١ و ١٤ و ٥
أهل الشورى	١٠٢	الدولة الأيوبيّة	٧٥	بنو شيبان	١٨٨
أهل العدل والتوحيد	٩٢	الدولة السلجوقيّة	١٥٤	الشيعة	٩٥ و ٩٦ و ١٠٠ و ١٠٣
البرامكة	١٩٢ و ١١١ و ٣٢ و ٣٠	الدولة المرؤانية	١٦٣ و ٩٢ و ٦٣	و ١٤٠ و ١٣٥ و ١٢٢	و ١٠٣
البربر	٧٢ و ١٣	الديك والغراب	٥٠ و ٤٨	الصحابة	١٢

صحيحة الرضاع و ٤١	القدرية ١٠١ و ٩٢ و ٦٣	٤٩
الصفيرية	القرامطة ١٥٨ و ٥٣	٩٣
الصين	قرن الشيطان ٤٩ و ٤٨	٧٥
الضفدع	قريش ١٠٣ و ٢٥١	٥١ و ٤٨
الطاهرية	قيس ١٦٢	١٩١ و ١٨٩ و ٤٢
بني عامر	كبد الحوت ٤٩ و ٤٨	١٢
بني العباس	الكتعيبة ١٤	١٢٢ و ١١٣
عبد شمس بن عبد مناف	بنو كلاب ١٢	١٣٠
العثمانية	كانة بن خزيمة ٧٩ و ٧٨	٤٦
العرب	كندة ١٣٦	٣٥ و ٢٧ و ٢٢ و ١٤
و ٤٠ و ٥٠ و ٥١ و ٧١ و ١١٥	البل لحم الاصداف ٨٠	١٦٩ و ١٣١ و ١٦٢ و ١٦٩
غنى	الجبرة ١٠١ و ١٠٠	١٦٢
فارس	المجسمة ٩٩	٥٨
بنو فاطمة	المرجعة ١٠٣ و ٩٥ و ٩٤	١٢٢
الفراغنة	المشهبة ١٠٠	٤٠
الفرس	مضر ١٦٢	٩٧ و ٥٨ و ٤٠ و ٣٢
بني فقم	المعزلة ٢٨ و ٢٤ و ٢٣ و ١٧ و ١٤	١١٥ و ١٠٣
	و ٤٠ و ٤١ و ٥٤ و ٥٥ و ٦٣	١٣
	و ٨٠ و ٦٩ و ٧٣ و ٧٤ و ٨٠	

الفهرس الرابع
في البلدان والأماكن والبقاء

٧٧	خنكس	بغداد — مدينة السلام	١٤٢ و ١٥٣	الآستانة
٢٨	خوارزم	٢١ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٨	٢١	الأبلة
١١١	خوزستان	٦٢ و ٦١ و ٦٠ و ٦٩ و ٧٠ و ٣٧ و ٣١ و ٣٠	١٥١ و ٨٢	أئتنا
١٢١	خير	١١٧ و ١١٦ و ٧٨ و ٧٧ و ٧٦ و ١٣١	١٦٠	أربد
١٥٧	دارابن الحصاص	١٥٩ و ١٣٦ و ١٢٣ و ١٢٠	٢٠	إربيل
١٧٢	ديق	١٨٨ و ١٨٤ و ١٨٣ و ١٨٢	١٢٦ و ٦٤	أرمينية
٣٥	دستميسان	بلصفورة	١٧٧	الأزهر
٩٢	دمشق	اللقاء	٧٧	إسطاغيرا
١٨٧	١٢٠ و ١٦٠ و ١٢٠	اليت الحرام	٨٢	اشبيلية
١٦٣	دهستان	تين	٥٧ و ٤٤	أصبهان
٩٢	دولاب	الجزيرة	١٠٢	اصطخر
١٨٧	ديار بكر	جزيرة بويا	٨٢	أفبنة
١٩١	ديار مصر	جرجان	١٧٢ و ٢١	الأنبار
٤٥	الدينور	حرة العقبة	٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢	الأندلس
٦١	الرصفة	جزيرة كوس	١٨٨	إنطاكيّة
١٩	الرقّة	الحجر الأسود	٣٨ و ٩٢ و ١٨٣	الأهواز
١٩	الروم	٤٩ و	١٩	أوربا
١١٩	الروملي	يوم الحديبة	١٦٣	بابل
١٢١	زمزم	حران	٨٢	بنخارى
٢٤	سجستان	الحرّة	٢١ و ٣٠	بدر
٧٠	سر من رأى	حلب	٢٢ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠	البصرة
١٩٤	١٥٩ و ١٨٩ و ١٩٤	حنين	٣٤ و ٣٣ و ٣١ و ٣٠ و ٢٧ و ٢٤ و ٢٤	
١٢١	سقيفة بنى ساعدة	حوش قوصون	٧٦ و ٧٠ و ٦٤ و ٦٣ و ٦٢ و ٦١	
١١٩	سلاميت	خراسان	١٢ و ٢٤ و ١٦٣ و ١١١ و ١٠٠ و ٩٤ و ٩٢	
١٩٢	السندي	و ١٧١ و ١٨٩	١٩٢ و	

٤٢	مرا كش	١٢٦	فاس	٣٠	سيحان
٢٨	مربيد البصرة	١٢١ و ٤٧	فشك	١٩١	الناذياخ
١٨٩ و ١٨	مزو	١١١	فارس	١١٣ و ٩٢ و ٢٠	الشام
٤٢	مصر ١١ و ١٧ و ٢٠ و ٣٢ و ٤٢	١٧٢	الفرما	١٦٠ و ١٢٨ و ١٢٣ و ١٢٠	
١١٩ و ١٤	١١٩ و ٧٩ و ٧٧ و ٨٢ و ٨٤ و ١١٤ و ١١٦	١٥٩	فم القاطول	١٦٣ و	
١٤٩ و ١٤	١٤٢ و ١٣١ و ١٢٦	٢٠	قاسيون حبل	٢١	الشراة
١٨٩ و ٨٨		١٢٦	قالي قلا	٤٩	الشعب
٧٧	مقدونية	١٧٧ و ٧٩ و ٧٥ و ١٠٧	القاهرة	١٠٥	شهرستان
١٢٠ و ٧٨ و ٧٤ و ٢١ و ١٢ و ١٢	مكة	٧٩	القرافة	٥٤ و ٢٤	شيراز
١٢١ و ١٢		١٢٦	قرطبة ١٤ و ٨٢	١٨٧	صرخد
٧٤	مني	١٢٦	القدسية	٩٧	صنعاء
١٨٧ و ٨٥	الموصل	١٩١	قصور الشاذياخ	٤٩	الطائف
١٩١	نيسابور	١٩١	قصور اليمان	١٢	الطبسيين
٨٢	همدان	١٢	قنسرين	٨٢	طوس
٦٣ و ٢٨	واسط	١٢٦	كليكية	١٦٧ و ٢٢	العراق
٨٢	لاريسا	٣١ و ٢٢ و ٢١ و ١٧	الكوفة	٧٤	عرفات
١٠٣ و ٩٤	اليامة	١٦٨ و ٧٦		٧٥	عسقلان
٩٧	اليمن	١٣٦ و ١٢٧	لندن	١٢١	العقبة
٨٢	اليونان	١٤٢	ليدن	١٦٣ و ٣٢	القر
		١٢١ و ٢١	المدينة المنورة ١٢ و ٢٠	٢١	القيق
				٢٨	عكاظ

الفهرس الخامس

في الترجم والتعليق والحواشي

صفحة

- ١٠ نساء الشهور في الجاهلية
- ١١ أبو بكر محمد بن موسى بن سيار العقسي البصري - يموت بنى المزرع
- ١٢ عنترة بن شداد العبي
- ١٣ أبو خراشة خفاف بن عمير السلمي - ابن ندبة
- ١٤ أبو عمير بن الحباب
- ١٥ السليك بن السلامة
- ١٦ هشام بن عقبة بن أبي معيط
- ١٧ أبو صالح الأمير عبد الله بن خازم السلمي
- ١٨ هشام بن مطرف العقيلي
- ١٩ منتشر بن وهب أخو أعشى باهلة
- ٢٠ مطر بن أوفى
- ٢١ ثايب بن جابر - تأبطن شرا
- ٢٢ الشفري الأزدي
- ٢٣ حاجز بن عوف الأزدي
- ٢٤ أبو عبيدة معمر بن المثنى الرواية
- ٢٥ أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي المعزالى
- ٢٦ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد - ابن حزم الأندلسى

- ١٥ سقراط الفيلسوف اليوناني
- ١٦ عمرو بن عبد مناف - هاشم
- ٠٠ عمرو بن سعيد بن العاص - الأكبر
- ٠٠ عمرو بن سعيد بن عمرو بن سعيد - الأشدق
- ٠٠ الأمير عمرو بن العاص فاتح مصر
- ٠٠ عمرو بن حمزة الدوسى
- ٠٠ عمرو بن معدى كرب
- ٠٠ عمرو بن عبدود العامرى
- ٠٠ عمرو بن الشريد
- ١٧ عمرو بن الحق الخزاعي
- ٠٠ عمرو بن عبيد شيخ المتهلة
- ٠٠ أبو علي عمرو بن قائد الاسوارى المعنزلى
- ٠٠ أبو زيد احمد بن سهل البلخى
- ٠٠ أبو الفضل بن العميد
- ٠٠ أبو حيان التوحيدى
- ٠٠ أبو القاسم شمس المشرق محمود بن عزيز العارضى الخوارزمى
- ١٨ القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد
- ٠٠ أبو القاسم الحسن بن بشر الأَمْدَى
- ١٩ شهاب الدين أبو عبد الله - ياقوت الرومى الجموى
- ٢٠ الحسن بن هانىء الحكى - أبو نواس
- ٠٠ القاضى أبو العباس شمس الدين أحمد بن ابراهيم - ابن خلكان

- ٢٠ أبو بكر أحمد بن علي — الخطيب البغدادي
- ٢٠ الأمير عتبة بن غزوان بن الحارث المازني
- ٢١ الإمام عمر بن الخطاب
- ٢٠ سعد بن مالك بن أبي هبوب — ابن أبي وقاص
- ٢٠ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس — أبو جعفر المنصور
- ٢٣ عبد الله بن هرون الرشيد — المؤمن
- ٢٤ أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي النحوي الكوفي — الفراء
- ٢٠ أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المحدث
- ٢٧ أبو سعيد عبد الملك بن قریب — الأصمی
- ٢٨ أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري
- ٢٠ أبو الحسن سعيد بن مسدة — الأخفش المجاشعي
- ٢٠ أبو اسحق ابراهيم بن سيار بن هانىء النظام المعتزلى
- ٢٨ قاضى القضاة ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري صاحب
أبي حنيفة
- ٢٠ أبو خالد يزيد بن هرون السلى المحدث
- ٢٩ أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكابر التمالي الاذدي البصرى
— البرد
- ٢٠ نهر سيحان بالبصرة
- ٢٠ الفتح بن خاقان الوزير
- ٣١ جعفر بن المعتصم بن هرون الرشيد — المتوكل على الله العباسي
- ٣٢ البرامكة أبناء خالد بن برمك

- ٣٢ الطاهريه أبناء طاهر بن الحسين
- ٠٠ أبو اسحق ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب
- ٣٣ محمد بن عبد الملك الزيارات الكاتب الوزير
- ٠٠ القاضي أحمد بن أبي دؤاد الايادي
- ٠٠ ميمون بن هرون الكاتب
- ٣٥ أبو عمرو سهل بن هرون الكاتب
- ٣٧ أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد اليامي
- ٣٩ عبدالله بن احمد بن حرب المهزوي - أبو هفان البصري
- ٤٠ أبو بكر أحمد بن على بن أنجور بن الاخشيدى - ابن الاخشيد -
ابن الاخشاد المعتزلى
- ٤٢ أبو الحسين علي بن الحسين بن على - المسعودى المؤرخ
- ٤٣ عبد الله بن المفعع الكاتب
- ٤٥ أبو محمد عبد الله بن مسلم - ابن قتيبة الدينوري الكاتب
- ٤٦ أبو عبد الله محمد بن عمرو - الجماز
- ٤٨ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق
- ٤٩ عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
- ٠٠ أبو القاسم محمد بن على ابن أبي طالب - ابن الحنفيه
- ٥٠ أميه بن أبي الصلت الشاعر المتأله
- ٥٢ الامام أحمد بن عبد الحليم الحراني - ابن تيمية
- ٥٣ أبو العباس أحمد بن يحيى - ثعلب
- ٠٠ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري اللغوى
- ٠٠ أبو الفضل أحمد بن الحسين - بدیع الزمان المہذانی

- ٥٤ أبو بكر محمد بن الطيب البصري - الباقياني
- ٥٧ أبو الحسن على بن يحيى بن منصور . المنجم النديم
- ٠٠ مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى
- ٥٨ أبو حمل محمد بن سعد السعدي الشيبانى
- ٥٩ الخليل بن احمد الازدى
- ٦١ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى
- ٥٢ أبو الحسن ثابت بن قرة الصابى الحرانى الطبيب
- ٠٠ أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري
- ٦٣ الأمير أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفى
- ٠٠ أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي الأكمى البصري
- ٠٠ عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء زعيماء المعزولة
- ٦٤ أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمى التحوى
- ٠٠ أبو يعقوب فرقن بن يعقوب السبغى الزاهد الناسك
- ٠٠ سجستان وأئل الخطيب
- ٠٠ عامر بن عبد قيس الزاهد الناسك
- ٠٠ أبو إسحاق مزبد المدى صاحب التوارد والتكلمات
- ٦٦ أبو محمد عبد الله بن حمود الزيدى الاندلسى
- ٠٠ أبو حنيفة احمد بن داود بن وندن الديفورى صاحب النبات
- ٦٧ الأمير أبو أحمد طلحة بن جعفر المتوكل - الموفق
- ٠٠ على بن عبيدة الريحانى الكاتب المعزلى
- ٦٩ الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب المذهب

- ٦٩ أبو المذيل العلاف البصري شيخ المعتزلة
- ٧٠ الصكاك : عنان السماء
- ٧٢ ابن التلميذ الطبيب
- ٧٣ أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرمانى النحوى - الأخشيدى - الوراق
- ٧٥ أبو بكر محمد بن الحسن العطار - ابن مقدم القارىء
- ٧٦ أبو على عبد الرحيم - القاضى الفاضل
- ٧٦ أبو عبادة الوليد بن عبيد - البحتري الشاعر
- ٧٧ أبو بكر محمد بن الحسن - ابن دريد الأزدى
- ٧٧ أرسسطو
- ٧٨ أبو عبد الله الزبير بن أبي بكر بكار القاضى - الزبير بن بكار
- ٧٩ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى
- ٨١ أبو نصر محمد بن طرخان - الفارابى
- ٨٢ الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله - ابن سينا
- ٨٣ أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد - ابن رشد
- ٨٤ أبو حامد محمد بن محمد الطوسي - الفزالي
- ٨٥ أفلاطون
- ٨٦ فيثاغورس
- ٨٧ بقراط
- ٨٨ جالينوس
- ٨٩ يوحنا أو يحيى بن البطريق

- ٨٣ عبد المسيح بن عبد الله الحصى الناعمی - ابن ناعمة الحصى
- ٨٤ أبو زید حنین بن إسحق العبادی
- ٠٠ العباس بن سعید الجوهري
- ٠٠ اقليدس الصورى
- ٨٥ أبو علی بن أبي قرة المنجم
- ٠٠ حبیب بن فہریز - عبد یشوع
- ٠٠ خالد بن عبد الملک المروزی المنجم
- ٩٢ الأزارقة . فرقة من الخوارج
- ٠٠ عبد الملک بن مروان
- ٩٣ الصفریة . فرقة من الخوارج
- ٠٠ النجدات . « »
- ٠٠ الاباضیة . « »
- ٩٤ المرجحة
- ٩٥ الشیعة
- ٩٦ أبو هاشم عبد الله بن محمد بن على بن أبي طالب
- ٠٠ أبو بکر محمد بن العباس الخوارزمی الكاتب
- ٩٧ أبو عبد الله محمد بن منبه المحدث الاخباری - وهب بن منبه
- ٩٨ أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري الإمام
- ٩٩ الجستة
- ١٠٠ المشبهة
- ٠٠٠ الراضاة

- ١٠٠ أبوالحسن مقاتل بن سليمان الخراصي الأزدي المفسر . رأس المشبهة
٠٠٠ المجرة
- ١٠١ جهم بن صفوان الترمذى . رأس الجبرية
- ١٠٣ سالم بن معقل مولى أبي حذيفة الصحابي
- ١٠٣ الرواندية . شيعة بنى العباس
- ١٠٥ أبوالحسين أحمد بن يحيى - ابن الرواندى
- ٠٠٠ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى
- ٠٠٠ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهريستاني
- ١٠٧ تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر - المقريزى المؤرخ المصرى
- ٠٠٠ أبوالحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان - الخياط المعزلى
- ١١١ محمد بن منصور بن زياد الكاتب - فتى العسكر
- ١١٣ أبو على الحسن بن وهب بن سعيد المكتب
- ١١٧ آل المدبر
- ٠٠٠ أبوالنجم هلال الأنباري البغدادى
- ١١٩ الشيخ أحمد بن عمر قاضى القضاة - شهاب الدين الخفاجى المصرى
- ١٢٠ معاوية بن أبي سفيان
- ١٢١ العباس بن عبد المطلب
- ٠٠٠ أبو بكر الصديق
- ٠٠٠ فدك وحديتها
- ١٢٢ بركة أم أيمن
- ١٢٦ ولى الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمى الفامى - ابن خلدون

- ١٨٧ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي - ابن أبي أصبيعة
- ٠٠٠ أبو الحسن المختار بن عبدوس - ابن بطلان الطبيب
- ١٨٨ أبو زكريا يوحنا بن ماسويه الطبيب
- ٠٠٠ أبو الصقر إسماعيل بن ببل الوزير
- ١٨٩ أبو حمل عوف بن حمل الخزاعي الشاعر
- ٠٠٠ الأمير أبو العباس عبد الله بن طاهر
- ١٩١ قصور الشاذياخ
- ١٩٤ حوقلت
- ٠٠٠ أبو عبد الله المعز بن المتوكل
- ٠٠٠ أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي
- ٠٠٠ أبو شراعة أحد بن محمد بن شراعة القيسي البكري الشاعر
- ٢٠٦ من شعر أبي نواس



أ. علاء الدين شوقي

الفهرس السادس

في فصول الكتاب ومواده

صفحة

- ٢ صورة الماحظ . تخيلها المؤلف
- ٤ مقدمة
- ٦ تمهيد في :
- ٧ مناهج الكتاب في تراجم الرجال
- الفصل الأول في :
- ١٠ أصل الماحظ ونسبه وجنسه ولقبه
- الفصل الثاني في :
- ١٩ تحقيق مولده ونشأته ، وهل كان محدثا
- الفصل الثالث في :
- ٢٦ أساليب التعليم في ذلك المهد ، وكيف تعلم الماحظ
- الفصل الرابع في :
- ٣٠ موارد رزقه وبسطة جاهه
- الفصل الخامس في :
- ٣٥ رأسه لديوان الرسائل
- الفصل السادس في :
- ٣٩ معارفه وإحاطته
- الفصل السابع في :
- ٤٣ وضعه الكتب على أسنة المتقدمين ، ووضع غيره الكتب باسمه
- الفصل الثامن في :
- ٤٥ مقامه في رأى خصومه

- الفصل التاسع في :
٥٧ تخطيته وتصويبه
- الفصل العاشر في :
٦١ مقامه لدى العارفين بمناقبها
- الفصل الحادى عشر في :
٧٣ شهرة مصنفاته في الآفاق
- الفصل الثاني عشر في :
٧٧ تحقيقه العلم وفوده على مصر
- الفصل الثالث عشر في :
٨١ الترجمة وأساليبها ورأى الماحظ فيها وفي النقلة
- الفصل الرابع عشر في :
٨٩ نشوء الاعتزال في الاسلام
- الفصل الخامس عشر في :
١٠٤ مذهب الماحظ في الاعتزال
- الفصل السادس عشر في :
١١٠ شأن الماحظ مع ابن الزيات وابن أبي دؤاد
- الفصل السابع عشر في :
١١٣ رأى الماحظ في العروض والشعر
- الفصل الثامن عشر في :
١١٦ وصف مؤلفاته وإحصائتها
- الفصل التاسع عشر في :
١٤٥ الكتب التي نسبت الى الماحظ وليس لها

الفصل العشرون في :

١٥٩ ما اخترناه من طرفه ونوادره

الفصل الحادى والعشرون في :

١٧٤ شذور من كلاماته

الفصل الثانى والعشرون في :

١٧٨ نبذ من شعره

الفصل الثالث والعشرون في :

١٨٥ هجو الشعراء له

الفصل الرابع والعشرون في :

١٨٧ مرضه وما قيل في سببه وموته

الفصل الخامس والعشرون في :

١٩٦ خصائص الملاحظ وميزاته

٢٠٩ وقفة

٢١٠ المصادر والمراجع

٢١٣ الفهارس

٢١٤ الفهرس الاول في أعلام الرجال والنساء

٢٢٥ « الثاني في أسماء الكتب والأسفار

٢٣١ « الثالث في الشعوب والأجناس والفرق والأشياء.

٢٣٣ « الرابع في البلدان والأماكن والبقاء

٢٣٥ « الخامس في الترجم والتعليلات والحواشي.

٢٤٥ « السادس في فصول الكتاب ومواده

تصحيح

صواب	خطأ	ص
الماحظ	الماحظ	١١
يموت بن المزعر	يموت بن الزرع	١١
فالولى	فالولى	١٣
النظام	النظام	١٧
(يعنى مذهب الاعتزال)	(يعنى مذهب الاعتزال)	٢٣
بنوچه	بنوچه	٢٧
يزيد بن الملب	زيد بن الملب	٣٢
إلا قرأه واستظهره	إلا قرأه واستظهره	٣٩
مائلا	مائلا	٤٥
اللغات	اللغات	٨
إن الماحظ	أن الماحظ	٨١
إلا قرأه واستظهره	إلا قرأه واستظهره	٨١
وكان عهده بله في حروب	وكان عهده كله في حروب	٩٢
كثير من العارفين	كثير من الفارقين	١١٦
رسالة	رسالة	١١٧
كتاب إمامية	كتاب إمامية	١٢١
كتاب الحجاب	كتاب الحجات	١٢٩
من أبي عنان الماحظ	من أبي الماحظ	١٣٠
القواد وأرباب الصناعات	القواد وأسّاب الصناعات	١٣٩
كتاب مسائل القرآن	كتاب القرآن	١٤٠
عوف بن ملجم	عوف بن ملجم	١٩١
الجز	الجز	١٩٤
أحمد بن عبد الوهاب البجلي	أحمد بن عبد الوهاب التقى	١٩٩
وضرائها	وضرائها	٢٠٤
أبي دؤاد	أبي داؤد	٢٠٧